

نعوم تشومسكي

أشياء لن تسمع بها أبداً...

لقاءات ومقالات

ترجمة: أسعد الحسين



نعّوم تشومسكي

أشيـــاء
لن تسمع بها أبداً ؟!!

ترجمـة

أسعد محمد الحسين

اسم الكتاب: أشياء لن تسمع بها أبداً؟!!
اسم المؤلف: نعوم تشومسكي
اسم المترجمة: أسعد محمد الحسين
القيـــــــاس: ١٤,٥ × ٢١,٥
عدد الصفحات: ٣٧٦
١٠٠٠/٢٠١٠م - ١٤٣٠هـ



سورية . دمشق . ص ب ٤٦٥٠
تلفاكس: ٢٣١٤٥١١ ١١ ٩٦٣ +
هاتـــف: ٢٣٢٦٩٨٥ ١١ ٩٦٣+

E-mail: ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

التنضيد والإخراج والطباعة: القسم الفني ـ دار نينوى

المؤلف: نعوم تشومسكي

- ولد نعوم تشومسكي في ٧ كانون الأول عام ١٩٢٨ في فيلادلفيا
- والده مهاجر يهودي روسي له كتب عن اللغة العبرية.
- التحق بجامعة بنسلفانيا عام ١٩٤٥ وتخصص في دراسة اللغويات عام ١٩٤٧ وتخرج بدرجة شرف عام ١٩٤٩.
- تزوج من اللغوية كارول شاتز عام ١٩٤٩.
- نال درجة الماجستير عام١٩٥١ودرجة الدكتوراه عام ١٩٥٥.
- أصبح عضو هيئة تدريسية في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا عام ١٩٥٥ وأستاذا كامل العضوية في عام ١٩٦١.
- ألف ما يزيد عن ٣٣ منشور وكتاب في علم اللغويات ونظريته اللغوية والنحو التوليدي.
- مفكر غزير الإنتاج له كتب ما يزيد عن الأربعين كتاب في السياسة
- ألقى كثير من المحاضرات وأجرى مقابلات متنوعة وكتب مقالات كثيرة تناولت قضايا الساعة والقضايا الفكرية والفلسفية والاقتصادية.
- يعتبر من اشد نقاد السياسة الأمريكية وواحد من المفكرين العشرة الأكثر تأثيرا في العالم والأول الذي يستشهد بأقواله من مفكري القرن العشرين

المترجم: أسعد الحسين

- حائز على إجازة في اللغة الانكليزية وآدابها من جامعة حلب عام ١٩٧٨.
- عمل مدرساً للغة الانكليزية في سوريا وقطر حتى عام ٢٠٠٤.
- تفرغ للترجمة ونقل عدد من الكتب والروايات والمسرحيات إلى اللغة العربية.
- صدر منها رواية الصعود إلى الهواء لجورج أورويل عام ٢٠٠٨.
- وصدر أيضاً كتاب الحرب الطبقية العالمية للمفكر جف فو عام ٢٠٠٩.
- صدر له الطريق إلى رصيف ويغان، وابنة القس لجورج أورويل عام ٢٠١٠
- له مقالات فكرية وأدبية في بعض المجلات والجرائد العربية.

نعوم تشومسكي

ولد نعوم تشومسكي في ٧ كانون الأول عام ١٩٢٨ في فيلادلفيا لأسرة هاجرت من روسيا وكان والده عالما بارزا له مؤلفات عن اللغة العبرية والتاريخ. دخل نعوم جامعة بنسلفانيا عام ١٩٤٥ والتقى هناك بزيليغ هاريس العالم اللغوي ومؤسس قسم اللغويات الأول في جامعة بنسلفانيا وفي الولايات المتحدة كلها وفي عام ١٩٤٧ قرر تشومسكي أنت يتخصص باللغويات وحصل على البكالوريوس بدرجة شرف عام ١٩٤٩ وتزوج بنفس العام من اللغوية كارول شاتز ونال درجة الماجستير عام ١٩٥١. أصبح تشومسكي زميل في هارفارد ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥عن أطروحته حول التحليل التحويلي التي نشرت كجزء من كتابه التركيب المنطقي للنظرية اللغوية عام ١٩٧٥.

عمل تشومسكي كعضو هيئة تدريسية في معهد **ماساشوسيتس** للتكنولوجيا عام ١٩٥٥ وعين أستاذا كامل العضوية في قسم اللغات الحديثة واللغويات عام ١٩٦١ إلى جانب مهنته كلغوي كان تشومسكي ناشطا يساريا ونظم معارضة للحرب الفيتنامية عام ١٩٦٥وبعد أربع سنوات اصدر كتابة السلطة الأمريكية والأفندية الجدد وأصبح في ثمانينات القرن العشرين ابرز شخصية بين اللغويين الأمريكيين وأحد أكثر النقاد اليساريين للسياسة الأمريكية. تشومسكي كاتب غزير الإنتاج له أكثر من ٣٣ منشور عن اللغويات وأكثر من ٤٠ كتاب عن السياسة إضافة إلى المقابلات والمقلات والأحاديث التي لا تحصى ويعتبر تشومسكي من أكثر الذين يستشهد بأقوالهم بين الأحياء وواحد من الثمانية في كل العصور.

تتقسم حياة تشومسكي الفكرية بين عمله كعالم لغويات أولا وبين السياسة ثانيا وتأتي الفلسفة في المرتبة الثالثة ويعود تأثيره على الفلاسفة التحليليين إلى ثلاثة عوامل أولا لمساهمته الجوهرية والأساسية في التغيير المنهجي في العلوم الإنسانية, بتحوله عن تجريبية منتصف القرن العشرين السائدة: السلوكية في علم النفس والبنيوية في اللغويات والوضعية في الفلسفة. ثانيا وضعت كتبه الإبداعية الجديدة عن النحو (١٩٥٧ ـ ١٩٦٥) الأساس المعرفي لطريقة معرفية جديدة في علم اللغويات ووفرت للفلاسفة إطارا جديدا للتفكير بالعقل واللغة والإنسانية ثالثا

دفاعه المستمر عن آرائه وانشغاله بنقاشات هامة مع أكثر الشخصيات البارزة في الفلسفة التحليلية مثل تايلر بيرغ ودونالد ديفيدسن وغيرهم خلال كل مسيرته. يعيش في ليكسينغتون في ماسوشوسيتس تعود معرفته بالعبرية إلى أسرته والى الفترة التي عاشها في كيبوتز يهودي في إسرائيل قبل أن يعود إلى أمريكا.

من مؤلفات تشومسكي السياسية:

أعمال العدوان , ضبط الدول الحمراء - القوة الأمريكية والبيروقراطية - الديمقراطية الرادعة - مثلث الشؤم - اللغة ومشكلات المعرفة - سيطرة وسائل الإعلام - أوهام ضرورية: هيمنة الفكر في المجتمعات الديمقراطية - النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة - الحرب الطبقية - قراصنة وأباطرة - الدعاية والرأي العام ٢٠٠١ - السنة ٥٠١ الغزو مستمر.. -١١ أيلول الإرهاب والإرهاب المضاد - إبقاء الرعاع تحت السيطرة - القوة والإرهاب جذورهما في عمق الثقافة الأمريكية. ٩/١١ الحادي عشر من أيلول - تصنيع الوفاق - السيطرة أم البقاء - الدول الفاشلة - ما نقوله يمشي: أحاديث عن قوة أمريكا في عالم متغير - أوهام ضرورية: السيطرة على الفكر في المجتمعات الديمقراطية - أوهام الشرق الأوسط - الدول المارقة : قانون القوة في الشؤون الدولية - أسرار وأكاذيب وديمقراطية - تحول المد: تدخلات الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى والصراع من اجل السلام - ما الذي يرده العم سام فعلا - الربح فوق الناس: الليبرالية والنظام العالمي - المزدهرون قلة والقلقون كثر - الصالح العام - ثقافة الإرهاب - حياة منشق - اللغة والسياسة - كاملوت المفكر ثانية - حرب الطبقات.

من مؤلفات تشومسكي في اللغويات

اللغة والعقل - اللغة والمسؤولية - مشاكل المعرفة والحرية - تأملات في اللغة والنحو التوليدي - اللغة والفكر - اللغة والسياسة - اللغويات الديكارتية - التراكيب النحوية - سمات نظرية النحو - التركيب المنطقي للنظرية اللغوية - قضايا راهنة في النظرية اللغوية - دراسات حول علم دلالة الألفاظ في النحو التوليدي مقالات عن الشكل والتفسير - قوانين واعتراضات - آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل - عن الطبيعة واللغة - زيارة ثانية للمشروع التوليدي.

مقدمة الكتاب

يعتبر نعوم تشومسكي واحدا من المفكرين العشرة الأكثر تأثيرا في العالم وله ما يزيد عن الثلاثين منشور في اللغويات وأكثر من أربعين كتاب في السياسة ومئات المقالات والأحاديث والمقابلات. طاف في معظم بلدان العالم شارحا نظرياته ومدافعا عن آرائه. لم يمنعه أصله اليهودي من مهاجمة الصهيونية ولا جنسيته الأمريكية من فضح السياسات الأمريكية الإجرامية.

احدث ثورة في نظرياته اللغوية والنحوية التي فتحت آفاقا جديدة في دراسة اللغة وعلم النفس والفلسفة. أما كتبه السياسة فقد تردد أصداءها في العالم كله بجراتها ومصداقيتها. اعتبر في أمريكا منشقا وتجاهلته اغلب وسائل الإعلام الرسمي لكنها لم تستطع منعه من الانتشار العالمي وصنفه الماركسيون محرفا ومنعوا كتبه من التداول لكن قراءه كثيرون وحاولت الصهيونية اتهامه بمعاداة السامية ولم يضره ذلك. حتى بعض الماركسيين العرب والعلمانيين اعتبروه عميلا للامبريالية والصهيونية. واعترف تشومسكي بأنه اشتراكي ليبرالي في أكثر من مناسبة

تحدث في أكثر المواضيع الحرجة والهامة: الإرهاب وإرهاب الدولة والحروب والإمبراطورية الأمريكية والنظام العالمي الجديد والدين والسياسة وحوار الحضارات وحقوق الإنسان والعولمة والأزمة المالية

الراهنة والسياسة الأمريكية في الداخل والخارج. تناول في كتبه الأوضاع في أمريكا اللاتينية وأفريقيا واسيا وأوروبا. دافع عن الحرية وحق تقرير المصير وناضل ضد كل أشكال التمييز العنصري وفضح جرائم الإبادة الجماعية والأنظمة الديكتاتورية وشجع حركات الجنوب والبيئيين والمنظمات المدنية غير الحكومية وطالب بالتصدي للعولمة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية. أبدى رأيه بالمستقبل وكان متفائلا بما أنجز لكنه لم يخف قلقه من الانتكاسات.

اعتمد في دراساته على التحليل الموضوعي العميق والاهتمام بالأسباب القريبة والبعيدة للظواهر وتقديم الأدلة الوثائقية. حوله كثير من المناصرين والأصدقاء الذين يتبادل معهم المعلومات والنصح والإرشاد. لم يندم على اقتحامه عالم السياسة لأنه يعتقد بأنه قد يغير بعض الأوضاع الخاطئة. تجاوز الثمانين من عمره ولا يزال يكد ويبحث ويدرس ويحاضر مدفوعا بإيمانه الشديد وقناعاته التي كونها وهو بعمر الثالثة عشر.

في ركنه الهادئ في بنسلفانيا يجتمع مع أصدقائه المنشقين يتبادلون الآراء والأفكار ويتواصل مع شبكة من المنشقين الموزعين في كل أنحاء العالم.

اتهم بالفوضوية ولم ينكر ذلك فهو يكره كل أشكال سلطة الدولة ويقر بأنه اشتراكي ليبرالي. هاجم الديكتاتورية في الاتحاد السوفييتي السابق وانتقد بقسوة هيمنة الدولة في الولايات المتحدة وتقليصها للحريات الفردية. رغم جدول أعماله المليء قبل سنتين إلا انه

يجد الوقت على حساب راحته للتواصل مع أصدقائه وأنصاره. انه مفكر كبير ويعتبره طيف واسع من اليسار رمزا وقدوة في سعة إدراكه وصلابة موقفه ووضوح هدفه واستقامة أخلاقه.

ركز تشومسكي على موضوع الإرهاب كثيرا لأهميته وعرف الإرهاب ساخرا(الإرهاب هو ما يعتبره قادتنا كذلك) وميز بين إرهاب الأفراد وبين إرهاب الدول وأوضح بأن إرهاب الأفراد لا يشكل شيئا أمام إرهاب الدول وقال صراحة أن الولايات المتحدة هي (الدولة الإرهابية القائدة في العالم) وأعمالها في بناما ونيكاراغوا وكوبا والعراق تثبت ذلك دون الحاجة إلى ذكر حروبها العدوانية في الهند الصينية والشرق الأوسط وأوروبا الشرقية. وكشف تشومسكي صلة المنظمات الإسلامية كالقاعدة والجهاد بالولايات المتحدة(كان من أهم انجازات مغتصبي المنصب ... نجاح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في تجنيد الإسلاميين وتنظيمهم في قوة عسكرية هائلة) طبعا لمحاربة الروس في أفغانستان وبعد الانسحاب الروسي حاولت أمريكا إشعال الصراع الباكستاني الهندي بواسطتهم ووضع العالم على شفير حرب نووية وذلك في عمل إرهابي غير مسبوق في الهند عام ١٩٩٧.

لم يقتصر التهديد الأمريكي على الكرة الأرضية فقط بل امتد إلى الفضاء الخارجي ويقول تشومسكي ليست الصواريخ الدفاعية إلا عنصرا بسيطا من برامج أكثر طموحا لعسكرة الفضاء بقصد احتكاره وتكريسه لإغراض عدوانية هجومية وضمان التفوق العسكري لتدمير أي خطر معادي بسرعة فائقة وفعالية تامة هذا من

جهة ومن جهة أخرى إرهاق ميزانيات الدول الثانية بسباقات تسلح باهظة التكاليف تصرف على الإنفاق العسكري بدلا من تحسين الظروف الاجتماعية للناس برفع مستوى الخدمات الصحية وتوفير المساعدات وفرص العمل.ويقول أن ما تصرفه الولايات المتحدة على العسكرة يعادل ما تنفقه كل دول العالم الأخرى مجتمعة وذلك طبعا بهدف حماية المصالح الأمريكية المنتشرة في كل أنحاء العالم.

ويتناول تشومسكي موضوع التغيير ويراه ممكنا رغم الصعوبات التي تعترضه ويحدد قوى التغيير بالمنظمات المدنية غير الحكومية والحركات الناشطة وجمعيات حقوق الإنسان وحركات البيئيين وغيرها ويحذر بأن مسار التغيير لا يمضي قدما دائما وبشكل مستقيم بل ينتكس ويتراجع أحيانا لكنه يظل مستمرا فمن كان يتوقع قبل عشر سنوات أن يكون رئيس الولايات المتحدة أمريكي من أصل أفريقي.

ويعرج تشومسكي إلى السياسة وقضاياها الهامة فيقول بأن إدراكها لا يحتاج إلى اختصاصيين كما تحاول وسائل الإعلام إيهام الناس بذلك وإنما على العكس إنها في متناول الناس العاديين حين تخضع للشروط الموضوعية والكشف عن الدوافع الخفية الكامنة وراء الحدث السياسي.

أما عن نظام القطب الواحد والنهج الإمبراطوري الأمريكي فانه لا يؤدي إلا لمزيد من الحروب والعداوة والإرهاب ويرد عن تساؤل الساسة الأمريكيين عن كره العالم لهم ويبين بأن العالم لا يكره الأمريكيين ولا المثل الأمريكية وإنما يكره السياسات العدوانية

الأمريكية الهادفة إلى استغلال ثروات الشعوب ومنعهم من تقرير مصيرهم واختيار النظام السياسي والاقتصادي الذي يناسبهم والتحكم بثرواتهم ومواردهم التي تنهبها الولايات المتحدة والأنظمة العميلة التي تنصبها في تلك البلدان. إن كل الأمم ترغب في علاقات متبادلة قائمة على الاحترام والمساواة فقد وولى عهد السيد والتابع إلى الأبد. يكفي للساسة الأمريكيين بأن ينظروا إلى الإمبراطورية البريطانية التي كانت لا تغيب عنها الشمس وكيف انتهت إلى دويلة صغيرة منسية شمال الأطلسي بعد الحرب العالمية الثانية. إن النهج الحالي للسياسة الأمريكية يهدد الوجود البشري كله ويدفعه إلى الهاوية فيجب على أمريكا أن تختار بسرعة وقبل فوات الأوان بين الهيمنة والبقاء.

خلال العقد الأخير من القرن العشرين فقط احتلت الولايات المتحدة أفغانستان بدون أي سبب مثبت وإنما لمجرد الاشتباه بأن طالبان كان يؤوي القاعدة التي كانت وراء تفجيرات أبراج التجارة واحتلت العراق بتلفيق تهمة امتلاكه أسلحة تدمير شامل وكانت النتيجة حصاد ملايين الأرواح وتريليونات الدولارات متجاهلة بذلك نداءات وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن والمسيرات المليونية الرافضة للحرب كما فرضت العقوبات والحصار على كوريا الشمالية لامتلاكها قنبلتين نوويتين ونست بأنها هي اكبر ترسانة نووية في العالم وتكيد الآن كل الدسائس والمؤامرات لإيران بسبب مشروعها النووي السلمي وتحاول حشد الدول الأوروبية للقيام بغزوها في الوقت المناسب. واتهمت سوريا أكثر من مرة بتهم باطلة متنوعة من

دعمها للإرهاب إلى مشاريع نووية بشراكة كورية تعرضت سوريا للقصف ولكل أنواع الضغوط الأمريكية.

يجب على حفنة الساسة المغامرين في الولايات المتحدة أن يقرؤوا التاريخ فقد زالت إمبراطورية الاسكندر والمغول وروما وأخرها صديقتهم الصغيرة بريطانيا. يجب أن لا تخضع سياسة اكبر وأقوى قوة في العالم لمصالح شلة من تجار النفط والأسلحة.

أما عن حال الديمقراطية في أمريكا والغرب عموما فهي ديمقراطية صورية وتنحصر السلطة بالأغنياء وذوي الامتيازات وان الحزبان الجمهوري والديمقراطي ليسا إلا حزبا واحدا للتجار ورجال الأعمال والحملات الانتخابية عبارة عن منتج هوليويودي تفبركه شركات الإعلان وصناعة العلاقات العامة لتسويقه للعامة فتركز تلك الحملات على الصفات الشخصية للمرشحين وتتجاهل القضايا الأساسية والملحة التي تهم الغالبية السكانية. فالتعددية الحزبية وتداول السلطة خدعة كبيرة ووهم تغذيه النخبة الحاكمة التي لا تمثل الشعب ولا علاقة لها به.

ولا ينسى تشومسكي نزاع الشمال الغني والجنوب الفقير ويشيد كثيرا بتجمع دول أمريكا اللاتينية التي خطت خطوات واسعة نحو الاستقلال عن وصاية الولايات المتحدة وأسست ديمقراطيات حقيقية في بوليفيا وفنزوليا وغيرها وتتجه هذه الدول أيضا إلى نوع من التكامل الاقتصادي فيما بينها للتخلص من استغلال صندوق النقد الدولي وسياساته التدميرية التي أفلست بعض دول المنطقة كالأرجنتين مثلا.

وتحدث عن الأزمة المالية وكشف جذورها التي تعود إلى عهد سياسات ريغان المغامرة والحروب التي خاضتها أمريكا فيما بعد في أفغانستان والعراق. تلك الحروب التي شنها المحافظون الجدد بعد أن استطاعوا تقويض كل قوانين الحماية المفروضة على قروض البنوك وفرض حرية السوق فبدأت المشكلة بفقاعة الأزمة السكنية التي حلت أساسا مكان الفقاعة التكنولوجية وكانت النتيجة سرقة مدخرات الشعب البسيط الذي لا يعرف لحد الآن لماذا أفلس ومن سرقه إضافة إلى ارتفاع عدد البطالة بشكل غير مسبوق.

وعن التغيير في عهد اوباما لا يتفاءل تشومسكي كثيرا ويرى بان اوباما سيتابع مجبرا سياسات بوش وما قاله في الحملة الانتخابية عن المثل السامية والتغير ليس إلا مؤثرات دعائية. فقد زاد عدد القوات الأمريكية في أفغانستان ولم يحاول أن يحرك أي شيء هام في القضية الفلسطينية وهي القضية الأكثر التهابا في العالم فبناء المستوطنات مستمر في الأراضي المحتلة وحصار الشعب الفلسطيني متواصل وزادت حكومة نتنياهو خطورة الوضع باحتلال الجزء الشرقي من مدينة القدس وترحيل أهله. يجب أن نذكر بأن تشومسكي طرح حلا ممكنا للقضية الفلسطينية يتمثل في قيام دولة واحدة ثنائية القومية يتمتع فيها العرب واليهود بنفس الحقوق وأيد أيضا مشروع الدولتين وإعادة الجولان لسوريا الذي نال على موافقة المنظمات والهيئات الدولية ودول عدم الانحياز والدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ولم ترفضه سوى الولايات المتحدة وإسرائيل

أما عن نظريته اللغوية فقد سعى العالم اللغوي تشومسكي إلى

وضع قواعد لغوية تشترك بها جميع اللغات باعتبارها ميزة إنسانية واسماها بالنحو الكلي أو القواعد العامة ويقول: (إن الكائن البشري أو أي كائن حي معقد له نظام تراكيب معرفية تتطور كثيرا بالطريقة التي تتطور بها أعضاءه البدنية. يعني أنها فطرية في صفاتها الأساسية ويحدد التركيب الوراثي للكائن الحي شكلها الأساسي). ويعرف النحو الشامل: صفات اللغة العامة التي تعكس نوع من الضرورة البيولوجية بدلا من الضرورة المنطقية؛ أي صفات اللغة التي ليست ضرورية منطقية لمثل هذا النظام بل الصفات الجوهرية الثابتة للغة الإنسانية التي تعرف دون تعلم. نحن نعرف هذه الصفات لكننا لا نتعلمها لكننا نستخدم معرفتنا بهذه الصفات كأساس للتعلم وهي صفات نرثها جينيا وهي شاملة وكونية.

نعوم تشومسكي عن العولمة

من مقابلة مع ماريا احمد/ غلوبال اجندا،

كانون الثاني ٢٠٠٦.

تجارة حرة وعادلة

للبيان والتاريخ أنا أؤيد العولمة وهذا صحيح بالنسبة لليسار والحركة العمالية منذ بدايتها الحديثة. لهذا السبب سميت كل نقابة بالعالمية، وأجهضت المحاولات الكثيرة لتشكيل النقابات العالمية ولقد اعتبرت هذا الأمر بديهيا وكررت في كتاباتي بأن حركات العدل العالمية في السنوات القليلة الأخيرة التي تجتمع سنويا في بورتو اليغري ومومباي وأماكن أخرى (والتي أحدثت الآن منتديات محلية اجتماعية كثيرة) ربما تكون بذور العالمية الحقيقة، تلك هي العولمة التي تضع حقوق الناس الذين من هم من لحم ودم على رأس أولياتها.

في الواقع، أكثر أنصار العولمة تحمسا هم الذين تقابلهم في المنتدى الاجتماعي العالمي والأحداث المتعلقة به مثل اجتماعات فيا كامبيسينا.

لا اعرف أي شخص معارض للعولمة ـ التي تعني التكامل العالمي الاقتصادي وغيره ـ ما عدا بعض النساك المتعصبين.

لهذا، بمستوى ما، يتفق العمال والشركات: كل من يؤيد العولمة في المعنى التقني للكلمة وليس بالمعنى العقائدي الذي خصصه

المدافعون عن أسلوب حقوق المستثمر في التكامل وحولوها إلى ما يدعى ب(اتفاقيات التجارة الحرة) مع مزيجهم المعقد من الليبرالية والحمائية وتقويض السيطرة الشعبية الديمقراطية على السياسة.

السؤال: ما هو الشكل الذي يجب أن تأخذه. لا أحد لديه الحق بأن يفرد المصطلح لخياره الخاص في هذه القضية.

العولمة التي لا تضع حقوق الناس في أولوياتها سوف تتحول إلى شكل من الحكم الاستبدادي، ربما حكم القلة أو حكم الاحتكارات المؤسس على تحالف محكم بين سلطة الدولة والقطاع الخاص غير الخاضع للمساءلة أمام الشعب.

حرية حركة البضائع والرأسمال والناس

أنا لا أفهم كيف يستطيع الناس الحديث عن (تجارة حرة) بهذه الوقاحة. بالإضافة إلى الانتهاكات الجلية للتجارة الحرة التي حولت منظمة التجارة العالمية إلى ضمانات تسعيرية للقوانين الاحتكارية التي تتجاوز كل شيء في التاريخ الاقتصادي، مثلا ماذا يعني الدخول في (اتفاقيات التجارة الحرة) للكيانات السياسية التي تعتمد بشكل كبير على قطاع الدولة النشيط في التطور الاقتصادي (كالولايات المتحدة)؟

هناك كثير من التضليل في الطريقة التي تصاغ فيها القضايا لدرجة يستحيل فيها الاستمرار دون حل خيوط الشبكة المتداخلة للأساطير العقائدية.

اتفق مع ادم سميث بأن حركة الناس الحرة هي المكون الجوهري للتجارة الحرة. أما بالنسبة للحركة الحرة للرأس المال فهو

موضوع مختلف تماما. على عكس الناس الذين هم من لحم ودم ليس للرأسمال أي حقوق على الأقل بمقاييس التنوير والليبرالية التقليدية. بمجرد أن نعرض مسألة حركة الرأسمال الحرة يجب أن نواجه الحقيقة التالية: بينما يتساوى الناس في الحقوق في المجتمع العادل من حيث المبدأ على الأقل فإن حديث الرأسمال يخفي تلك الحقيقة لأننا نتكلم عن أصحاب رؤوس أموال غير متساوين بالقوة بشكل طبيعي.

في العالم الحقيقي، حركة رأس المال الحرة تستلزم تقييدا جذريا للديمقراطية، لأسباب واضحة أدركت منذ زمن بعيد. الكلام عن رأس المال والطبقة العاملة كما لو أنهما متساويان هو تضليل عقيم لدرجة يصبح فيها النقاش مستحيلا في هذه الشروط.

عولمة عادلة

لنباشر حول الشكل الذي يجب أن تكون عليه العولمة يجب أولا أن نحل بعض الأسئلة حول الأسلوب الديمقراطي والأسلوب الاستبدادي المتعلقة بالسيطرة على الإنتاج والتوزيع والتبادل والمعلومات الخ. كل أساسيات النقاش المنطقي حول التواصل عبر الحدود - بافتراض وجوب وجود حدود في العالم المحترم (اعتقد لا، لكن ذلك موضوع كبير آخر). هناك عدد كبير جدا من الأسئلة التي تفرض نفسها عند الحديث عن العولمة العادلة.

وهذا يصح أيضا لكن بشكل هامشي أكثر على الاستثمارات الأجنبية في البلدان التي بحاجة إلى إعانات مالية جراء صراع شعبي مطول من أجل الحقوق الأساسية، بما فيها حقوق أماكن العمل.

وولمارت شركات أمريكية تستورد من مرافقها وتسهيلاتها في الخارج و يهتم كل الناس العمال ببضائعها الرخيصة إلى حد ما ؛ رغم ذلك تجد فيها صعوبات واضحة بالنسبة للقوة العاملة. وهناك حالات كثيرة أخرى.

قدرة الصين الاقتصادية مسألة معقدة. من جهة قسم كبير منها ملكية أجنبية تتزايد كثيرا وتتجه نحو التقنية العالية. ثانيا هناك انقسامات حادة ومتنامية داخل الصين. لكن بوضع هذه المسائل جانبا, ينبغي على حركة العدالة الاجتماعية أن تعمل وهي غالبا ما تعمل على دعم النمو الاقتصادي في الصين أو أي مكان آخر بقوة وبنفس الوعي الذي تفعله هنا: عندما لا يعني سحق الناس العاملين وترك فقراء الفلاحين للنخر أو يساهم بتدمير البيئة التي يجب أن يجد فيها أحفادنا حياة كريمة.

الضغط على إيران بسبب موقفها المستقل

كوروش زياباري

طهران تايمزه انيسان ٢٠٠٩ .

سؤال: بروفيسور تشومسكي لقد بينت مرات كثيرة أن أغلب بلدان العالم بما فيها دول حركة عدم الانحياز تؤيد الجهود الإيرانية في تطوير برنامجها للطاقة النووية المدنية لكن لا تزال بعض الأصوات في أميركا تطلق انتقادات متشددة. لماذا تلك الحالة؟

جواب: ليست دول حركة عدم الانحياز فقط بل أيضا الأغلبية الواسعة من الأميركيين الذين يعتقدون بأن لإيران الحق في تطوير طاقتها النووية. لكن لا أحد تقريبا مدرك لهذا. وذلك يشمل الذين أجري عليهم الاستفتاء ويعتقدون بأنهم الوحيدين الذين يحملون هذه المعتقدات. لم ينشر شيء عنها قط. ما يظهر بوسائل الإعلام باستمرار أن المجتمع الدولي يطالب إيران بوقف تخصيب اليورانيوم. لم يظهر في أي مكان أن مصطلح المجتمع الدولي يستخدم للإشارة إلى واشنطن وإن صدف أن وافق عليه أحد فلن يكون عن هذه القضية بل بشكل عام.

سؤال: من الواضح بأن الحكومة الأمريكية تمارس معايير مزدوجة في سياستها الخارجية فهي تدعم حق إسرائيل بامتلاك ترسانة نووية لكنها بنفس الوقت تضغط بقسوة على إيران لتوقف برنامجها

النووي السلمي. ما هو رأيك بهذا؟ وهل لوكالة الطاقة الذرية السلطة لتفتيش برنامج الأسلحة النووية الإسرائيلية

جواب: لقد أوضح هنري كيسنجر النقطة الأساسية حين سألته صحيفة واشنطن بوست لماذا يزعم الآن بأن إيران لا تحتاج إلى طاقة نووية كي لا تعمل على تصنيع قنبلة بينما كان يصر بقوة في السبعينات بأن إيران تحتاج إلى طاقة نووية ويجب أن تزود الولايات المتحدة الشاه بكل الوسائل لتطويرها. كان جوابه كيسنجريا محضا : (كانوا دولة حليفة) لهذا هم بحاجة إلى الطاقة النووية. لم الآن فهم ليسوا حلفاء لذا لم يبقى هناك حاجة لذلك. أما بالنسبة لإسرائيل فهي حليف وبشكل أدق دولة تابعة لهذا فهي ترث الحق لفعل ما يسرها من سيدها.

وكالة الطاقة الذرية الدولية لها السلطة لكن الولايات المتحدة لن تسمح لها في ممارستها أبدا؟ الإدارة الجديدة للولايات المتحدة لم تبد أي إشارة بأنها مختلفة.

سؤال: أربع دول تمتلك أسلحة نووية خارج إطار معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية الآن. ثلاث منها لم تنظم أبدا إلى تلك المعاهدة والرابعة انسحبت منها؛ هل تستطيع إيران التخلص من الضغط المتواصل المفروض عليها بالانسحاب من تلك المعاهدة؟

جواب: كلا، هذا سيصعد الضغط ببساطة. كل هذه البلدان تتلقى تأييدا واسعا من الولايات المتحدة عدا عن كوريا الشمالية. فقد تظاهرت إدارة ريغان بأنها لم تعرف بأن حليفتها باكستان كانت تطور أسلحة نووية لذلك استطاع الديكتاتور تلقي مساعدة هائلة منها

كما وافقت الولايات المتحدة أن تساعد الهند في تطوير قدراتها النووية أما إسرائيل فهي حالة خاصة.

سؤال: ما هي العقبات التي تمنع من تأسيس محادثات مباشرة بين إيران والولايات المتحدة؟ هل للوبي الإسرائيلي مثل هذا التأثير فعلا على الولايات المتحدة التي تحكمها الشركات؟

جواب: للوبي الإسرائيلي بعض التأثير لكنه محدود. وتوضح ذلك مرة أخرى في قضية إيران أثناء الحملة الرئاسية في الصيف الماضي حين كان تأثير اللوبيات في ذروته. أراد اللوبي الإسرائيلي من الكونغرس أن يمرر تشريعا بالمطالبة بحصار إيران لكنه إختفى فجأة ربما لأن البيت الأبيض أوضح وبهدوء معارضته ذلك.

بالنسبة للعوامل الفعلية, السجلات الداخلية ليست بحوزتنا الآن لهذا من الضروري أن نخمن. نحن نعرف بأن أغلبية واسعة من الأميركيين يريدون علاقات عادية مع إيران لكن قلما يؤثر الرأي العام على السياسة. الشركات الرئيسية في الولايات المتحدة بما فيها شركات الطاقة القوية تود أن تستغل موارد النفط الإيراني. لكن الدولة تدفع الأمور بطريق آخرى. إن السبب الرئيسي كما أفترض هو كون إيران مستقلة تماماً وعاصية. إن القوى الكبرى لا تتسامح مع ذلك في ما تعتبره مجالات نفوذها ومناطق إنتاج الطاقة الرئيسية اعتبرت منذ زمن بعيد مجال نفوذ الحلف الانغلواميركي أما الآن فقد تقزم دور الحليف البريطاني إلى شريك صغير.

سؤال: هل تعتقد بأننا سنري مراجعة تكتيكية أو منهجية في نهج وسائل الإعلام السائدة الأمريكية تجاه إيران أثناء فترة باراك

أوباما في المنصب؟ هل ستوقف هذه المنافذ الإعلامية دعايتها المضادة لإيران؟

جواب: تتقيد وسائل الإعلام عادة إلى حد بعيد بالإطار العام لسياسة الدولة رغم أن تلك السياسات تتعرض للنقد أحيانا لأسباب تكتيكية. لذلك يعتمد الأمر كثير على الموقف الذي ستأخذه إدارة اوباما.

سؤال: أخيراً هل تعتقد أن رئيس الولايات المتحدة يجب أن يعتذر عن جرائم الولايات المتحدة ضد إيران في القرن الماضي كما طلبت إيران؟

جواب: أعتقد أن الأقوياء يجب أن يعترفوا بجرائمهم ويعتذروا من الضحايا. وفي الواقع يجب أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك ويقدموا تعويضات. للأسف إن العالم تحكمه بديهية ثيوسيديدس: القوي يفعل كما يريد والضعيف يعاني كما يجب. بمرور الوقت يصبح العالم أكثر تحضرا ببطء لكن الطريق لا يزال طويلا.

هل الحرب على العراق عادلة ؟ لا . . .

بقلم نعوم تشومسكي

زد ماغازين ٢٠ ايار ٢٠٠٦

لقد انبعث نقاش الحرب العادلة بين الدارسين وصناع السياسة أيضا مدفوعا بالغزوات والمراوغات المتكررة.

لنضع الأفكار جانبا لأن الأفعال في العالم الحقيقي غالبا ما تفرض بديهة ثيوسيديدس التي تقول(يفعل الأقوياء ما يستطيعونه بينما يعاني الضعفاء ما يتحتم عليهم) - وهذا ليس غير عادل بشكل لا يقبل الشك بل هو تهديد فعلي لبقاء الجنس البشري.

في أفكاره التي تستحق الإطراء الرفيع يصف مايكل ولزر غزو أفغانستان بأنه (انتصار لنظرية الحرب العادلة) ليقف بجانب كوسوفو (كحرب عادلة) لكن لسوء حظه يعتمد في تلك الحالتين كما في براهينه بشكل حاسم على مقدمات مثل(تبدو لي تماما مبررة أو اعتقد أو لا شك)

أما الحقائق فقد تم تجاهلها حتى الواضحة جدا منها. خذ أفغانستان. عندما بدأ القصف في تشرين الأول عام ٢٠٠١ حذر الرئيس بوش الأفغان بأنه سيستمر حتى يسلموا الأشخاص الذين اشتبهت بهم كإرهابيين.

كلمة (مشتبه) هامة. بعد ثمانية شهور أخبر رئيس المخابرات

الفيدرالية روبرت مولر محرري صحيفة واشنطن بوست أنه بعد أكبر مطاردة في التاريخ للقبض على مجرم (نظن أن العقول المدبرة لهجمات ١١ أيلول كانت في أفغانستان وهم من كبار قيادي القاعدة. اجتمع المتآمرون وشخصيات رئيسية أخرى في ألمانيا أو ربما في مكان آخر)

ما لم يكن واضحا في حزيران ٢٠٠٢ لا يمكن أن يكون معروفا بشكل دقيق وحاسم في تشرين الذي سبقه (أي قبل تسعة شهور) ولم يشك بصحة ذلك سوى القلة. يختلف الحدس عن الدليل كثيرا. على الأقل يبدو من العدل القول أن الظروف تفرص السؤال إن كانت (حرب أفغانستان مثالا صريحا عن الحرب العادلة).

إن حجج ولزر موجهة إلى أهداف غير محددة. مثلا, مساكن خصوم (سلميين) ويضيف أن (سلميتهم) حجة سيئة لأنه يعتقد بأن العنف مشروع أحيانا (وأنا كذلك) لكن (أعتقد) أنه من الصعب أن تكون حجة ماحقة في حالات العالم الحقيقي التي ناقشها.

تعفي الولايات المتحدة نفسها من المبادئ الأساسية للنظام العالمي التي لعبت الدور الرئيسي في صياغته وتنفيذه ب(الحرب العادلة) أو محاربة الإرهاب أو أي مبدأ آخر.

بعد الحرب العالمية الثانية, تأسس نظام جديد للقانون الدولي. ونظمت فقراته المتعلقة بالحرب في دستور الأمم المتحدة وفي معاهدات جنيف ومبادئ نورنبيرغ وتبنتها الجمعية العامة. يمنع الدستور التهديد بالقوة أو استخدامها إلا بتفويض من مجلس الأمن أو تحت المادة ٥١ في حالة الدفاع عن النفس ضد هجوم مسلح حتى يتصرف مجلس الأمن. في عام ٢٠٠٤, استنتجت هيئة من المستشارين رفيعي المستوى ومن بينهم

مستشار الأمن القومي السابق برنت سكوكروف بأن (المادة ٥١ لا تحتاج إلى توسيع ولا إلى تضييق هدفها البعيد المفهوم.... في عالم مليء بالتهديدات المحتملة هي خطر على النظام العالمي وكذلك قاعدة عدم التدخل التي يستمر الاعتماد عليها إلى حد كبير على قبول شرعية الأعمال الوقائية الأحادية الجانب, وتمييزها عن الأعمال المصادق عليها بشكل جماعي (سماح فعل واحد كهذا هو سماح للكل)

تخول إستراتيجية مجلس الأمن في أيلول ٢٠٠٢ التي أعيد صياغتها بشكل كبير في آذار, الولايات المتحدة الحق بأن تقوم بما سمي (بالحرب الإستباقية) التي لا تعني حربا إستباقية بل (حرب وقائية). هذا ببساطة ووضوح هو الحق بارتكاب العدوان.

لقد عرف العدوان في نص كلمات محكمة نورينبيرغ بأنه (الجريمة الدولية الكبرى تختلف عن جرائم الحرب الأخرى فقط بكونها تحتوي بداخلها الشر المتراكم للكل) ـ كل الشر في أرض العراق المعذب الذي سببه الغزو الأمريكي البريطاني مثلا.

حدده رئيس محكمة العدل العليا في الولايات المتحدة روبرت جاكسون ورئيس المدعين العامين للولايات المتحدة في نورينبيرغ مفهوم العدوان بوضوح كما تم إقرار المفهوم ثانية في قرار رسمي للجمعية العامة. (المعتدي) كما اقترح جاكسون على المحكمة هو الدولة التي ترتكب مثل هذه الأعمال (غزو قواتها المسلحة بدون أو مع إعلان الحرب لأراضي دولة أخرى)

هذا ينطبق على غزو العراق وتقول كلمات رئيس المحكمة جاكسون الفصيحة ثانية (إن كانت إنتهاكات المعاهدات جرائم،

فهي جرائم إن قامت بها الولايات المتحدة أو ألمانيا، لسنا مستعدين بأن نسن قانونا للسلوك الإجرامي ضد الآخرين ولا نرغب في تطبيقه على أنفسنا) وفي مكان آخر: (لا يجب أن ننسى أبدا أن السجل الذي نحكم به على المدعى عليهم هو نفس السجل الذي سيحكم به التاريخ علينا غدا. إن تمرير كأس السم لهؤلاء المدعى عليهم هو أن نضعه على شفاهنا نحن أيضا).

تقيد القيادة السياسية بهذه المبادئ وإلى حكم القانون عموما تهديد لها وحتى لو تجرأ أحد على تحدي (القوة العظمى الوحيدة القاسية التي تنوي بأن تشكل العالم حسب وجهة نظرها العالمية القوية) سيعتبر مسألة خطيرة، كما كتب روفين بيداتزور في هارتس أيار الماضي.

دعني أوضح حقيقتين بسيطتين. الأولى أن الأفعال تقيم بنتائجها المحتملة. الثانية هي مبدأ الكونية؛ نحن نطبق على أنفسنا نفس المعايير التي نطبقها على الآخرين إن لم تكن أكثر صرامة.

إضافة إلى كونها مجرد بديهيات، هذه المبادئ هي أيضا أساس نظرية الحرب العادلة على الأقل أي نسخة منها تستحق أن يؤخذ بها بشكل جدي.

التغيير الاجتماعي اليوم

نعوم تشومسكي يقابله ستيفن دوريل

توورد فريدوم ٧ كانون الاول ٢٠٠٥ .

ستيفن دوريل: بروفيسور تشومسكي منذ أربعين عاما وأنت صوت قيادي في الفعل السياسي والعدالة الاجتماعية. بعد مشاركة امتدت إلى نصف قرن تقريباً في حركة التحرر إلى أي مدى تبدلت الأمور؟

نعوم تشومسكي: لم يكن التغيير خطيا أبداً. فيتقدم للأمام في بعض النواحي ويتراجع للخلف في نواحي أخرى. خذ الجانب الإيجابي فقط, فقد كان هناك زيادة هامة جداً في المستوى العام لحضارة المجتمع نلمسها في مجال تلو الآخر. لقد ازداد الاهتمام بحقوق الإنسان بصورة هائلة وأصبح له عناصر أساسية كثيرة كحقوق المرأة مثلا التي تصان الآن أكثر مما كانت عليه قبل أربعين عاماً وحقوق الأقليات التي تحفظ بشكل أفضل لكن رغم ذلك يظل الطريق الذي يجب قطعه طويلاً.

من جانب آخر, هناك رد فعل معادي سريع جداً, بدأ منذ أوائل السبعينات في الجانب الآخر من الطيف. لم يكن ما يسمى ب(ليبرالي) أو (محافظ) أو مهما عنت هذه التسميات بل كان هناك قلق عميق عبر نخبة الطيف حول آثار العملية الديمقراطية والتمدن في

الستينات.لهذا السبب أرخت تلك الفترة ودرست بأنها زمن المشاكل وولادة الخطأ. كانت المشاكل بأن البلاد بدأت تصبح أكثر حرية وديمقراطية. سميت في الحقيقة بـ(أزمة الديمقراطية) التي عنت الكثير من الديمقراطية الزائدة.

انفجرت جماعة الضغط والتأثير في واشنطن في بداية السبعينات في محاولة للتأكد بأن السيطرة على التشريع محكمة جداً وتناسب أجندة التجار ورجال الأعمال (البزنس). حاولت مجالس خبراء الجناح اليميني الجديد المتزايدة كمعهد المشروع الأمريكي أن تسيطر على مدى الأفكار المباحة. وكانت هناك حملة كاسحة وشاملة للاستيلاء على الإذاعة وتغيير اتجاه التلفزيون إلى اليمين.

لقد تم تغيير النظام المالي العالمي أيضا كي يسمح بحرية تدفق رؤوس الأموال التي لم يكن مسموحا به قبل تلك الفترة وأدرك كل خبراء الاقتصاد بشكل جيد بأن أحد نتائج ذلك ستكون تقييد مدى الخيارات الديمقراطية. وأعطى المستثمرين أساساً القدرة على العمل وكأنهم (مجلس شيوخ افتراضي) كما وصفوا. فاستطاعوا أن يرفضوا قرار سياسات البلاد وإن لم تعجبهم يمكنهم تخريب الاقتصاد.

هناك دلائل كثيرة على الانتقال إلى دولة أكثر استبدادية وقمعية التي مثلت إدارة بوش أقصى تطرف لها. ينعتون أنفسهم بالمحافظين لكنهم عار على التيار المحافظ. إنهم جناح يميني رجعي سلطوي. يريدون دولة جبارة جدا ليسيطروا فيها على الحياة الشخصية والعالم الاقتصادي والمجتمع الدولي وأن يستخدموا القوة في حالة الضرورة.

ليس في ذلك أي شكل محافظ.

ستيفن دويل: لقد ذهبت إلى واشنطن قبيل أسابيع قليلة لجمع ١٠٠,٠٠٠ معارض للحرب في حين كان أغلبهم يطالبون بالانسحاب الفوري للقوات الأجنبية من العراق. على النقيض منهم، يخبرنا أغلبية السياسيين بأننا لا نستطيع الرحيل لأننا لو قمنا بذلك فسيؤدي إلى خضوع العراق إلى نوع من دولة دينية قد ترسخ جذورها. أود أن اسمع أفكارك بهذا الخصوص؟

نعوم تشومسكي: مهما كان رأيك في صدام حسين فقد كانت حكومته علمانية. أما الآن فقد بات من المحتمل توسع الحكم الديني والأدهى أن تتجه تلك الحكومة الدينية نحو إيران إذ توجد علاقات قوية بين شيعة الجنوب وإيران كما أن كثير من زعماء الشيعة جاءوا من إيران فآية الله سيستاني وغالبية زعماء الشيعة في الجنوب وألوية بدر التي تدربهم وتسلحهم إيران.

كان تأثير الغزو الأمريكي تخريب المجتمع. في تشرين الأول الماضي أفادت أفضل التقديرات لدينا عن مقتل ١٠٠,٠٠٠ شخص وقد أصبح الآن الوضع أسوأ بكثير مما كان فقد تضاعف مستوى سوء التغذية الذي أصبح عند الأطفال بمستوى نظراءهم في بوروندي.

ما الذي يريده السكان؟ منذ يومين فقط طالب الحزب الشيعي الرئيسي ببقاء القوات البريطانية في ثكناتها. ومن الواضح بأن السنة يريدون خروج القوات الأمريكية. أعلنت جماعة الصدر بأنها تريد انسحاب القوات الأمريكية. وطالب البرلمان المفوض بالسيادة الوطنية بالإجماع كما أعتقد، بجدول دقيق بالانسحاب.

ستيفن دويل: لقد قرأت مؤخراً خطاباً للرئيس الفنزويلي هيوغو شافيز الذي كان يتحدث عن كتابك، السيطرة أم البقاء وأثنى عليه باعتباره تحفة عظيمة من الأدب المعادي للامبريالية ونحن نعرف بأنه أحد المعجبين بك لكنني أتساءل إن كنت معجبا به أيضا، وما هو رأيك بالثورة البوليفارية؟

تشومسكي: مرة أخرى، السؤال المشوق ليس رأيي فيها أو رأيك أو رأي جورج بوش. السؤال هو ما هو رأي الفنزويليين فيها؟ ولدينا الدليل على ذلك. رغم العداء الشديد المتطرف للإعلام والطبقات التجارية في الولايات المتحدة فاز شافيز بالانتخابات والاستفتاء الشعبي بأغلبية ساحقة مرة تلو الأخرى.

هناك استطلاعات للرأي في أمريكا اللاتينية، وهي استطلاعات دقيقة لمؤسسات استطلاع رأي أمريكية لاتينية تكشف الحقائق بشكل واضح حيث أظهرت تدني الإيمان بالديمقراطية في كل أرجاء أمريكا اللاتينية ليس لأن الناس لا يحبون الديمقراطية وإنما لأنهم لا يحبون السياسات الاقتصادية النيوليبرالية المضرة التي رافقتها لكن تظل هناك بعض الاستثناءات القليلة وفنزويلا أحدها.

إن الأثرياء وذوي النفوذ يكرهونه. لكن بالمقابل أكثرية السكان مفقرة وتحرم دائما من ثروة البلاد الهائلة. هذه الثورة البوليفارية التي مهما كان رأيك ورأيي فيها فعلت شيئا من أجل الفقراء ومن الواضح بأنهم يستجيبون لها. لهذا يقدم لك التأييد الهائل له في الأحياء العشوائية الفقيرة والعداء العظيم له في الشقق الفخمة البيلكان تخمينا جيدا عن الوضع.

ستيفن دويل: لدي هذا السؤال لك من البروفيسور جون اوكنور في جامعة كونيكتكت الوسطى: منذ سنين وأنت تقدم الحجج بأن نظامنا العقائدي ونظامنا الدعائي كان ساحقا جدا لدرجة بات من الصعب فيها أن نرى أي فرصة تغيير جدي. كيف تفسر انبثاق حركة العدل الكوكبية المضادة للنيوليبرالية؟

نعوم تشومسكي: أنا لم أقل أبدا بأنه يمنع التغيير الاجتماعي. وفي الحقيقة لم أقل أبدا بأنه يمنع التفكير المستقل.ما ناقشته هو طبيعة النظام الدعائي. أما مسألة أثره فهي مسألة منفصلة.

في حالة نظام الدعاية في الولايات المتحدة يسهل البحث في السؤال الأول. يمكنك أن تدرس شكل هذه الدعاية. لكن دراسة آثارها على السكان أصعب بكثير وذاتية إلى حد ما. أعتقد بصعوبة أن الخاتمة ستكون كالآتي ربما كانت الدعاية فاعلة جدا بين القطاعات الأكثر تعليما وذلك غير مفاجئ لأنهم جزء منها وهم من يصوغها أصلا. أما عن عامة السكان فأعتقد بأنها قصة مختلفة. إن ما تقصد الدعاية فعله هو إدخال الشك والوهم في نفوس الناس ودفعهم لكره المؤسسات والإعتقاد بعدم قدرة أي شيء على النجاح

على ضوء المواقف العامة والمعتقدات يتوفر لدينا دليل شامل عن مواقف الولايات المتحدة الذي يوضح بشكل مثير بأن كلا الحزبين السياسيين ومعهما الإعلام يقفون على يمين عامة السكان بمسافة بعيدة في قضية تلو الأخرى و لم تكن فعالة بذلك المدى لذلك انبعثت أشياء مثل حركة العدل الكوكبية من تلك الأرضية.

فرق جوهري قليل بين اوباما وبوش

نعوم تشومسكي في مقابلة مع ريتشارد هول

ديلي ستار ٢٤ حزيران ٢٠٠٩ .

سؤال: هل ترى أي فرق في سياسة كل من الرئيس السابق جورج دبليو بوش وخلفه الرئيس باراك اوباما فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟

جواب: هناك فرق قليل في الجوهر. يكرر اوباما مواقف بوش ويستعمل نفس العبارات في الواقع. لقد دعا إلى دولة فلسطينية كبوش وترك ما يعنيه بذلك غامضا تماما. لهذا يمكن تفسير قوله كموقف نتنياهو عام ١٩٩٦حين كان أول رئيس وزراء إسرائيلي يؤيد قيام دولة فلسطينية وهي حقيقة ربما نسيت. ترك شيمون بيريس المنصب مصرحا بقوة أنه لن تكون هناك دولة فلسطينية أبدا. حين سئل وزير الإعلام في حكومة نتنياهو إن كان سيتبنى نفس السياسة, أجاب إذا أراد الفلسطينيون أن يسموا البقايا المتروكة (دولة) فذلك رائع: أو يستطيعون تسميتها ب(الدجاج المقلي). نحن لا نعرف إن كان اوباما يقصد (الدجاج المقلي) أم غير ذلك ونعرف أنه تملص بحذر شديد من جوهر مبادرة السلام العربية التي امتدحها.

لقد ناشد الدول العربية بأن تستمر بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل لكنه أهمل تماما الحقيقة التي يعرفها بأن هذه الخطوة كانت

مشروطة بقبول الإجماع الدولي القديم على تسوية الدولتين الذي أحبطته الولايات المتحدة وإسرائيل منذ ثلاث وثلاثين سنة دون التخلي عن موقفيهما الرافض القوي ليس بالكلام فقط بل بالأفعال في أكثر الأحيان. في مسألة المستوطنات تجنب اوباما أي ذكر للمستوطنات القائمة وكرر عبارات (خارطة الطريق) حول توسيع المستوطنات وأوضح أيضا أنه لن يتبع سابقة جورج بوش الكبير ويفرض عقوبة خفيفة بسبب التوسيع الاستيطاني الإسرائيلي. كان الأحرى به أن يقول أن خطواته ستكون رمزية فقط .

سؤال: هل تعني عروض اوباما للعالم الإسلامي مقاربة أمريكية مختلفة نحو الشرق الأوسط؟

جواب: الخطاب مختلف لكن الجديد قليل. لقد صقل اوباما أسلوبا في تقديم نفسه كشخص جذاب وودود وكصفحة بيضاء يستطيع مشاهديه أن يكتبوا عليها أمالهم ورغباتهم معتقدين أنه في صفهم وينطبق نفس الأمر على المشهد في الداخل.

سؤال: هل ستتعرض العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل للخطر بسبب رفض الأخيرة إيقاف بناء المستوطنات؟

جواب: الخطر موجود دائما كما ذكرت في فترة قصيرة من حكم بوش الكبير حين فرضت واشنطن عقوبات خفيفة على إسرائيل لكن لا نعرف ما سيحدث الآن ولا يمكننا التأكد من ذلك. استغلت إسرائيل تركيز الانتباه على إيران لتعلن عن توسع أساسي في توسيع الاستيطان ولم ترد واشنطن على ذلك بعد. وقد لوحظ بأن اوباما ينفذ زيادة المساعدات العسكرية لإسرائيل للسنوات العشر

القادمة وهذا عمل غير مسبوق. كما يلاحظ أيضا التوسع السريع لاستثمارات الولايات المتحدة في مجال التكنولوجيا العالية في إسرائيل وأبرزها مصنع انتل الهائل الذي سيحدث ثورة في صناعة الرقائق. هناك علاقة وثيقة بين الحكومة وسياسة الشركات لأسباب واضحة وتوجد روابط قوية مشهورة ومستقرة أيضا بين العسكرة والذكاء.

سؤال: كيف سيؤثر قرار الرئيس الفلسطيني بتشكيل حكومة بدون مشاركة حماس على عملية السلام؟

جواب: إن شاء المرء أم أبى فإن حماس فازت بانتخابات حرة جرت في كانون الثاني ٢٠٠٦ لكن إسرائيل والولايات المتحدة (يتبعهما الاتحاد الأوروبي بأدب) ردوا بعقوبات قاسية على السكان بسبب هذه الخطيئة. إن المطلعين على التاريخ الحديث يدركوا بأن هذا الرد غير مفاجئ ولا رفض الطبقات المثقفة مواجهة ما يشير إليه هذا الرد بخصوص مفهوم(تعزيز الديمقراطية) أيضا. بعد ذلك سجنت إسرائيل الكثير من أعضاء الحكومة المنتخبة وحرضت مع الولايات المتحدة فتح للقيام بانقلاب عسكري للإطاحة بالحكومة وحين فشل الانقلاب أصبحت العقوبات أقسى على السكان ثم دعمت الولايات المتحدة البرامج الإسرائيلية الهادفة إلى سحق أهالي غزة وتوسيع النفوذ الإسرائيلي على الضفة الغربية واستمرت الولايات المتحدة وإسرائيل برفض الإجماع العالمي القديم بتسوية الدولتين. ما ذا تعني بالضبط بعبارة (عملية السلام) في هذه الظروف؟

سؤال: كان حق عودة اللاجئين الفلسطينيين عقبة في مفاوضات السلام السابقة. هل تعتقد بأنه سيظل كذلك مرة أخرى؟

جواب: في الحقيقة لا. من المفيد أن نفكر في الانقطاع الوحيد للرفض الأمريكي الإسرائيلي: في كانون الثاني عام ٢٠٠١ في الشهر الأخير لبيل كلينتون في منصبه. في أواخر عام ٢٠٠٠ أدرك كلينتون بأن مقترحاته في مؤتمر كامب ديفيد الفاشل لم يقبلها بها أي فلسطيني. في كانون الأول، اقترح (حلولا مشابهة) ليست دقيقة لكنها قريبة وأعلن بعدها بأن الطرفين قبلا لكن مع بعض التحفظات. التقى المتفاوضون الإسرائيليون والفلسطينيون في طابا ليحلوا خلافاتهم واقتربوا كثيرا من تسوية نهائية تتوافق تقريبا مع خط الإجماع العالمي وصرحوا في مؤتمرهم الصحفي الأخير بأنهم قد يصلون إلى اتفاق كامل في غضون يومين لكن إسرائيل ألغت المفاوضات قبل انتهائها ولم تستأنفها بشكل رسمي أبدا ـ أدت المباحثات الرسمية إلى اتفاقية جنيف في كانون الأول عام ٢٠٠٣. وتتوفر أدلة شاملة حول ذلك باللغتين العبرية والانكليزية. لقد توصلت مفاوضات طابا واتفاقية جنيف إلى نفس الصيغة: يجب أن تعترف إسرائيل بحق العودة لكن على الفلسطينيين أن يعترفوا بأنه لن يطبق داخل إسرائيل باستثناء أعداد صغيرة. قد يجادل المرء بأن النتيجة غير عادلة لكن في العالم الحقيقي هي أقصى ما يمكن تحقيقه. إن تعليق الآمال العقيمة أمام عيون اللاجئين البؤساء قلما يكون موقفا أخلاقيا برأيي.

سؤال: هل الهجوم الإسرائيلي على إيران سيناريو محتمل؟

جواب: لا احد يعرف. أوضحت إدارة بوش بأنها تعارض الهجوم. أثناء الحملة الرئاسية في ٢٠٠٨ ـ أكثر فترة حساسة في السياسة الداخلية (الوطنية) ـ ضغط اللوبي الإسرائيلي على الكونغرس ليمرر

قرار يرقى إلى مستوى الحصار ضد إيران وهو عمل حربي. جمع اللوبي كثيرا من أنصاره لكن المحاولة انتهت فجأة ربما لأن البيت الأبيض التابع لبوش أشار بأن القرار مرفوض. افترض بأن اوباما سيتابع هذه السياسة. اعتقد انه من الممكن تقنيا لإسرائيل أن تهاجم إيران باستخدام الغواصات المزودة بالصواريخ النووية. قد تكون النتائج قاسية جدا في مجالات كثيرة. لكن يجب أن نتذكر أيضا بأن الهجوم الإسرائيلي على مفاعل اوزيراك في العراق عام ١٩٨١ قد أطلق برنامج صدام حسين للأسلحة النووية وواضح ذلك بشكل محسوس من خلال الفحص المادي في الحال وأكده صحته الخونة الهاربون وحديثا استخبارات الولايات المتحدة المتقدمة.

عن الرأسمالية

نعوم تشومسكي في مقابلة مع ديفيد فينكل

ديترويت مترو تايمز ١٩٩١

ديفيد فينكل: دعنا نبدأ بموضوع الساعة, انهيار الاتحاد السوفييتي: هل هذا نصر لحرية السوق؟ هل حل مشكلة الرأسمالية أم انه سيخلق أوضاعا جديدة؟

نعوم تشومسكي: بداية اعتقد أن مصطلحات مثل(الرأسمالية) و(الاشتراكية) قد أفرغت من كل معانيها الجوهرية لدرجة لم اعد أرغب باستعمالها. لا يوجد شيء بعيد مثل الرأسمالية في بقاءها. لقد اختفى الحد الذي كانت فيه دائما في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين وكل مجتمع صناعي هو شكل أو آخر من رأسمالية الدولة. لكننا سنستخدم مصطلح (رأسمالية) في معناها الحالي تقريبا.

حسنا, ما حدث في العشر سنوات الأخيرة أو الخمسة عشر أن الرأسمالية مرت بفاجعة هائلة ومدمرة بشكل مميت. كانت هناك أزمة عالمية خطيرة في عام ١٩٨٠. إحدى القطاعات الرئيسية الثلاث لرأسمالية الدولة ـ ألمانيا التي تقود المجتمع الأوروبي, والقطاع الذي أساسه اليابان والولايات المتحدة. القطاع القاعدي – القطاعان الألماني والياباني نجيا من الهبوط لكن دون استعادة مستوى نموهما السابق. الولايات المتحدة نجت أيضا لكن بطريقة مشوهة جدا, باستقراض

هائل وبتدخل كثيف من الدولة. بقية العالم لم تنجو وخصوصا العالم الثالث. كانت هناك أزمة خطيرة، رقت إلى مستوى الكارثة في إفريقيا واسيا داخل النظام الغربي وأمريكا اللاتينية. ذلك ما أطلق عليه أزمة الجنوب وهي كارثة رأسمالية.

في العالم الثاني التابع الاتحاد السوفييتي كان هناك أيضا انهيار اقتصادي... ركود نظام الاقتصاد الموجه، الذي له علاقة اقل مع الاشتراكية مما لنظامنا علاقة بالرأسمالية. تعاضد هذا مع ضغوط قومية تطالب بالاستقلال وضغوط اجتماعية تهاجم النظام الاستبدادي الذي في بدايات ثمانينات القرن العشرين تحولت إلى أزمة التي تجلت الآن بانهيار الاتحاد السوفييتي.

إن ما حدث ليس له سوى علاقة قليلة بالسياسة الغربية وإنما يتعلق بشكل أساسي بالمشاكل الداخلية والأزمة العامة للمديونية للغرب أيضا. كان هناك أزمة في الإنتاج السوفييتي لكنها لم تكن بشدة مثيلتها في العالم الثالث. هذا نصر للغرب في الحرب الباردة، لكن لن يشك احد في النتيجة أبدا لو نظرت إلى العوامل الاقتصادية المتعلقة والعوامل الأخرى.

فينكل: اشرح بصورة أكثر قليلا ما تقصده برأسمالية الدولة

تشومسكي: انتصار الغرب في الحرب الباردة متحد مع هذه الكارثة الهائلة للرأسمالية والانتقال إلى نوع أخر من أشكال تدخل الدولة. مثال على ذلك إدارتي ريغان ـ بوش اللتان تعتبران أكثر الإدارات حمائية منذ الحرب العالمية الثانية، ضاعفتا الحصة على أرباح الصادرات الخاضعة إلى أشكال متنوعة من القيود. لو ألقيت نظرة

على بلدان العالم الثالث التي نجت من أزمة ١٩٨٠, فقد كانت(البلدان الصناعية الجديدة) في الفلك الياباني. المقارنة مع أمريكا اللاتينية مذهلة: حتى عام ١٩٨٠كان لهم نفس النماذج, بعدها عانت أمريكا اللاتينية من سقوط حر بينما نجحت الاقتصادات الأسيوية. لأن أمريكا اللاتينية كانت مفتوحة للاقتصاد العالمي بينما لم تكن أسيا كذلك. ليس لديك تهريب رؤوس أموال من كوريا الجنوبية لأن عقوبة ذلك هي الإعدام فهم لا يضبطون ويرعبون العمال في الطريقة المعتادة فقط بل ينظمون ويضبطون رؤوس الأموال أيضا. عموما إنها نقلة نحو نهاية احد أطياف رأسمالية الدولة - النهاية الفاشية - التي أثبتت فعاليتها في تجنب الأزمة العامة في الثمانينات.

فينكل: كيف تقييم إدارة بوش خصوصا في شروط السياسة المحلية؟ أين تواصل نهج الفترة الريغانية وأين تفارقه؟

تشومسكي: إنها استمرار لسياسات كارتر - ريغان. تذكر بأن سياسات ريغان قد اقترحها كارتر الذي لم تكن عنده القوة لفرضها. كارتر اقترح أساسا زيادة القوة العسكرية وريغان نفذها, ماعدا أن ريغان صعدها في البداية بسرعة كبيرة ثم قللها لاحقا.

اقترحت إدارة كارتر أيضا مهاجمة نفقات الرفاهية ونظام الدعم الاجتماعي للقطاعات الأكثر فقرا ونفذتها إدارة ريغان بتأييد من الحزبين. ما وصلت إليه هذه السياسات هو تحويل الدولة أكثر من قبل إلى دولة رفاهية للأغنياء: دولة تدخلية جدا تصب الموارد في الصناعة التكنولوجية المتطورة وتبدد الثروات بعيدا عن الفقراء, وأرفقت ذلك بهجمات على طبقة العمال والحقوق المدنية.

إنها كما اعتقد سياسة صحيحة موضوعيا لذوي الامتيازات والأقوياء في بيئة معقدة عالميا. لقد دولوا رأس المال ليستفيدوا من العمال من خارج البلاد وزادوا حدة الحرب الطبقية لدرجة يشن فيها التجار حروبا دائمة ضد الفقراء والمحرومين.

إن برنامج إدارة بوش ليس له وجود في التعليم أو الطاقة أو البيئة. هناك لغط حول (تعليم الرئيس) وأي شيء آخر. لكن السياسات بقيت نفسها لأنه لم يكن هناك من أدرك كيفية الحفاظ على صناعة التكنولوجيا العالية دون دعم الدولة أو بدون أن يقدم البنتاغون سوقا مكفولة لمنتجاتها المهملة.

وبغياب من لديه البديل فإن النظام سيستمر من غير شك. ويطبق الشيء نفسه على السياسات المالية التي تقود الولايات المتحدة إلى شكل دولة من دول العالم الثالث في البنية التحتية والخدمات والمستويات المخزية في الصحة والأخلاق ـ مجتمع طبقتين منقسمتين بثروة هائلة وامتيازات وسط فقر ومعاناة. إنها ليست كالبرازيل لأنها مجتمع أكثر ثراء ـ لكنهما من نفس النموذج أساسا الذي أوجده اتفاق الحزبين.

تغيب القضايا عن الانتخابات الرئاسية عمليا كالرؤساء. مررنا بفترة ريغان أساسا بدون رئيس إطلاقا. فقد كان لا يستطيع قراءة خطه إلا بصعوبة وكان بوش إداريا بالمعنى الضيق جدا للكلمة. يوجد كثير من خلق الصورة الرمز ـ المحدث الكبير لريغان ورجل الدولة البارع الذي يتلاعب بالسياسة الدولية. انه تزييف مطلق: الشيء الوحيد الذي يعرفه هو كيف يضرب الناس الذين لا يعرفون المقاومة.

فينكل: في رحلاتك منذ مجزرة الخليج ما هي العلامات التي تبعث على الأمل التي تراها في حركات القاعدة؟

تشومسكي: منذ مدة كنت اخرج عن طريقي للذهاب إلى الأماكن الأقل تنظيما والأكثر رجعية حيث استطيع أن احصل على دعوة. خلال حرب الخليج كنت أتحدث في مناطق مثل جورجيا وابالاشيا وكارولاينا الشمالية ـ أماكن يعتبرها المنظمون مناطق معادية وحيث كان كل شخص أثناء الحرب يرتدي بزة السخرة.

رغم ذلك كنت أجد دائما بأن الناس يخرجون ومهتمون. اعتقد أن الناس متشائمون بشكل كبير؛ لا يؤمنون بأي شيء. ذلك يمكن أن يأخذ شكل من المغالاة الوطنية الهيستيرية لكنها رقيقة كالورق. وتأخذ شكلا آخر من الإحياء الديني الذي اعتقد انه بمستوى في هذه البلاد لدرجة يبدو فريدا في أماكن خارجية مثل إيران. أو تأخذ شكل من الانغمار بشيء آخر مثل العاب كرة القدم.

استمع إلى أخبار برامج الرياضة حين أقود سيارتي. شيء لا يصدق: يتحاور الناس في مجادلات طويلة ورفيعة المستوى حول ما كان يجب أن يفعله نيو انغلاند باتريوتس الأحد الماضي. يذكرني ذلك حين كنت في الثانية عشر من عمري وكنت استطيع أن أخبرك من كان لاعب خلف الوسط لتكساس كريستشان عام ١٩٣٧. محطة إذاعية رئيسية هنا في بوسطن بدلت نظامها من محطة إخبارية على مدار ال٢٤ ساعة إلى محطة رياضية على مدار ال٢٤ساعة.

فينكل: هل تعتقد أن تناذر فيتنام قد مات؟

تشومسكي: كلا لا اعتقد ذلك, ولا تعتقد الإدارة بذلك أيضا.

شخص ما سرب إلى مورين داود، صاحبة عمود الإشاعات في نيويورك تايمز، وثيقة هامة جدا ـ أول مراجعة للسياسة الدولية في الشهور الأولى من أدارة بوش التي أوردتها في عمود.

تقول الوثيقة انه عند مواجهة الخصوم الضعفاء جدا يجب هزمهم بسرعة وبشكل حاسم. لن يعود هناك تدخل تقليدي بعد ـ جنود الولايات المتحدة الذين قاتلوا في فيتنام سنوات طويلة ـ يجب أن تكون إما حرب سرية كما في البيرو الآن حيث لا يعرف أمريكي واحد من كل ألف بأن هناك قوات أمريكية أو لعبة بناما ـ العراق مع دعاية هائلة حول العدو الجاهز لتدميرنا وبعدها نصر سريع دون قتال. لم تكن هناك حرب في الخليج ـ لا قتال ـ بل مجرد مجزرة كما حدث في بناما تماما.

الولايات المتحدة فيها أساسا نظام الحزب الواحد

نعوم تشومسكي يقابله غابور شتيمغارت

دير شبيغل اونلاين، ١٠ تشرين الأول ٢٠٠٨.

شبيغل: بروفيسور تشومسكي انهارت كاتدرائيات الرأسمالية والحكومة المحافظة تقضي أسابيعها الأخيرة في المنصب مع خطط التأميم. بماذا يشعرك ذلك؟

تشومسكي: الأوقات صعبة جدا والأزمة أقسى من تحملها بشماتة. النظر إليها من هذا المنظور، في الحقيقة كان حدوث أزمة مالية متوقع تماما من حيث طبيعتها العامة إن لم يكن بحجمها. إن الأسواق عاجزة دائما.

شبيغل: ما الذي تتوقعه بالضبط؟

تشومسكي: هناك أخطار في الصناعة المالية وغيرها من الصناعات لم تؤخذ في الحسبان. لو بعتني سيارة، فقد نعقد صفقة جيدة لنا الاثنين. لكن هناك تأثيرات لهذه الصفقة على الآخرين الذين لم نضعهم في حسباننا. فهي تعني مزيد من التلوث وتصاعد أسعار البنزين وزيادة الاكتظاظ. تلك هي تكاليف صفقتنا. في حالة المؤسسات المالية فالآثار ضخمة.

شبيغل: لكن أليست مسؤولية البنك هي عدم المخاطرة؟

تشومسكي: نعم، لكن لو كانت الأمور مرتبة جيدا لاستطاعت

غولدمان ساكس مثلا أن تغطي مجازفاتها وتمتص خسائرها لكن لا تستطيع أي مؤسسة مالية أن تدير المجازفات المنهجة. لهذا بتخفيض سعر المجازفة لن ترتكب مزيد من المجازفات الأخرى وتكون محترسة نحو الاقتصاد. إلغاء الحكومة لقيود التنظيم وانتصار التحررية المالية زادا حدة المجازفات المنظمة واحتمال الإعصار المالي.

شبيغل: لكن هل يصح أن نوجه اللوم لوول ستريت فقط؟ ألم تعش مين ستريت والطبقة الوسطى الأمريكية أيضا وتقترض الأموال التي قد تسدد أو لا؟

تشومسكي: عبء دين العائلات الخاص هائل. لكن لا اعتبر ذلك مسؤولية الأفراد. هذه الروح الاستهلاكية مبنية على حقيقة أننا كنا مجتمع تسيطر عليه مصالح الشركات وتلك الدعاية الضخمة الموجهة للجميع لكي يستهلكوا. الاستهلاك مفيد للأرباح والاستهلاك مفيد للمؤسسة السياسية.

شبيغل: كيف ينتفع السياسيين من الجماهير حين تقود السيارات وتأكل وتتسوق كثيرا؟

تشومسكي: التسوق يلهي الشعب. لا يمكنك السيطرة على شعبك بالقوة لكن يمكنك إلهاءهم بالاستهلاك. كان هدف الصحافة التجارية واضحا بهذا المجال.

شبيغل: منذ مدة نعتت أميركا بأعظم امة على الأرض. كيف يتوافق مع ما تقوله الآن؟

تشومسكي: في نواحي كثيرة. الولايات المتحدة دولة عظيمة. حرية الكلام محفوظة فيها أكثر من أي دولة أخرى وهي مجتمع حر أيضا.

في أميركا يتكلم البروفيسور مع الميكانيكي. كلاهما في نصف التصنيف.

شبيغل: بعد رحلة طويلة في الولايات المتحدة قبل ١٧٠عام كتب اليكس دو توكوفيل في تقريره.(الناس الذين يحكمون العالم السياسي في أمريكا كالآلهة التي تحكم الكون.) هل كان يحلم؟

تشومسكي: كان موقف جيمس ماديسون في الاتفاقية الدستورية هو أن سلطة الدولة يجب أن تستخدم (لحماية الأقلية الثرية من الأكثرية.) لهذا السبب لا نرى في مجلس الشيوخ سوى مئة عضو اغلبهم من الأغنياء وأعطيت لهم سلطة عظيمة بينما مجلس النواب بأعضائه المئات والأكثر ديمقراطية فقد أعطي سلطة اقل. حتى الليبراليين مثل ولتر ليبمان احد أهم المثقفين البارزين في القرن العشرين, كان من الرأي الذي يرى انه في الديمقراطية الفاعلة كما ينبغي, يجب تحكم وأن تحمى الأقلية الذكية من (دوس وزئير القطيع المرتبك). من بين المحافظين عبر نائب الرئيس ديك تشيني مؤخرا في تصريح حول فهمه للديمقراطية فسئل لماذا يؤيد استمرار الحرب في العراق (بما أن كل الأمريكان يعارضونها بقوة) كان جوابه: (ولو؟)

شبيغل: التغيير هو شعار الانتخابات الرئاسية هذا العام. هل ترى أي فرص فورية وملموسة في الولايات المتحدة لذلك؟ أو لنستخدم صيحة اوباما في معركته: (هل انتم متحمسون؟)

تشومسكي: كلا ولا بأي شكل من الأشكال. رد الفعل الأوروبي وهم.

شبيغل: لكنه قال أشياء كان الأوروبيون ينتظرونها منذ زمن طويل. لقد تحدث عن الشراكة عبر الأطلسي، وأولية الدبلوماسية ومصالحة المجتمع الأمريكي.

تشومسكي: ذلك كله كلام. من يهتم بذلك؟ كل هذه الحملة الانتخابية تتعامل مع الخطابات السامية والأمل والتغيير وكل أنواع الأشياء لكن بدون قضايا.

شبيغل: هل تفضل الفريق الآخر: محارب فيتنام القديم مكين وساره بلين ملكة جمال ألاسكا السابقة؟

تشومسكي: ظاهرة ساره بلين غريبة جدا. اعتقد لو كان شخص من المريخ يراقبنا لظن بأن البلاد قد فقدت صوابها.

شبيغل: كبار المحافظين والمقترعين المتدينين ارتعدوا

تشومسكي: يجب أن لا ننسى بأن هذه البلاد أسسها المتدينون المتعصبون. منذ جيمي كارتر، لعب الأصوليون المتدينون دورا في الانتخابات. هو أول رئيس استفاد من إظهار نفسه كمسيحي مولود ثانية. ذلك أشعل ضوء صغيرا في أذهان مدراء الحملات الانتخابية: تظاهر بأنك متعصب دينيا وبإمكانك قطف ثلث الأصوات مباشرة. لم يسأل احد إن كان لندن جونسون يذهب إلى الكنيسة كل يوم. بيل كلينتون متدين بقدر تديني أنا يعني صفر لكن مدراء حملته استفادوا من التأكيد على أنه كان كل صباح احد يرتل أناشيده الدينية في الكنيسة المعمدانية

شبيغل: ألا يوجد أي شيء يجذبك إلى مكين؟

تشومسكي: في وجه واحد هو اصدق من خصمه. هو أوضح

صراحة بأن هذه الانتخابات ليست حول القضايا بل حول الشخصيات. الديمقراطيون ليسوا صادقين تماما رغم أنهم يرونها بنفس الطريقة.

شبيغل: إذا هل يمثل لك الجمهوريون والديمقراطيون نفس البرنامج السياسي لكن مع اختلافات طفيفة؟

تشومسكي: طبعا هناك اختلافات لكنها ليست جوهرية. يجب أن لا يكون هناك أي وهم لدى احد. الولايات المتحدة فيها أساسا نظام الحزب الواحد والحزب الحاكم هو حزب مشترك.

شبيغل: أنت تبالغ. هناك مواقف مختلفة في كل القضايا تقريبا من ضريبة الأغنياء حتى الطاقة النووية. يختلف الحزبان كثيرا في قضايا الحرب والسلم على الأقل. يريد الجمهوريون القتال في العراق حتى النصر حتى لو استمر مئة عام، حسب ما جاء عن مكين بينما يطالب الديمقراطيون بخطة للانسحاب.

تشومسكي: دعنا ننظر إلى (الاختلافات) من قرب أكثر وسندرك بأنها محدودة وساخرة. يقول الصقور(لو واصلنا سنفوز. ويقول الحمائم إنها تكلفنا كثيرا جدا.) لكن حاول أن تجد سياسيا أمريكيا يقول بصراحة أن هذا العدوان جريمة: القضية ليست إن كنا سنربح أم لا أو إن كانت مكلفة أم لا. انك تذكر الغزو السوفييتي لأفغانستان؟ هل كان لدينا مناظرة ونقاش إن كان الروس سيفوزون أم أنها ستكلفهم الكثير؟ هذا محتمل أن يكون حوار الكرملين أو البرافدا. لكن هذا هو الحوار الذي يمكن أن تسمعه في مجتمع استبدادي ديكتاتوري. لو استطاع الجنرال بترايوس انجاز في العراق ما أنجزه بوتين في الشيشان لتوج ملكا. السؤال الرئيسي هنا إن كنا

سنطبق المقاييس التي نطبقها على الآخرين على أنفسنا.

شبيغل: ما الذي يمنع المثقفون من طرح هذه الأسئلة والإجابة عليها ونقدها؟ أنت مدحت حرية الكلام في الولايات المتحدة.

تشومسكي: العالم الثقافي توافقي جدا. هانس مورغنثاو، مؤسس نظرية العلاقات الدولية الحقيقية، شجب مرة ما سماه(الخضوع التوافقي للسلطة) من جانب المثقفين. كتب جورج اورويل أن الوطنيين الذين هم عمليا كل الطبقة المثقفة في البلاد، ليس فقط لا يستنكرون جرائم دولهم وإنما لديهم القدرة البارزة على عدم رؤيتها. هذا صحيح. نحن نتكلم كثيرا عن جرائم الآخرين. عندما يصل الأمر إلى جرائمنا الخاصة نكون وطنيين بالمعنى الاورويلي.

شبيغل: الم يكن ولا يزال هناك احتجاج كبير في الولايات المتحدة وفي كل العالم ضد حرب العراق؟

تشومسكي: إن الاحتجاج ضد الحرب في العراق اكبر من الحرب في فيتنام. حين كان هناك ٤٠٠٠قتيل في فيتنام وانتشار١٥٠٠٠٠جندي لم يهتم احد. حين غزا كندي فيتنام عام ١٩٦٢ كان هناك تثاؤب.

شبيغل: لننهي، هل يمكنك أن تدلي بكلمة ترضية عن حال الأمة؟

تشومسكي: لقد أصبح المجتمع الأمريكي أكثر تحضرا ويعود اغلب ذلك إلى حركة الناشطين في ستينات القرن العشرين. مجتمعنا والمجتمع الأوروبي أيضا أصبحا أكثر حرية وانفتاحا وديمقراطية ومخيفا جدا للكثيرين. هذا الجيل حكم عليه بذلك. لكنه مؤثر.

شبيغل: بروفيسور تشومسكي نشكرك على هذه المقابلة.

انبعاث الجنوب

نعوم تشومسكي يقابله مايكل شانك

فورين بوليسي ان فوكس، ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٨.

مايكل شانك: أطلقت سبع من دول أمريكا اللاتينية بنك الجنوب في كانون الأول عام ٢٠٠٧ استجابة للمعارضة المتزايدة للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومؤسسات مالية عالمية أخرى. ما أهمية هذا التحول وهل سيثير تجاوبا في البلدان النامية؟ وهل سيقوض قدرات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي يوما ما؟

نعوم تشومسكي: اعتقد انه مهم جدا خصوصا لأن البرازيل تدعمه وهي اكبر دولة بعكس الانطباع السائد هنا. إن البروبوغاندا الأمريكية والغربية تحاول أن تخلق شقا بين اليسار الجيد واليسار السيئ. اليسار الجيد مثل لولا في البرازيل والمقصود بها الحكومات التي كانوا سيطيحون بها قبل أربعين سنة لكنها ألان أملهم الوحيد ومنقذهم. لكن ذلك الانشقاق مصطنع. من المؤكد أنهم مختلفون. إن لولا ليس شافيز لكنهم يتقدمون بشكل جيد ويتعاونون في موضوع بنك الجنوب.

يمكن للبنك أن يثبت بأنه مؤسسة قادرة على المنافسة. هناك مشاكل كثيرة في المنطقة. لكن من ابرز الأشياء التي حدثت في أمريكا الجنوبية قبل بضع سنوات من الآن هو أنهم بدؤوا للمرة الأولى

منذ الغزو الاسباني بالتغلب على الصراعات والانقسامات بين بلدانهم. لقد كانت قارة مفككة ومتفسخة. لو نظرت إلى أنظمة النقل والمواصلات ستجد بأنها لا تخدم مصالحهم المشتركة وإنما وجهت لخدمة السلطة الامبريالية التي كانت مسيطرة التي كانت ترسل الثروات رؤوس الأموال إلى الخارج، وتملك نخبتها القصور الفخمة على الريفيرا.

وكانت هناك أيضا شق هائل بين النخبة الغنية البيضاء المتأوربة وبين باقي السكان. لأول مرة تمت مجابهة هذين النوعين من الانحلال في داخل البلدان وبين بعضها. لا يمكن القول لقد تم التغلب عليهما ولكنهما تجابهان وبنك الجنوب احد الأمثلة.

وما يحدث في بوليفيا نموذج مدهش فعلا. تسيطر النخبة البيضاء المتأوربة وهي أقلية طبعا على أكثر الثروات الهيدروكاربونية. ولأول مرة تصبح بوليفيا دولة ديمقراطية لهذا كرهها الغرب الذي يحتقر الديمقراطية بقوة لأنها خطيرة جدا. لكن عندما استولت الأغلبية السكانية الأصلية فعليا على السلطة السياسية للمرة الأولى في انتخابات ديمقراطية جدا ومن النوع الذي لا يمكننا تخيله هنا، كان رد الفعل في الغرب معاديا جدا. أتذكر مقالة نشرتها فايننشال تايمز تشجب موراليس لانتقاله إلى الديكتاتورية لأنه دعا إلى تأميم النفط. دون أن يذكروا عبارة بدعم من ٩٠٪ من السكان. لكن حين لا تفعل ما تأمر به الولايات المتحدة فهو استبداد والديكتاتورية أما الاعتدال حين تكون مثل السعودية التي تفعل ما يقال لها.

هناك الآن تحركات باتجاه الاستقلال الذاتي في قطاعات النخبة

المسيطرة في بوليفيا. ربما انشقاق وقد تدعمه الولايات المتحدة لتقويض تطور النظام الديمقراطي التي ستقوم به الأغلبية السكانية الأصلية والقيام بدورها المناسب في الحصول على الحقوق الثقافية والسياسية والسيطرة على الثروات وعلى السياسة الاقتصادية وهكذا. يحدث هذا في أماكن أخرى من العالم لكنه مدهش في بوليفيا.

إن بنك الجنوب خطوة نحو تكامل هذه البلدان. ويمكنه أن يضعف الآي اف ايز وفي الحقيقة تم ذلك. لقد طرد صندوق النقد الدولي من أمريكا الجنوبية وقالت الأرجنتين بصريح العبارة(حسنا نحن خلصنا أنفسنا من صندوق النقد الدولي) ولأسباب وجيهة جدا. كانت الأرجنتين نموذجا دعائيا لطفل صندوق النقد الدولي واتبعت سياسياته بشدة التي أدت إلى انهيارها الاقتصادي الفظيع. لقد انسحبت من الانهيار ورفضت بشكل قاطع نصائح صندوق النقد الدولي ونجحت في ذلك حيث استطاعت هيكلة ديونها بمساعدة فنزويلا التي تحملت الجزء الأعظم من الديون. وسددت كذلك البرازيل ديونها بطريقتها الخاصة وتخلصت من صندوق النقد الدولي وبوليفيا تتحرك بنفس الاتجاه.

إن صندوق النقد الدولي الآن في ورطة لأنه يخسر احتياطاته. كان يعمل بجمع الديون وان أعادت البلدان هيكلة ديونها أو رفضت أن تسدد فسيقع في ورطة. بالمناسبة يمكن للبلدان أن تشرع رفضها لتسديد القسم الأكبر من الدين لأنه في الدرجة الأولى غير قانوني (في رأي على الأقل). مثلا إن أقرضتك مالا واعرف بأنك مجازفة طائشة لكي احصل على فائدة عالية ثم أخبرتني بعد مدة بأنك لم تعد

تستطيع الدفع أكثر من ذلك فأنا لا استطيع أن اطلب من جيراني كي يجبروك لتدفع لي ولا استطيع أن اطلب من جيرانك أن يسددوا الدين لي. لكن تلك هي الطريقة التي يعمل بها صندوق النقد الدولي. يقرض الأموال للأنظمة الديكتاتورية والنخب دون أن يكون للأغلبية السكانية أي علاقة به ويحصل على فوائد عالية لأن القرض فيه مجازفة واضحة وحين يقول المقترضون بأنهم لا يستطيعون الدفع يقول الصندوق حسنا جيرانكم سيسددون الدين عنكم وسمي ذلك بالتعديل الهيكلي ويدفع الجيران. ذلك هو صندوق النقد الدولي عبارة عن كارتل للدائنين. وقد تكون ضرائب الشمال أعظم من ذلك.

إن البنك الدولي ليس نفس المؤسسة لكن هناك نفس النوع من الصراعات والمواجهات المستمرة. في بوليفيا احد الأحداث الرئيسية الخلفية التي أدت إلى ثورة الأغلبية السكانية الأصلية واستيلائها أخيرا على السلطة السياسية كان محاولة البنك الدولي خصخصة المياه عملا برأي الاقتصاديين الذين اخبروها بأن يدفع السكان سعر السوق وغيره والقيمة الحقيقية وكانت النتيجة بأن الفقراء وهم غالبية السكان لن يستطيعوا أن يشربوا الماء واخبروهم بأن هذه ليست سوى مظاهر خارجية ولا تقلقوا منها.

ما فعله السكان كان صراعا كبيرا اغلبه في كوشابامبا ـ اجبر الفلاحون شركات الماء العالمية بيشتل وغيرها على الانسحاب ودعمتهم حركة التضامن هنا. واجبر البنك الدولي على الانسحاب من المشروع وغيره. لكن من جانب آخر كانت بعض الأشياء التي قام بها بناءة ولم يكن مؤسسة هدامة تماما لكن ذلك يضعف أيضا.

نفس الشيء يحدث في أسيا. خذ بنك التطوير الأسيوي. في زمن الأزمة المالية الأسيوية في عام ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨، أرادت اليابان أن تعمل من خلال البنك وتنشئ احتياط ضخم يمّكن الدول من النجاة من أزمة الدين بدلا من أن تبيع أصولها للغرب. منعت الولايات المتحدة ذلك لكنها لم يعد تستطيع فعل ذلك ثانية. كانت الاحتياطات في البلدان الأسيوية مرتفعة جدا. وفي الحقيقة إن الولايات المتحدة تعيش على التمويل القادم من اليابان والصين اللتان تدعمان الاقتصاد لاستهلاكي والمقترض جدا هنا. لا اعتقد أن الولايات المتحدة تستطيع أن تقول في هذا الوقت لبنك التطوير الأسيوي (أنا آسفة لا تستطيعون القيام بذلك). وذلك مشابه لبنك الجنوب وتحدث أشياء مشابهة الآن في الشرق الأوسط في الصناديق السيادية وغيرها.

مايكل شانك: مع هذه المؤسسات الصاعدة في العالم النامي كبدائل عن البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ما هي المبادرات المشابهة التي ستنبثق هناك المتعلقة بالعملات؟

نعوم تشومسكي: لقد حدثت مسبقا. لقد قامت الكويت بتحرك محدود باتجاه سلة عملات وتحركت الإمارات ودبي نحو صناديق التنمية الخاصة بها وان انضمت إليهما العربية السعودية وهي الأكبر والاهم سيصبحون مركزا رئيسيا مستقلا للتمويل والقروض والشراء وغيره. لقد بدأ هذا بالحدوث مسبقا وبدؤوا الاستثمار في الدول الغنية في المنطقة وخصوصا في شمال أفريقيا. صناديق تمويل تنموية منفصلة. إنها حركة محدودة فنخبها لا تريد أن تغضب الولايات المتحدة وهي تعتمد عليها كثيرا.

تعتمد الصين بالخصوص على السوق الأمريكية ولا تريد تقويضها كذلك اليابان. لهذا تريدان شراء سندات الخزانة بدلا من استثمارات أكثر ربحا لكي تدعم اقتصاد الولايات المتحدة التي هو سوقهما. لكن الوضع هش جدا. قد تلتفتان إلى مكان آخر وقد بدأتا بفعل ذلك. لا اعتقد بأن هناك من يعرف ماذا سيحدث لو أن تلك الدول ذات الاحتياطات الغنية تحولت إلى استثمار مربح بدلا من دعم اقتصاد الولايات المتحدة الاستهلاكي جدا والمدان جدا.

شانك: يقاوم الغرب تأميم البلدان لمخزونها من النفط والغاز لكن تلك النزعة يتم تجاهلها. إلى أين يتجه هذا؟ هل ترى بأن البلدان الغنية بالنفط والغاز ستجتمع معا وتؤسس سوقا بديلة؟

نعوم تشومسكي: حاولت تلك البلدان مع اوبيك التي قامت بذلك لكن عليها أن تواجه حقيقة أن الغرب لن يسمح بحدوث ذلك. لو عدت إلى عام ١٩٧٤، حين كانت الحركة الأولى للبلدان النفطية نحو استقلالها النفطي. اقرأ ما كتبه الصحفيون والمعلقون الأمريكيون. فقد قالوا ليس لهم حق في النفط وقال الكتاب المعتدلون بأن النفط يجب أن يدول لمصلحة العالم كله. الثروة الزراعية الأمريكية يجب أن لا تدول لكن نفط السعودية يجب لأنهم لا يتقيدون بما نأمرهم به بعد.

أكثر الأشخاص تطرفا كما اعتقد كان ايرفينغ كريستول الذي قال بأن الأمم التافهة مثل الناس التافهون تنال أهميتها بالوهم أحيانا لهذا عصر دبلوماسية البوارج لن ينتهي أبدا، سوف نأخذه منهم بالقوة. وقال روبرت تكر الاختصاصي المشهور في العلاقات الدولية والمعتدل جدا إنها ستكون فضيحة لو تركناهم يفلتون بدون عقاب

بـإدارة ثـرواتهم. لمـاذا نحـن جالسـون هنـا ولـدينا القـوة العسـكرية للاستيلاء عليها. ارجع إلى شخص مثل جورج كينـان الـذي يعتبر مـن أعظم الإنسانيين. حين كان في القطاع المخطط، في أواخـر أربعينـات وبداية خمسينات القـرن العشـرين قـال بأنـه ربمـا الإجـراءات القاسـية ضرورية لحماية ثرواتنا - التي حدث أن كانت في بلدان أخـرى وهـي مصادفة جغرافية. إنها ثرواتنا ويجب أن نحميها بأقسى الإجراءات بما فيها الدول الأمنية وغيرها.

خذ بيل كلينتون الذي كان لديه مذهب وكل رئيس له مذهبه. كان اقل وقاحة من بوش ولم ينتقد كثيرا لكن مبدأه كان أكثر تطرفا من مذهب بوش لو اخذ بحرفيته. مبدأ كلينتون الرسمي الذي قدم للكونغرس كان أن للولايات الحق الأحادي الجانب في استخدام القوة المسلحة لتحمي الأسواق والثروات. مبدأ بوش قال يجب أن نجد ذريعة، يجب أن ندعي بأنهم يشكلون تهديدا. لكن مبدأ كلينتون لم يصل إلى ذلك الحد فليس هناك حاجة لأي حجة. من خلال الأسواق والثروات لنا الحق بضمان سيطرتنا عليها وهذا منطقـي حسب المبدأ الذي يرى بأننا فزنا بالعالم لذلك لنا ذلك الحق طبعا.

سوف تبذل جهودا كبيرة وتتعمق في الطيف السياسي لكي تجد أي انحراف عن هذا المبدأ. لهذا إذا كانت الدول الغنية بالنفط تحاول حقيقة أن تسيطر بنفسها على ثرواتها سيكون هنـاك رد فعل قاسـي جدا. للولايات المتحدة نظام عسكري تصرف عليه أكثر مما يصرفه كل العالم على جيوشه وهناك سبب لذلك غير الدفاع عن حدودها.

شـانك: هـل تعتقـد بـأن الهنـد ستميل باتجـاه روسـيا والصـين في

ولائها أم هل ستظل مرتاحة باتفاقيتها بعد النووية مع الولايات المتحدة؟

تشومسكي: سوف تسلك الاتجاهين. جزء من هدف الاتفاقية النووية من وجهة نظر الولايات المتحدة هو محاولة تشجيع الهند للانتقال إلى الفلك الأمريكي. لكن الهنود يلعبون لعبة مزدوجة. فهم يحسنون علاقاتهم مع الصين أيضا. علاقات تجارية وعلاقات أخرى وتتحسن الاستثمارات المشتركة. لم يتم قبولها كعضو لكنها عضو مراقب رسمي في منظمة تعاون شانغهاي وهي منظمة صينية في اغلبها لكنها كبيرة ومتطورة ويمكن أن تكون ندا لحلف الناتو وتشمل دول وسط أسيا روسيا بثرواتها الهائلة والصين باقتصادها المتنامي الكبير أما الهند وباكستان مراقبان وقبلت إيران المهمة كمراقب أيضا وقد تنضم إليهم. لكنها استثنت الولايات المتحدة.

أرادت الولايات المتحدة الانضمام كمراقب ورفض طلبها. وأعلنت المنظمة رسميا بأن قوات الولايات المتحدة يجب أن تغادر الشرق الوسط. وهي جزء من تحرك نحو تطوير ما يدعى شبكة أمنية للطاقة الأسيوية وخطوات أخرى سوف تدمج تلك المنطقة وتسمح لها بالانتقال إلى الاستقلال عن السيطرة الامبريالية الغربية. لم تنضم كوريا الجنوبية بعد لكنها قد تفعل ذلك وهي قوة صناعية رئيسية ولا تزال اليابان موافقة على القيام بدورها كدولة تابعة للولايات المتحدة لكن لن يؤثر.

لهذا هناك ثلاث تطورات مركزية تحدث في العالم كله الآن.

نعوم تشومسكي لا تغيير مع اوباما

مقابلة يجريها افشين راتانسي

بريس تيفي ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٩.

بريس تيفي: بروفيسور تشومسكي من الأفضل لنا أن نبدأ باكستان. لم يعلق البيت الأبيض على قتل الناس [بقيام الطائرات التي بدون طيار بهجمات حدودية تتطلق من أفغانستان على الأراضي الباكستانية]. إن ريتشارد هولبروك الرجل الذي كتبت عنه في سياق يوغسلافيا هو الذي اختاره الرئيس اوباما ليجد حلا للوضع.

تشومسكي: حسنا, من الواضح جدا أن اوباما قبل بمبدأ بوش الذي يرى بأن الولايات المتحدة تستطيع قصف باكستان بحرية وكانت هناك حالات خطرة جدا.

كان هناك كثير من الفوضى والقتال في إقليم بيشاور المجاور لأفغانستان وقال زعماء القبائل وآخرون هناك بأن إحدى عمليات القصف طالت مدرسة وقتلت حوالي أكثر من ثمانين شخصا كما لا اعتقد بأن هذا الخبر الذي ذكرته الصحافة الباكستانية طبعا قد بث في الولايات المتحدة.

لقد اشار برويز هودبوي في ذلك الوقت هو الفيزيائي النووي المشهور في مقال منشور له بأن هذا النوع من المجازر سيولد بالطبع الإرهاب وردود الفعل التي تهدد دولة باكستان نفسها وهذا ما يحدث

الآن ونرى الكثير منه.

كانت أول رسالة من الحكومة الباكستانية للجنرال ديفيد بيتراوس، الجنرال الأمريكي القائد الآمر للمنطقة بأنهم لا يريدون أي قصف آخر لباكستان.

وكانت عمليا الرسالة الأولى من الرئيس حامد كرازاي الأفغاني مثلها أيضا وأنه لا يريد مزيد من القصف. وقال أيضا بأنه يريد جدولا بانسحاب القوات الأجنبية، الولايات المتحدة والقوات الأخرى من أفغانستان. وتم تجاهل ذلك طبعا.

بريس تي في: وهؤلاء المبعوثون الثلاثة، ربما لم يتم الإعلان عن الثالث بعد لكن بعض الناس عبروا عن تفاؤلهم بمنصب جورج ميتشل كمندوب للشرق الأوسط.

لقد تبين بأن لريتشارد هولبروك دور في مذبحة سيبرينيكا بعد أن تقصينا عنه وتحدثنا مع وزير الخارجية الصربي حوله هنا ودينيس روس مندوبا لإيران طبعا.

تشومسكي: حسنا لدى هولبروك سجل مرعب ليس كله في يوغسلافيا بل قبل ذلك. مثلا دوره في الأعمال الوحشية في تيمور الشرقية حين كان المسؤول الرسمي المكلف فقد تملص من وقف دعم الولايات المتحدة لهم وعموما سجله قذر جدا.

دعنا نقول بأن جورج ميتشل هو الأكثر احتراما بينهم وله سجل محترم من المناصب المتنوعة التي شغلها انجازاته في ايرلندا الشمالية حيث كان هناك هدف.

كان الهدف أن يضع البريطانيون نهاية إلى لجوءهم للعنف ردا

على إرهاب الجيش الثوري الايرلندي وان يعتنوا بالمظالم المشروعة التي كانت سببا للإرهاب. لقد نجح في ذلك فقد اهتمت بريطانيا بالمظالم وتوقف الإرهاب لذلك نجحت العملية.

لكن لم يجر التخطيط لمثل هذه النتيجة في الشرق الأوسط، وخصوصا للمشكلة الفلسطينية ـ الإسرائيلية. اقصد ، يوجد هناك حل وحل صريح مشابه جدا للحل البريطاني. تستطيع إسرائيل وقف جرائمها التي تؤيدها الولايات المتحدة في الأراضي المحتلة وبعدها ستتوقف ردود الفعل. لكن هذا ليس على الأجندة.

في الواقع إن الرئيس اوباما أجرى مؤتمرا مشوقا تماما بصدد ذلك. لقد أثنى على مبادرة السلام الملتوية، المبادرة السعودية التي صادقت عليها الجامعة العربية، وقال أن فيها عناصر بناءة فقد دعت إلى تطبيع العلاقات مع إسرائيل وطالب الدول العربية أن تستمر في تلك (العناصر البناءة) أي تطبيع العلاقات.

لكن ذلك تزييف فادح لمبادرة الجامعة العربية. دعت مبادرة الجامعة العربية إلى قبول تسوية الدولتين ضمن الحدود الدولية وكان هذا إجماع عالمي طويل وأضافت المبادرة أنه في حال انجاز ذلك تطبع الدول العربية العلاقات مع إسرائيل.

حسنا، لقد حذف اوباما القسم الأول وهو القسم الهام والحاسم وجوهر الحل لأنه يفرض التزاما على الولايات المتحدة. لقد وقفت الولايات المتحدة لوحدها ثلاثين عاما وهي تمنع تنفيذ هذا الإجماع العالمي الذي عزل الولايات المتحدة وإسرائيل تماما قبل الآن.

لقد قبلت بالمبادرة أوروبا وبلدان أخرى وحماس والسلطة

الفلسطينية والجامعة العربية منذ سنين ولم يسدها سوى الولايا المتحدة وإسرائيل ليس بالكلام وإنما بالأفعال المستمرة التي تحدث يوميا في الأراضي المحتلة وفي حصار غزة أيضا وأعمال وحشية أخرى.

لهذا كان حذف العبارة كان مقصودا وهي ضرورية لكي لا تنضم الولايات المتحدة لن تنضم إلى العالم في السعي إلى تحقيق تسوية دبلوماسية, وما دام هذا هو الوضع فإن مهمة ميتشل فارغة.

بريس تي في: هل هناك تناقض بأن جورج ميتشل تحدث طبعا مع أعضاء الجناح العسكري الجيش الثوري الايرلندي.

بنفس الوقت, حسنا لقد كنا نغطي القتال في غزة على هذه القناة (بريس تيفي), التي قصفت مراكزها الرئيسية وعلمنا الآن بأن الجنود الإسرائيليين لن يعطوا أسماءهم ولم تنشر أسماء الناس خوفا من المقاضاة.

ومع ذلك قال البعض أن اوباما قال بأن الحدود يجب أن تفتح. هل علينا أن نرى أي تغيير في السياسة هناك؟

تشومسكي: لقد قال ذلك فعلا, لكنه لم يقصد حقيقة الطلبات الأخرى الكثيرة التي في سياقه . وإسرائيل ستقول أيضا انه يجب أن تفتح الحدود لكنه لا يزال يرفض الحديث مع الحكومة المنتخبة (حماس), مختلف تماما عن ميتشل في ايرلندا الشمالية.

هذا يعني بأن الفلسطينيين يجب أن يظلوا معاقبين لتصويتهم في انتخابات حرة بالطريقة التي أرادت الولايات المتحدة أن يصوتوا فيها وصادق على اتفاق غونداليسا رايس ـ تسيبني ليفني لإغلاق الحدود المصرية مع غزة الذي هو عمل من الغطرسة الامبريالية.

إنها ليست حدودهم وعارضت مصر في الوقع ذلك لكن اوباما استمر وقال يجب أن نتأكد من عدم تهريب أسلحة عبر الأنفاق إلى قطاع غزة لكنه لم يقل شيئا عن الإرسال الهائل لأشد الأسلحة فتكا إلى إسرائيل.

في الحقيقة في منتصف الهجوم على غزة في ٣١ كانون الأول أعلن البنتاغون انه كلف سفينة ألمانية لإرسال ٣٠٠٠ طن من المواد الحربية لإسرائيل. لم ينجحوا لأن الحكومة اليونانية منعتها لكن كان من المفترض أن تمر من اليونان لكنها ذهبت من مكان آخر. هذا في منتصف الهجوم على غزة تماما.

فعليا, لم يكن هناك نقل لهذه الأنباء سوى القليل من الأسئلة. رد البنتاغون بطريقة ممتعة. قالوا, حسنا هذه المواد لن تستخدم في الهجوم على غزة وفي الحقيقة هم يعرفون بأن لدى إسرائيل خطط لوقف الهجوم قبل مراسم التنصيب مباشرة لهذا لن يقول اوباما شيئا عنها.

لكن البنتاغون قال إن هذه المواد تستخدم قبل تموضع قوات الولايات المتحدة. بعبارة أخرى, هذا ما كان يحدث منذ زمن طويل لكن هذا موسع ومعزز لدور إسرائيل كقاعدة عسكرية للولايات المتحدة على حافة المناطق الرئيسية المنتجة للنفط في العالم. وان حصل وسئلوا لماذا فعلوا ذلك سيجيبون بأنها للدفاع أو الاستقرار لكنها بالأساس لعمل عدواني آخر.

بريس تيفي: يتحدث روبيرت غيتس والأدميرال مايك مولين عن جدول زمني من ستة عشر شهر للانسحاب من العراق كأحد الخيارات ويختلف قولهما قليلا عما قاله اوباما في حملته الانتخابية.

كما قالت هيلاري كلينتون بالخصوص أنها مستعدة لمحو كل إيران وقتل ٧٠ مليون مواطن. ما هي التغييرات التي تراها بما يتعلق بالعراق وإيران ؟

تشومسكي: ما حدث في العراق مهم ومثير جدا. ولم يعرف ويفهم ما حدث سوى قلة من المراسلين من ذوي الخبرة الحقيقية مثل باتريك كوكبيرن وجوناثان ستيل وواحد أو اثنين آخرين غيرهما.

إن ما حدث هو تلك الحملة البارزة من المقاومة غير العنيفة في العراق التي أجبرت الولايات المتحدة بالتدريج على التراجع عن برامجها وأهدافها. لقد اجبروا قوات الولايات المتحدة المحتلة بأن تسمح بانتخابات لم ترغب بها الولايات المتحدة وحاولت التملص منها بكل السبل.

استمروا من هناك واجبروا الولايات المتحدة بأن تقبل شكليا على الأقل على وضع اتفاقية قوات سوف تلغي أكثر الأهداف العسكرية للولايات المتحدة إن التزمت بها أدارة اوباما. سوف تتخلص من القواعد العسكرية الدائمة الضخمة التي بنتها الولايات المتحدة في العراق ولن تظل للولايات المتحدة السيطرة على قرارات كيفية الوصول إلى مصادر النفط واستعمالها. وبذلك ضاع هدف الحرب كلها.

طبعا هناك سؤال إن كانت الولايات المتحدة ستلتزم بها أم لا وما نقلته يندرج بين إشارات مهمة يحاولون التملص من الالتزام بها. لكن ما حدث كان ذوى مغزى حقيقي، ومصداقية حقيقية للشعب العراقي الذي عانى بطريقة بائسة. اقصد أن البلاد دمرت بالكامل لكنهم نجحوا في إجبار الولايات المتحدة على التراجع رسميا عن أهدافها

الرئيسة في الحرب.

في الحالة الإيرانية, تصريحات اوباما ليست ملتهبة كتصريحات كلينتون لكنها ترقى إلى درجة كبيرة من التشابه. حسنا, ماذا يعني بكل الخيارات؟ يفترض بأنها تشمل الحرب النووية لأنها احد الخيارات.

لا توجد أي إشارة بأنه سيبادر بالخطوات التي يريدها الشعب الأمريكي. لقد فضلت الغالبية الساحقة من الأمريكيين ومنذ سنين كما وافقت حركة عدم الانحياز على انه يجب أن يكون لإيران الحقوق الممنوحة لموقعي معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية بأن تطور طاقتها النووية.

يجب أن لا تعطى الحق بتطوير أسلحة نووية والمثير أكثر أن نفس النسبة المئوية حوالي ٧٥٪ إلى ٨٠٪ من السكان يطالبون بتأسيس منطقة خالية من الأسلحة النووية في المنطقة التي تشمل إيران وإسرائيل وكل القوات الأمريكية هناك مع كل أنواع التحقق من ذلك وغيره.

ذلك يمكن أن يستأصل احد الأسباب الرئيسية للصراع. لا توجد أي إشارة بأن إدارة اوباما تفكر بأي شيء حول هذا الموضوع.

بريس تيفي: أخيرا بروفيسور تشومسكي طبعا أنت –هذا خبر مهيمن وربما حياة الشعب الأمريكي في العالم كله ـ وهذا الصفقة التي قيمتها ٨٢٥ بليون دولار. كيف تعتقد أن الناس في عهد اوباما سيعالجونها؟

تشومسكي: لا احد يعرف فعلا. اقصد ما يحدث في الاقتصاد غير مفهوم جيدا. انه مبيني على تلاعبات مالية عويصة من الصعب فك

رموزها. اقصد الإجراء العام مفهوم لكن هل ال٨٠٠ بليون دولار أو ربما محفزات حكومية أكثر ستتغلب على الأزمة, هذا ليس معروفا.

لقد أنفقت ال٣٥٠ بليون دولار الأولى مسبقا ـ تلك المدعوة بالإنقاذ المالي الجزئي لكنها ذهبت إلى جيوب المصارف. كان من المفترض أن تبدأ بالإقراض المجاني لكن أصحابها قرروا عدم القيام بذلك.سوف يثرون أنفسهم ويستردوا رؤوس أموالهم ويستولوا على المصارف ـ بالدمج والاستملاك وغيره

إن كان الحافز التالي سيكون له أثرا فهذا يعتمد كثيرا على كيفية استعماله وإن كان سيرصد كي يستخدم في أهداف بناءة ويعتمد أيضا على العوامل التي لم تعرف بعد, مثل عمق الازمة التي نحن فيها. أنها أزمة في كل أرجاء العالم وأزمة خطيرة جدا. من المفاجئ واللافت للنظر أن البلدان الغربية تتعامل مع الأزمة تماما مثل النموذج الذي تفرضه على بلدان العالم الثالث حين تكون هناك أزمة

لهذا حين كانت أزمة في اندونيسية والأرجنتين وأي دولة أخرى, يفترض بالدولة المأزومة رفع معدلات الفائدة كثيرا جدا وخصخصة الاقتصاد وتقليص النفقات العامة وإجراءات كهذه. في الغرب يحدث العكس تماما: تخفيض معدلات الفوائد إلى الصفر والانتقال نحو التأميم في حالات الضرورة وضخ الأموال في الاقتصاد واقتراض ديون ضخمة.

ذلك عكس الطريقة التي من المفترض أن يسدد العالم الثالث ديونه فيها ويبدو بأنها ستمر دون تعليق بارز. هذه الإجراءات الموصوفة قد تحرك الاقتصاد ثانية, بينما هي كارثة على آخرين غيرهم.

حول الطبيعة الإنسانية

نعوم تشومسكي تقابله كيت سكوبر

ريد بيبر،اب ١٩٨٨ .

سؤال: لقد قلت سابقا أن أي موقف يأخذه الشخص بشأن قضية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى شخصية يكون مبينا في الأساس على مفهوم ما للطبيعة البشرية. لماذا؟

تشومسكي: يبنى أي موقف على مفهوم ما هو مفيد للناس. هذا المفهوم سيفترض ضمنا اعتقادا محددا بالنسبة لتكوين الطبيعة الإنسانية ـ الحاجات الإنسانية والإمكانية الإنسانية ويمكنك أيضا إصدارها بوضوح بقدر الإمكان لكي يمكن مناقشتها

سؤال: حسب رأيك بالطبيعة الإنسانية، كل الكائنات البشرية تمتلك وظائف بيولوجية معينة تمنحهم قدرات عقلية مشتركة. كيف تدافع عن هذا الوضع ضد نقاد ما بعد الحداثة الذين يرون بأنه لا توجد مثل هذه الأشياء في الطبيعة الإنسانية وكل المحاولات لتحديدها وتوضيحها ناتجة عن قراءة الثقافات الأخرى على ضوء المفاهيم والقيم الغربية؟

تشومسكي: لا يستطيع حتى ما نقاد ما بعد الحداثة المتطرفين القول جديا بعدم وجود الطبيعة البشرية. قد يناقشون بأن الصفات الدقيقة للطبيعة الإنسانية صعب تجسيدها ـ هذا صحيح بالتأكيد.

لكن من المستحيل الجدال بشكل متماسك بعدم وجود الطبيعة البشرية الشاملة الجوهرية (الفطرية). هذا يعادل الاعتقاد بأن الخلية الإنسانية الملقحة القادمة يمكن أن تتطور إلى حشرة أو سرطان. إن ما بعد الحداثيين قد يقصرون تأكيدهم على إنكار أي اثر للطبيعة الإنسانية على تكويننا العقلي وقيمنا ومعرفتنا وحاجاتنا ورغباتنا الخ. وهذا لا معنى له أيضا. سيجادل هؤلاء بأن الطفل الذي يكبر في نيويورك سوف يطور طريقة معينة من التفكير وان تربى ذلك الطفل وسط قبائل الأمازون يجب أن يطور طريقة مختلفة تماما في التفكير. هذا صحيح. لكننا يجب أن نسأل بعدها كيف يستطيع الطفل تطوير هذين الشكلين المختلفين من الوعي. في أي بيئة يجد الطفل نفسه فيها سوف يشيد عقليا ثقافة غنية ومعقدة على أساس الظواهر المحدودة المبعثرة جدا التي يتعرض لها. يخبرنا هذا الاعتبار (مسبقا بأي معرفة مفصلة) بأنه يجب أن يكون هناك موجه غير عادي ومكون تنظيمي للعقل داخلي.

نستطيع البدء بملاحظة الطبيعة الإنسانية من خلال قدرات محددة لتطوير سمات عقلية محددة. اعتقد نستطيع المضي إلى ابعد من هذا ونبدأ باكتشاف المظاهر الكونية الشاملة لهذه السمات العقلية التي تحددها الطبيعة الإنسانية. اعتقد بأننا نستطيع إيجاد هذا في منطقة المبادئ الأخلاقية. مثلا, منذ زمن غير بعيد تحدثت مع أناس في القبائل الأمازونية واعتبرت من البديهي بأنهم يملكون نفس مفهومي للفضيلة والرذيلة لأنها القيم المشتركة التي تمكننا من التواصل - التكلم عن المشاكل الحقيقية مثل إجبار السلطات على إخراجهم من

الغابات. اعتقد بأنني كنت على صواب بافتراض هذا: لم يكن لدينا مشكلة تواصل رغم أننا كنا بعيدين جدا ثقافيا.

سؤال: هل توحي بأن كل الأشخاص يتفقون على طبيعة الفضيلة والرذيلة؟

تشومسكي: في الحقيقة اعتقد بأن لديهم درجة عالية جدا من الاتفاق. دليل قوي صغير على هذا هو أن كل واحد ـ جنكيز خان وهيملر وبيل غيتس –يخلقون قصصا عن أنفسهم يفسرون فيها أفعالهم على أنهم يعملون لمنفعة البشرية. حتى في المستويات القصوى من الفساد، لم يتباه النازيون بأنهم يريدون قتل اليهود، وإنما أعطوا مبررات مجنونة ـ كفعل دفاعي عن النفس. من النادر أن يبرر الناس أفعالهم بالقول(أنا افعل هذا لأزيد منفعتي للحد الأقصى ولا اهتم بما يحدث للآخرين.) سيكون ذلك سلوكا مرضيا.

سؤال: اغلب الناس يحاولون بالتأكيد أن يقدموا مبررات أخلاقية لما يفعلونه. لكن هناك أيضا تنوع هائل فيما يفعلونه ويدافعون عنه على انه حق

تشومسكي: وهناك كثير من التنوع في حجم (قياس) الناس. تمشى في المتحف حيث تجد دروع القرون الوسطى وانظر إلى أحجامها: لا يمكنك وضع طفل في داخلها الا بصعوبة. لدينا نفس الجينات اليوم كما لدى الناس آنذاك لكننا اختلفنا عنهم جدا بسبب التغيير الجذري في النظام الغذائي. هذه خاصية التطور العضوي. لهذا يجب أن لا ندهش حين نكتشف انه خاصية لطبيعتنا الاجتماعية ومواقفنا الأخلاقية وهكذا. نحن كائنات بيولوجية.

سؤال: لكن اعتقد انك توافق بأن الثقافات لا تتساوى في قابليتها للحياة من منظور تعزيز تحقيق آمال الإنسان وسلامته؟ هل تريد أن تثبت أن فهمك للطبيعة الإنسانية يمكن أن يعطيك نوعا من الفهم الموضوعي لشروط الازدهار الإنساني؟

تشومسكي: لنأخذ الآن موقف الجوهريين الذي ينكره النسبيون. ولا أحب الابتعاد إلى ذلك الحد. يمكننا تطوير مفهوم أقوى للطبيعة الإنسانية من خلال الدنو من الفكر التنويري بخصوص هذه القضية الذي كان له بعض الدعم من العلوم الأخرى وقد بني بشكل أساسي على تقصي فلسفي متعمق لآمالنا وبديهياتنا وتجربتنا وتفحص للتاريخ والتنوع الثقافي. هناك احتياجات للشروط التي تسمح بازدهار القدرات الإنسانية. يبين لنا التنوير بأن الناس بحاجة إلى العيش في تجمع حر مع الآخرين. ليس هناك حاجة لاستبدال القيود الاجتماعية بالروابط الاجتماعية. لذلك أي تركيب اجتماعي يتضمن علاقات من الهيمنة ـ إن كانت العائلة أو الشركات العابرة أو العلاقات الجنسية ـ تتطلب عبء ثقيل من الإثبات. إذ يجب على تلك العلاقات أن توضح بأن الفوائد التي تقدمها ترجح على القيود التي تفرضها على القدرات الإنسانية وان لم تستطع إثبات شرعيتها يجب أن تفكك وتنهى.

سؤال: صحيح. هل يمكن أن أسألك عن موقفك من إمكانية العوائق البيئية على تحقيق الحاجات الإنسانية؟ هل تعتقد ـ حتى لو وجدت الإرادة السياسية لانجاز ذلك ـ أنه بإمكان الأسباب البيئية توفير الظروف الضرورية لاستمرار الازدهار الإنساني؟

تشومسكي: ربما يكون البشر كائنات عضوية غير قابلة للحياة

سؤال: هل تعتقد بأنهم كذلك؟

تشومسكي: من المحتمل جدا. من منظور تطوري يبدو الذكاء الأعلى سيء التكيف أكثر مما هو متكيف. الكائنات العضوية الناجحة بيولوجيا لها طبيعة صلبة وتتكيف جيدا مع ظروف بيئية ملائمة محددة. إن ساعد الذكاء العالي على التكيف فانك تتوقعه بأن ينشأ مرارا وتكرارا. لكنه لم يفعل ذلك. لقد نشأ في كائن عضوي واحد ـ الجنس البشري الذي هو ليس ناجحا بالخصوص. وحين توسع السكان البشريين تطورت المجتمعات البشرية بطريقة سببت ضررا كبيرا بالبيئة. إن سلالة البشر قد تدمر نفسها وكثير من الحياة العضوية معها.

سؤال: هل تعتقد أن اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية يمنع أو يقوي نزعات محددة ـ مثل النزعة الطبيعية نحو السلوك الأناني والعدواني الذي يفرضه السوق الرأسمالي والمجتمع؟

تشومسكي: لا يوجد أي شك في ذلك. دعنا نأخذ ألمانيا مثالا التي كانت في بدايات القرن العشرين أكثر منطقة متقدمة في الحضارة الغربية ـ في الموسيقى والفنون والعلوم لكنها بعد مرور سنوات قليلة دخلت في أحط مستوى في التاريخ البشري. تغير بسيط في المجتمع الألماني سمح بازدهار أشخاص مثل مينغل بدلا من مثل اينشتاين وفرويد. السوق تجربة خطيرة وتنتهك الحاجات والقدرات الإنسانية. يمكنك مشاهدة ذلك في الصراعات العنيفة اللازمة لفرض شروط السوق على الناس. في الولايات المتحدة مثلا حوالي سدس الإنتاج القومي الصافي أي أكثر من تريليون دولار في السنة مخصص للتسوق.

التسوق تلاعب وخداع يحاول أن يحول الناس إلى شيء، ويغير تركيز طبيعتهم الموجه نحو أنفسهم كأفراد إلى الاهتمام بمضاعفة استهلاكهم للبضائع التي لا يحتاجونها.

سؤال: بالتسليم بحقيقة ما قلته حول قدراتنا الإنسانية المميزة على الحرية والعمل التعاوني، كيف أصبحنا عرضة مكشوفة لذلك النوع من التلاعب والغش؟ وهل نبقى أسيري الظلم والاضطهاد عالميا ومحليا؟

تشومسكي: إنها قضية خطيرة. لماذا ولدنا أحرارا وانتهينا مستعبدين؟

سؤال: هل هناك حالة هنا تبين أن العوامل الاجتماعية عاملا حاسما أكثر من العوامل البيولوجية؟

تشومسكي: لا يمكنك القول أيهما أكثر حسما. إنهما مترابطان. خذ مثال البلوغ: تغييرات بسيطة في التغذية تستطيع أن تعدل بداية البلوغ بعامل أو اثنين، أو حتى تقضي عليه نهائيا. أو الجهاز البصري: في الهرة الصغيرة يمكنك إتلاف الأساس العصبي للرؤية بعدم تقديم نموذج محرض في الأسبوعين الأولين من حياتها. على أي حال هل يعني هذا أن البيئة هي القوة الحاسمة؟ لا. البلوغ هو عملية تمر بها الكائنات الإنسانية في مرحلة محددة من النضوج لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي صممت عليها. انك لا تمر بفترة البلوغ لمجرد الضغط النظير. وبالمثل، لا تتطور الأطراف البشرية إلى أجنحة بدلا من أيدي وأرجل. يضع المكون الوراثي حدودا صارمة يكون التنوع ضمنها ممكنا. اعتقد بأن ذلك صحيح بالنسبة لتطورنا الاجتماعي والعقلي.

سؤال: هدفك السياسي النهائي انك فوضوي, تآكل مؤسسات الدولة وكل أشكال السيطرة الاستبدادية. لكنك اعترفت أيضا بحاجة الدفاع عن بعض أشكال تنظيم الدولة كالحماية ضد السوق المنفلتة نهائيا. هل يمكنك قول المزيد عن رؤيتك لعملية التحول السياسي الممكن هذه ذات الحدين ؟

تشومسكي: أنا لست من مؤيدي وضع الناس في أقفاص. وبالمقابل اعتقد بأن الناس يجب أن يكونوا في أقفاص إن كان هناك نمر مفترس يتجول في الخارج وان خرجوا خارج القفص سيقتلهم ذلك النمر لهذا هناك مبررات للأقفاص أحيانا. هذا لا يعني بان الأقفاص شيء جيد. إن سلطة الدولة مثال جيد عن القفص الضروري. هناك نمور مفترسة سميت بالشركات عبر القومية وهي واحدة من بين مؤسسات ديكتاتورية مستبدة اخترعها المجتمع وهناك قفص اسمه الدولة وهو إلى حد ما تحت السيطرة الشعبية وهذا القفص يحمي الناس من نهب الشركات لهذا هناك حاجة مؤقتة للحفاظ على القفص والى توسيعه أيضا.

سؤال: كيف يتجلى الطموح إلى الحرية اليوم؟

تشومسكي: الفترة الحالية مشجعة بشكل لا يصدق. هناك بعض حركات الناشطين في مناطق عديدة أكثر من أي وقت مضى اذكره - صراعات عمالية وقضايا بيئية واحترام الثقافات الأخرى. لا أتذكر زمنا كان فيه مثل هذا العدد الكثير من الناس المستعدين والمتشوقين لتولي العمل المباشر. إن الوضع أفضل بكثير عما كان في القرن التاسع عشر أو في ستينات القرن العشرين. لم تظهر حركة المساواة

بين الجنسين والحركات البيئية وحركات التضامن إلا في العشرين سنة الأخيرة لكنها مبعثرة جدا ومشوشة ففي الولايات المتحدة مثلا لا يدري أهل حي ما بالناس الذين يقومون بنفس العمل في حي آخر من مدينتهم. لكن ذلك لن يلغي حقيقة التواصل العميق بين هذه الحركات المختلفة.

كلها تناضل من اجل التحرر الإنساني. إنها تحاول تحرير الناس من القيود التي تعيق عيش الحياة الإنسانية مثل نقص الغذاء أو العمل الكريم العوائق التي تفرضها هيمنة العلاقات الاجتماعية أيضا يحثها على ذلك التضامن والتكافل.

أبدت الحركات الحديثة توسيعا هاما لعالمها الأخلاقي وقبل أناس المسؤولية اتجاه قطاعات أوسع من الناس. إن الاهتمام بالناس القبليين الأصليين أمر جديد كما أظهرت الحركة البيئية تضامنا يمتد لأجيال المستقبل وهذا جديد أيضا. هذه التغييرات الأخلاقية تضاهي تلك التي ترافقت مع إلغاء العبودية.

سؤال: كيف ترى العلاقة بين العمل ووقت الفراغ في مجتمع أكثر تحررا؟

تشومسكي: بينت استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرهما أن الناس يقدرون وقت الفراغ ويفضلونه على السلع المادية. لذلك هناك محاولات دعائية رئيسية لقلب وعكس ذلك. سبب واحد لصرف أكثر من تريليون دولار سنويا على التسوق في الولايات المتحدة هو محاولة لتقويض ميولنا الطبيعية التي ترغب بوقت فراغ متحرر.

سؤال: كيف تتخيل تطور الحركات الراديكالية في المستقبل؟

هل نحتاج إلى رؤية توحيدية؟

تشومسكي: يجب أن تتطور الحركات بواسطة الناشطين أنفسهم بناء على الظروف المحلية ـ الإمكانيات والاستعداد والرغبة بالمجازفة ومستوى الفهم. ما يتوجب القيام به هو تغيير يومي. يكون اجتماع أحيانا أو مظاهرة وأحيانا أخرى عصيان مدني او إضراب عام أو سيطرة على مصنع. من المهم عدم التقيد برؤية مقيدة للمجتمع المستقبلي. قد يتبدل الوضع ليجعل ذلك المجتمع مستحيلا أو غير مرغوب فيه. كان ماركس هيكلي إلى أقصى حد. الأمر الأكثر أهمية هو التفاعل مع الظروف المحلية وتحويل قوى القمع إلى قوى من اجل التحرر. خذ مثلا تأليل الإنتاج. نفس التكنولوجيا التي استخدمت لتجريد العمال من مهاراتهم واستعبادهم يمكن أن تستخدم للقضاء على العمل الممل المخبل الذي ليس هناك من يريد القيام به. نحن نعرف مسبقا المدى الذي سننتهي إليه في عملية تحويل الرأسمالية دون أن يؤدي ذلك إلى سيطرة الدولة المركزية. يمتد هذا المدى من آراء النقابيين الفوضويين إلى اليساريين الماركسيين إلى شيوعيي المجالس الذين لديهم رؤية لامركزية للتنظيم الاجتماعي والتخطيط. نحن لا نعرف كيف سينجح ذلك لأن هذه هي الأشياء لا يمكن اكتشافها إلا بالمحاولة.

حول اللغة والثقافة

نعوم تشومسكي يقابله فيكتور اوسياتنيسكي

سؤال: أنت تمثل الطريقة الانثربولوجية في اللغويات. هل تعتقد أن اللغويات تستطيع أن تساهم في فهم المشاكل الفلسفية للطبيعة الإنسانية والثقافة؟

تشومسكي: شعوري أن الكائن البشري أو أي كائن حي معقد له نظام تراكيب معرفية تتطور كثيرا بالطريقة التي تتطور بها الأعضاء البدنية للجسم. يعني أنها فطرية في صفاتها الأساسية ويحدد التركيب الوراثي للكائن الحي شكلها الأساسي. طبعا، هي تنمو في ظروف بيئية معينة وتنتحل شكلا محددا يقبل بعض التنوع. إن أكثر ما هو مميز بين الكائنات البشرية هو الطريقة المحددة التي تتطور فيها تشكيلة منوعة من التراكيب المعرفية المشتركة.

ربما أكثر هذه التراكيب تعقيدا هي اللغة. في دراسة اللغة يمكننا أن نكتشف خواص أساسية كثيرة لهذه التراكيب المعرفية مثل تنظيمها وميولها الوراثية التي توفر الأساس لتطورها. لهذا من هذا المنظور اللغويات أولا وقبل كل شيء تحاول أن تميز الصفة الرئيسية للمنظومة الإدراكية الإنسانية

سؤال: هل اللغة إذا مفتاح للطبيعة الإنسانية؟

تشومسكي: في القرون الكثيرة الأخيرة من الفكر العلمي الغربي

كانت هناك نزعة الاعتقاد بأن الطبيعة الإنسانية مقتصرة على البنية المادية المرئية المباشرة للكائن الحي. أما بالنسبة لمظاهر الطبيعة الإنسانية الأخرى وخصوصا السلوك فلا توجد بنيات محددة وراثية ذات تعقيد متماثل للتنظيم الفسيولوجي المرئي للجسد. لهذا تدرس التراكيب الفسيولوجية الإنسانية والتراكيب الثقافية بطرق مختلفة عموما. الافتراض هو أن التراكيب الفسيولوجية تورث جينيا والتراكيب الثقافية تكتسب بالتعلم.

اعتقد أن هذا الافتراض خطأ. لا تكتسب أي بنية من هذه التراكيب بواسطة التعلم وإنما تنمو كلها بأشكال متشابهة وتعتمد أشكالها النهائية كثيرا على الاستعدادات الوراثية ولو فهمنا الأسس الفسيولوجية لهذه التراكيب فأشك بأننا سنجد تراكيب في الدماغ للتواصل الاجتماعي أو اللغة أو تحليل الشخصية – مجموعة منوعة كاملة من الأنظمة تطورت على أساس هبة بيولوجية محددة.

سؤال: هل تقصد أن كل سلوكنا فطري محدد وراثيا؟

نعوم تشومسكي: كلا. لكن التراكيب الأساسية لسلوكنا فطرية وتعتمد التفاصيل الدقيقة عن كيفية نموها على التفاعل مع البيئة.

سؤال: افترض بأن اللغويون استطاعوا وصف هذا التراكيب. هل تطبق تلك النتائج على كل نشاطاتنا الثقافية؟ هل نحن لا نفكر إلا من خلال اللغة؟ أم هل توجد أشكال غير لغوية من التفكير أيضا؟

نعوم تشومسكي: تحليل التراكيب اللغوية قد يساعد في فهم التراكيب الثقافية الأخرى. الآن لا اعتقد بوجود أي دليل علمي إن كنا لا نفكر إلا من خلال اللغة أم لا لكن الاستبطان يشير بوضوح جيد

بأننا لا نفكر إلا من خلال اللغة بالضرورة فنحن نفكر في الصور المرئية أيضا. نحن نفكر على ضوء الأوضاع والأحداث وهكذا. في أوقات كثيرة لا نستطيع أن نصوغ بالكلمات ما يعتمل في أذهاننا. من التجارب المألوفة والشائعة هي أن نقول شيئا ثم ندرك بأنه ليس ما نقصد وإنما هو شيء آخر.

ما ذا يعني هذا؟ وجود نوع من التفكير غير اللغوي يحدث حين نحاول تمثيله باللغة ونعرف بأننا نفشل في ذلك أحيانا.

سؤال: قرأت مرات كثيرة بأننا نفكر بواسطة اللغة ونشعر بوسائل غير لغوية.

نعوم تشومسكي: اعرف بأن هذا خطأ مني، على الأقل لو أشارت كلمة (لغة) إلى الانكليزية. وافترض بأنه خطأ من كل شخص آخر. لا اعتقد بأنك تواجه أي صعوبة إطلاقا في التقرير بأنك تفكر بحدث ما ثم تتصور حدوثه مع نتائجه وتبني تحليلا عقلانيا له دون أن تكون قادرا على أن تعبر عنه لفظيا بشكل ملائم بكل تعقيداته.

سؤال: لقد استخدمت تعبير تحليل منطقي. هل تعتقد بأن كل تفكيرنا عقلاني وخطي؟

نعوم تشومسكي: لا اعتقد أن كل التفكير نوع من البناء العقلاني. لكن لا اعتقد انه من الصحيح أن نعرف ونحدد الانقسام إلى عقلاني/غير عقلاني حسب قسمة لغوي/غير لغوي.

سؤال: هل يمكن أن تكون اللغة لا منطقية؟

نعوم تشومسكي: نعم، لذلك هذين البعدين لا يترابطان. صحيح أن اللغة خطية بمفهوم ما لكن هذا واضح كالقول بأن للفراغ المحسوس ثلاثة أبعاد.

سؤال: كما افهم، للغة أساس فطري بيولوجي. لكن استخدامها اجتماعي. ما رأيك بالوظائف الاجتماعية للغة؟ هل هي وسيلة للتواصل أصلا؟

نعوم تشومسكي: اعتقد بأن وجه مهم جدا للغة يتعلق بتوطيد العلاقات الاجتماعية والتفاعل. ويوصف ذلك كثير بالتواصل. لكن هذا مضلل جدا، اعتقد بوجود صنف ضيق من استخدامات اللغة حين تقصد التواصل. التواصل يشير إلى محاولة لجعل الناس يفهمون ما تقصد. وذلك بالتأكيد واحد من استخدامات اللغة، استخدام اجتماعي لها. لكن لا اعتقد بأنه الاستخدام الاجتماعي الوحيد لها. مثلا، يمكن أن تستخدم اللغة لتعبر أو توضح أفكارا لا تتعلق كثيرا بالسياق الاجتماعي إن وجد.

اعتقد أن استخدام اللغة وسيلة مهمة جدا وبواسطتها خلق هذا الجنس البشري بسبب طبيعته البيولوجية نوعا من الفضاء الاجتماعي ليضع نفسه في تفاعل مع الناس الآخرين. ليس لها علاقة كبيرة مع التواصل بالمعنى الضيق؛ أي أنها لا تشتمل على نقل المعلومات. يوجد كثير من المعلومات المنقولة لكن ليس مضمون ما قيل هو ما نقل. يوجد الكثير بلا شك من الاستخدامات الاجتماعية للغة، للتواصل أو لأغراض أخرى. لكن في الوقت الحاضر لا يوجد الكثير في طريق نظرية اللغويين الاجتماعيين من استخدامات اجتماعية للغة بقدر ما أدرك.

سؤال: ما هي إذا أعظم الانجازات في مجال اللغويات؟

نعوم تشومسكي: اعتقد أن أهم عمل يحدث عليه أن يتعامل مع البحث عن خصائص مجردة عامة لما سمي بالنحو الشامل: صفات اللغة العامة التي تعكس نوع من الضرورة البيولوجية بدلا من الضرورة

المنطقية؛ أي صفات اللغة التي ليست ضرورية منطقية لمثل هذا النظام بل الصفات الجوهرية الثابتة للغة الإنسانية التي تعرف دون تعلم. نحن نعرف هذه الصفات لكننا لا نتعلمها. ونستخدم معرفتنا لهذه الصفات كأساس للتعلم.

سؤال: هل نرث هذه الصفات جينيا؟

نعوم تشومسكي: نعم، يجب ذلك. في الحقيقة، بالنحو الشامل اقصد ذلك النظام من المبادئ والتراكيب الأساسية اللازمة لاكتساب اللغة التي تتكيف معها بالضرورة كل لغة.

سؤال: هل تقصد بأن هذا الأساس الجيني للغة كونيا وشاملا؟

نعوم تشومسكي: نعم هذا صحيح. لكننا جنس واحد فقط. يمكنك تخيل عالما مختلفا تطور فيه عدد من الأجناس بأنظمة لغوية مختلفة محددة جينيا. لم تحدث بشكل تطوري. ما حدث أن احد الأجناس تطور وصدف أن اشتمل على تشكيلة متنوعة من مبادئ مجردة فطرية من التنظيم اللغوي الذي لذلك بالضرورة يكبح كل لغة، وفي الحقيقة، يخلق الأساس لتعلم اللغة بطريقة تنظيم التجربة بدلا من تشكيل شيء تعلمناه من التجربة.

سؤال: هل هذه المعرفة ستساعد في فهم الطبيعة البشرية؟

نعوم تشومسكي: ستفعل ذلك من وجهين. الأول أنها بنفسها جزء من دراسة الذكاء الإنساني الذي ربما يكون المظهر المركزي للطبيعة الإنسانية. الثاني اعتقد أنها نموذج جيد لدراسة الصفات الإنسانية الأخرى التي يجب أن يدرسها علماء النفس بنفس الطريقة.

سؤال: هل تقصد بأن علم النفس يمكن أن يستفيد من اللغويات؟ هل يمكنك شرح ذلك؟

نعوم تشومسكي: شيء واحد نعرفه أنا وأنت هو اللغة. الشيء الآخر الذي كلانا يعرفه هو كيف تتصرف الأشياء في الفراغ الملموس. لدينا طرق هائلة معقدة لفهم طبيعة الفراغ المرئي. قسم جيد من علم النفس يجب أن يكون, وأصبح كذلك في السنوات الأخيرة, جهد لمحاولة اكتشاف المبادئ التي ننظم بها الفراغ المرئي. أود القول بأن هذا ينطبق على كل مجالات علم النفس المتعلقة بالدراسات الإنسانية. لكي نفهم, مثلا, كيف ينظم الناس الأنظمة الاجتماعية, يجب أن نكتشف المبادئ التي ننشئها لجعل بعض المجتمعات مفهومة.

سؤال: افهم بأننا نستطيع أن نمتلك نوع من النحو الشامل من الأشكال غير اللغوية للسلوك الإنساني أيضا. لكن إذا, كما قلت, وجهت لغتنا وسلوكنا بمبادئ شاملة, لماذا تختلف كثيرا في كل أنحاء العالم إذا؟

نعوم تشومسكي: اعتقد بأنه لا تختلف كثيرا جدا. اعتقد أننا ككائنات إنسانية نحن نسلم بشكل طبيعي بما هو متشابه بين البشر ومن ثم ننتبه إلى ما يميزنا وذلك انطباع كامل عن كوننا بشر. اعتقد بأن الضفادع لا تهتم بكونها ضفادع. فهذا تعتبره بديهيا. ما يهم الضفادع هو كونها ضفادع. من وجهة نظرنا هي تقريبا مثل بعضها البعض ومن وجهة نظرها هي تختلف عن بعضها جذريا.

وبالمثل بالنسبة لنا نحن مختلفون ولغاتنا مختلفة جدا ومجتمعاتنا مختلفة جدا لكن استطعنا انتزاع أنفسنا من وجهة نظرنا ونظرنا إلى الحياة الإنسانية بنفس الطريقة التي ينظر بها عالم الأحياء إلى الكائنات الحية يمكننا حينها رؤيتها بطريقة مختلفة كما أعتقد. تخيل مراقب غير بشري ينظر إلينا. سوف يصعق هذا المراقب بالتماثل

التام للغات الإنسانية مع الاختلاف الطفيف جدا بين لغة ولغة أخرى والأوجه البارزة التي تبدو فيها كل اللغات متماثلة. ومن ثم سيلاحظ بأننا لا نهتم بذلك لأن المناسب والطبيعي لغرض الحياة الإنسانية قبول كل شيء مشترك بشكل بديهي ولا نقلق أنفسنا بكل ذلك. إن كل ما يقلقنا هو اختلافاتنا.

سؤال: هل سيفكر هذا المراقب غير البشري بنفس الطريقة برموزنا وأفكارنا وحاجاتنا وقيمنا؟

نعوم تشومسكي: بكل تأكيد. اعتقد انه سيصعق من تشابه المجتمعات في كل مظاهرها. بل وأكثر من ذلك. دعنا نتخيل ثانية مراقبا ينظر إلينا دون أي تصور مسبق. اعتقد انه سيصعق بواقع أن كل الكائنات البشرية لديها نفس القدرة على تطوير المعرفة العلمية التي يجب أن تكون قدرة محدودة جدا لأنها تتم في مجالات ضيقة ومعينة. توجد مناطق ضخمة حيث العقل البشري غير قادر بوضوح على إنشاء علوم فيها أو على الأقل لم يقم بهذا كما توجد مناطق أخرى أوضحنا فيها القدرة على تقدم علمي حقيقي.

سؤال: الفيزياء

نعوم تشومسكي: الفيزياء والحقول المتفرعة منها ـ الكيمياء وبينية الجزيئات الكبيرة ـ في تلك المجالات، يوجد تقدم كثير. في مجالات أخرى كثيرة، هناك تقدم قليل جدا في تطوير الفهم العلمي الحقيقي.

سؤال: أليس ذلك لأن الإنسان يريد السيطرة على العالم المادي؟

نعوم تشومسكي: لا اعتقد كذلك. اعتقد انه ربما يعكس شيئا خاصا بطبيعة عقولنا. لا يوجد ضغط تطوري لخلق عقول قادرة على إنشاء العلوم. الضغط التطوري لم يؤد إلى إكثار عدد الناس القادرين

على حل المشاكل العلمية أو إبداع أفكار علمية بمعدلات عالية. لهذا إن تطورت قدرات تشكيل العلوم من أجل غايات أخرى فلن يكون مفاجئا لو أثبتت تلك التراكيب المحددة التي تطورت بأنها غير عادية بطبيعتها عاكسة إمكانية حدوث تطورها أو عمل القانون الفيزيائي.

سؤال: هل تقصد أننا ربما بفضل هذا المنشأ العرضي للعلم قادرون على تطوير بعض مبادئ العلو وغير قادرين على تطوير بعضها الآخر دون أن ندرك ذلك؟

نعوم تشومسكي: نعم، ككائنات بشرية نحن لسنا شاعرين بذلك لأننا نعتقد طبيعيا بأن بنياتنا العقلية شاملة. لكن اعتقد بأن عالم الأحياء الخارجي الذي يراقبنا سيرى شيئا مختلفا. سيرى ذلك، مثل كل الكائنات الحية الأخرى، لدينا محيط ضيق نحن ممتازون فيه لكنه محيط محدود. وفي الحقيقة إن الانجازات التي نستطيع تحقيقها ضمن ذلك النطاق مرتبطة بنقص الانجازات في نطاقات أخرى.

لا يمكن أن ننشئ نظرية علمية من البيانات ونميز بأنها نظرية معقولة إلا إن توفرت مبادئ صارمة مقيدة تؤدي إلى المضي في اتجاه واحد فقط. بغير ذلك لن يكون لدينا علم إطلاقا بل مجرد فرضيات انتقائية عشوائية. إضافة إلى ذلك ربما تكون فرص النبوغ الإنساني بلا حدود في التطور في اتجاه واحد لكن بنفس الوقت هذا النبوغ لن يسير في اتجاهات أخرى. وهذان الاعتباران مترابطان. الميزات نفسها التي تقدم للعقل البشري مدى هائل للنبوغ في بعض المجالات تقف نفسها عائقا أمام تقدمه في مجالات أخرى، كالمزايا التي تمكن الطفل من اكتساب لغة بشرية معقدة ومتسقة جدا تسد اكتساب أنظمة لغوية أخرى ممكن تخيلها.

سؤال: ما هي المجالات التي تعتبرها الأكثر تخلفا ومهملة؟

نعوم تشومسكي: اعتقد بأننا لا نملك شيئا في مجال السلوك الإنساني أساسا. ربما ذلك مجرد جهل مؤقت وربما لأننا لسنا مجهزين عقليا لتطوير نظرية كهذه.

سؤال: هل تقصد بأننا لا نملك أدوات لتطوير هذه النظرية فقط وإنما نحن عاجزون عن خلق الأدوات الضرورية؟

نعوم تشومسكي: نعم, الأدوات الفكرية. عقولنا مهيأة بالتحديد لتطوير نظريات معينة ويكون لدينا علم إن كانت النظريات المتاحة لعقولنا اقرب للحقيقة. حسنا, لا يوجد سبب محدد للافتراض بأن تقاطع النظريات الصحيحة والنظريات المتوفرة للعقل واسع جدا فقد لا يكون كبير.

سؤال: هل نستطيع أن نعرف حجمه على الأقل؟

نعوم تشومسكي: حجم ذلك التقاطع مسألة بيولوجية. وإن كان البشر كائنات حية كغيرهم من الكائنات الحية الأخرى وهم كذلك إذا يجب أن نتوقع انه لو كانت هناك بعض المجالات التي يمكن تحقيق تقدم علمي حقيقي فيها فستكون هناك مجالات أخرى لا يمكن فعل ذلك فيها.

التعليم جهل

مقتطف من حرب الطبقات،١٩٩٥ .

ديفيد بارزاميان: احد أبطال إحياء التيار اليميني المعاصر.... هو ادم سميث. لقد أجريت بحثا جيدا ولافتا للنظر حول ادم سميث وكشفت فيه عن معلومات كثيرة لم تكن معروفة وكنت تستشهد به دائما حين يصف (الحكمة الوضيعة لأساتذة البشرية: كل شيء لنا ولاشيء للآخرين)

نعوم تشومسكي: لم أقم بأي بحث حول ادم سميث وإنما قرأته فقط. انه ما قبل رأسمالي ومن الشخصيات البارزة في عصر التنوير. ماذا سنسمي الرأسمالية التي استخف بها. قرأ الناس قصاصات من ادم سميث الذي يتمثل بالعبارات القليلة التي تعلموها في المدارس. الكل قرأ الفقرة الأولى من *ثروة الأمم* حيث تكلم عن روعة تقسيم العمل. لكن قليل من الناس وصل إلى النقطة التي تأتي بعد مئات الصفحات، حيث قال بأن تقسيم العمل سيدمر الكائنات البشرية ويحول الناس إلى مخلوقات غبية وجاهلة بقدر ما يمكن أن تكون عليه لذلك يجب على الحكومات في أي مجتمع متمدن أن تأخذ بعض الإجراءات لمنع تقسيم العمل من الاستمرار حتى حدوده القصوى.

لقد قدم حجة بأن الأسواق تؤدي إلى مساواة تامة في ظل ظروف من الحرية التامة، واعتقد أيضا بأن تساوي الظروف (وليس الفرص فقط) هو ما يجب استهدافه. وقدم نقدا مريرا لما سماه بسياسات

الشمال والجنوب حين تكلم عن انكلترا والهند فقد انتقد بقسوة التجارب التي نفذتها بريطانية ودمرت فيها الهند.

وكتب ملاحظات تعتبر بديهيات حول الطرق التي تنجح فيها الدولة. أشار بأنه من العبث التام الحديث عن (الأمة) وما سنفعله هذه الأيام (بالمصالح الوطنية). ولاحظ ببساطة بأن مخططي السياسة الرئيسيين في انكلترا وهي موضوع نقاشه وأكثر مجتمع ديمقراطي في عصرها ـ هم (التجار وأصحاب المعامل) الذين يتأكدون بأن مصالحهم الخاصة (تنال الاهتمام بشكل استثنائي)(مهما كان الأثر على الآخرين). بمن فيهم شعب انكلترا الذي عانى من تلك السياسات. لم تكن البيانات متاحة له في ذلك الوقت لكنه كان محقا.

إن الحقيقة البديهية التي سميت بعد قرن من الزمن بتحليل الطبقات كانت صريحة عند ادم سميث ولا ضرورة للذهاب لتجدها عند ماركس وواضحة جدا لدرجة يراها فيها الطفل ذو العشر سنوات لهذا لم يعتبرها نقطة كبيرة بل ذكرها فقط. لكن ذلك صحيح. لو قرأت كل أعماله ستجد بأنه ذكي. انه من شخصيات من عصر التنوير. كانت دوافعه النشطة الافتراض بأن الناس يقودهم التعاطف ومشاعر التضامن والحاجة إلى السيطرة على عملهم ويشبه كثيرا غيره من مفكري عصر التنوير وبدايات الرومانتيكيين. هو جزء من تلك الفترة فترة التنوير الاسكتلندي.

إن النسخة التي قدمت عنه في هذا العصر سخيفة جدا. لكن لم أقم بأي بحث لأكتشف ذلك. لقد قمت ببحث صغير حول الطريقة التي عولج بها وكان ممتعا. لقد نشرت جامعة شيكاغو مثلا وهي الحصن العظيم للاقتصاد الحر الخ الخ طبعة في الذكرى المائتين للبطل، طبعة مدرسية مع كل الهوامش والمقدمة كتبها الحائز على

جائزة نوبل جورج ستيغلر مع فهرس ضخم، طبعة مدرسية حقيقية. تلك التي استخدمتها. الإطار المدرسي كان مشوقا ويشمل مقدمة ستيغلر. من المحتمل انه لم يفتح كتاب *ثروة الأمم* لأن كل ما قاله عن الكتاب زائف. ولقد ذكرت مجموعة من الأمثلة التي كتبت عنها في كتابي *٥٠١* وأماكن أخرى.

لكن فهرس الكتاب هو الأكثر متعة. ادم سميث معروف جدا بتأييده لتقسيم العمل. انظر إلى (تقسيم العمل) ستجد كثير وكثير من الأشياء المرتبة في قوائم. لكن هناك واحدة مفقودة، أعني شجبه لتقسيم العمل الذي اقتبسته توا ومفقود في الفهرس أيضا. ويستمر الوضع على هذا المنوال. لا أسمي هذا بحثا لأنه عمل استغرق عشر دقائق لكن لو نظرت إلى الدراسة ستجدها ممتعة. أريد أن أكون واضحا في هذا الخصوص. هناك دراسة جيدة لأدم سميث وان نظرت إلى دارسة جدية لسميث فإن ما قلته لن يفاجئ احد. كيف يمكن ذلك؟ لكن من جانب آخر لو نظرت إلى ادم سميث الخرافة التي بين أيدينا فالفرق هائل بينها وبين الحقيقة.

وهذا صحيح فيما يتعلق بكل الليبرالية التقليدية عموما. كان مؤسسو الليبرالية مثل ادم سميث وويلهلم فون همبولدت الذي كان واحدا من أعظم المؤيدين لليبرالية التقليدية والذي الهم جون ستيوارت ميل ـ لقد كانا ليبراليين اشتراكيين بهذا الشكل اقرأهما على الأقل. مثلا همبولدت يقول، تأمل حرفيا وهو يصنع شيئا جميلا، لو قام بذلك تحت إكراه قسري خارجي مثل الأجرة قد نعجب بما صنعه لكننا سنحتقره لما هو عليه هو. وبالمقابل لو صنعه بملء رغبته وحريته وتعبيرا إبداعيا عن نفسه وبإرادته الحرة وليس تحت قسر خارجي كعمل مأجور عندها سنعجب بما هو عليه لأنه كائن بشري. وقال أي

نظام اجتماعي ـ اقتصادي محترم سيكون مبنيا على الافتراض بأن الناس يتمتعون بحرية التساؤل والإبداع لأنها الطبيعة الأساسية للبشر ـ بالارتباط الحر مع الآخرين لكن بالتأكيد ليس تحت أنواع الإكراه الخارجية التي سميت بالرأسمالية.

وتجد الشيء نفسه حين تقرأ جيفرسون. الذي عاش بعده بنصف قرن لهذا رأى تطور رأسمالية الدولة وازدراها طبعا. وقال بأنها ستؤدي إلى شكل من الاستبداد أسوأ من الذي ندفعه عن أنفسنا. في الحقيقة، لو انك مررت بكل هذه الفترة سترى بوضوح نقدا لما نسميه اليوم بالرأسمالية ونسخة القرن العشرين منها بالتأكيد المصممة لتدمير الفرد بل حتى الرأسمالية التجارية منها.

يوجد تيار جانبي هنا لم ينظر إليه إلا نادرا لكنه ساحر أيضا. انه أدب الطبقة العاملة في القرن التاسع عشر فقد قال أدبائها الأشياء نفسها دون أن يقرؤوا ادم سميث أو فيلهلهم فون همبولدت . اقرأ صحفا أصدرها ما سمي ب(فتيات معمل لويل) وهن نساء شابات في المعامل وميكانيكيين وعمال آخرين كانوا يديرون صحفهم الخاصة فستجد نفس النقد. كانت هناك معركة حقيقية يخوضها العمال في انكلترا والولايات المتحدة للدفاع عن أنفسهم ضد ما أسموه بانحطاط وقمع وعنف النظام الرأسمالي الصناعي الذي لم يكن يجردهم من إنسانيتهم فقط بل ويقوض مستواهم الثقافي أيضا. لهذا حين تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر تجد أن تلك الشابات الصغيرات اللواتي عملن في معامل لويل في ماساشوسيتس كن يقرأن أدبا جادا معاصرا. لقد عرفن أن هدف النظام هو تحويلهن إلى أدوات يستغلها ويحط مستواها ويطردها من العمل وهكذا وقاتلن بضراوة ضد ذلك فترة طويلة. هذا هو تاريخ نشوء الرأسمالية.

القسم الآخر من القصة هو تطور الشركات وهو قصة مشوقة بحد ذاتها. لم يقل ادم سميث الكثير حولها لكنه انتقد المراحل المبكرة منها. عاش جيفرسون فترة طويلة ليرى البدايات وعارضها بقوة. لكن تطور الشركات حدث فعليا في بدايات القرن العشرين وأواخر التاسع عشر. لقد وجدت الشركات أصلا كخدمة عامة. يتجمع الناس لبناء جسر ويندمجون لذلك الغرض عن طريق الدولة لبناء الجسر فقط. كان يفترض بها ان تقوم بوظيفة للمصلحة العامة. كانت الدول تلغي عقود الشركات في سبعينات القرن التاسع عشر التي منحتها لها الدولة ولم يكن للشركات أي سلطة وكانوا ينهون عقودها لأنها لم تكن تقوم بدور شعبي. لكن بعد ذلك دخلت في فترة الائتمان والمحاولات المتنوعة لتعزيز السلطة التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر. من الممتع النظر إلى أدب القرن التاسع عشر. لم تقبل المحاكم بها وكانت هناك تلميحات حولها ولم تضع المحاكم والمحامون نظاما اجتماعيا–اقتصاديا حتى أوائل القرن العشرين. لم تنشأ الشركات من خلال تشريعات أبدا. لقد قام أكثرها بواسطة محاكم ومحامين ولايات منفردة. كانت نيوجيرزي الولاية الأولى التي وفرت للشركات الحقوق التي أرادتها. طبعا كل رأس المال الموجود في البلاد طار إلى نيوجيرزي فجأة للأسباب الواضحة. بعد ذلك اضطرت الولايات الأخرى للقيام بالمثل كي تدافع عن نفسها أو تنتهي. انه نوع من العولمة المصغرة. ثم جاءت المحاكم والمحامون وانشئوا كيانا كاملا جديدا لعقيدة أعطت الشركات السلطة والقوة التي لم تعرفها من قبل. لو نظرت إلى خلفيتها فستجد أنها نفس الخلفية التي أدت إلى الفاشية والبلشفية. ودعي كثيرا من الذين أيدوها بالتقدميين لهذه الأسباب: قالوا أن الحقوق الفردية انتهت ونحن في فترة من خضوع

السلطة للشركات وتعزيز تلك السلطة ومركزيتها. يفترض بأن يكون ذلك جيدا للتقدميين كالماركسيين اللينيين. أفرزت هذه الخلفية ثلاثة أشياء رئيسية: الفاشية والبلشفية والحكم الاستبدادي للشركات ونمت كلها من نفس الجذور الهيغيلية تقريبا. إنها حديثة نسبيا. نحن نفكر بالشركات بأنها أزلية لكنها أنشئت. كانت خطة مقصود كما قال ادم سميث رسمها: مخططو السياسة الأساسين ليقووا سلطة الدولة ويستخدمونها لمصالحهم ولم تكن إرادة الشعب بالتأكيد وإنما بالأساس مجرد قرارات محاكم ومحامين خلقت شكل من الحكم الاستبدادي الخاص الذي هو الآن اشد من أي دولة استبدادية عرفها التاريخ من أوجه كثيرة. هذه هي الأقسام الرئيسية لتاريخ القرن العشرين الحديث الذي سيرتعب الليبراليين الأصيلين لرؤيته. علما أن رؤية الأشياء الصغيرة فقط أرعبتهم. هذا ما فضح سمعة ادم سميث وجيفرسون وأمثالهما.

ديفيد بارزامان: ... أنت حليم جدا وصبور مع الناس وخصوصا الذي يسألون أتفه أنواع الأسئلة. هل هذا شيء تعلمته وهذبته؟

نعوم تشومسكي: أولا وقبل كل شيء، أنا أستشيط غضبا من الداخل عادة لهذا ما تراه من الخارج ليس بالضرورة ما هو بالداخل. لكن مهما كانت الأسئلة لا يزعجني منها سوى التي توجهها لي النخبة المثقفة. ما يتفوهون به هو ما يغيظني. لكن بالمقابل ما تصفه بالأسئلة التافهة فهي تدهشني عادة كأسئلة صادقة تماما. الناس الذين ليس لديهم أي سبب للاعتقاد بأي شيء سوى ما يقولنه هم. لو فكرت في المكان الذي أتى منه السائل والى ما تعرض له هذا الشخص لكان السؤال ذكيا وعقلانيا جدا. قد يبدو تافها من وجهة نظر أخرى لكنه ليس تافها إطلاقا ضمن الإطار الذي طرحه. فهو

عادة معقول جدا لهذا ليس هناك ما يستدعي القلق.

قد تأسف على الظروف التي تثير هذه الأسئلة. الشيء الذي تحاول فعله هو أن تساعدهم للخروج من سجنهم الثقافي الذي هو ليس عرضيا كما ذكرت. هناك جهود هائلة لجعل الناس يستعيروا عبارة ادم سميث (كأغبياء وجهلة بقدر ما يمكن أن يكون عليه الكائن البشري). جل النظام التعليمي مصمم لهذا الغرض لو فكرت فيه, انه مرسوم للطاعة والاستسلام. منذ الطفولة انه مصمم لمنع الناس من يكونوا مستقلين ومبدعين. لو كنت عقلا مستقلا في المدرسة فستتورط في مشاكل بوقت مبكر جدا. ليس تلك هي الصفة التي يجري تفضيلها وصقلها. حين يعيش الناس في كل هذا الهراء إضافة إلى الدعاية المشتركة والتلفزيون والصحافة وكل وسائل الإعلام وطوفان التشويه الإيديولوجي المستمر سيسألون أسئلة .. تبدو من وجهة نظر أخرى غير معقولة بتاتا.

ديفيد بارزامان: في محاضرة ميلون في شيكاغو ركزت بشكل أساسي على أفكار جون ديوي وبيرتراند روسل فيما يتعلق بالتعليم.

نعوم تشومسكي: ... كانت تلك أفكارا ليبرالية سامية. ديوي نفسه ينحدر مباشرة من التيار الأمريكي السائد. الناس الذين قرؤوا ما قاله فعليا يعتبرونه الآن مجنونا ومعاديا كبيرا للأمريكيين أو شيء كذلك. كان يعبر عن آراء التيار السائد قبل أن يشوه النظام الإيديولوجي العرف بشكل غريب. الآن يستحيل تمييزها,مثلا, لم يتفق مع كل تقاليد عصر التنوير فقط بل وكما قال: (هدف الإنتاج هو إنتاج شعب حر) قال (رجالا أحرارا) منذ سنوات كثيرة. ذلك هو هدف الإنتاج وليس لإنتاج السلع. كان منظرا رئيسيا للديمقراطية. هناك عناصر كثيرة مختلفة ومتضاربة للنظرية الديمقراطية, لكن الذي

أتحدث عنه الذي يرى بأن الديمقراطية تفضي إلى إنهاء السلطة الخاصة. وقال انه طالما هناك سيطرة خاصة على النظام الاقتصادي فإن الحديث عن الديمقراطية دعابة. وكرر قول ادم سميث بأن (السياسة هي ظل الشركات الكبيرة الذي تلقيه على المجتمع.) وقال إن إضعاف الظل لا ينفع كثيرا. الإصلاحات لا تفيد وإنما تتركه استبداديا. وهذه أساسا نظرة ليبرالية أصيلة وفكرته الأساسية كانت بأنك لا يمكن حتى الحديث عن الديمقراطية إن لم يكن هناك تحكم ديمقراطيا بالصناعة والتجارة والمصارف وكل شيء. هذا يعني سيطرة الناس الذين يعملون في المؤسسات والتجمعات.

هنالك أفكار اشتراكية تحررية وفوضوية نموذجية تعود إلى عصر التنوير،وهي امتداد للآراء الليبرالية التقليدية التي تحدثنا عنها سابقا. ويمثل ديوي هذه الأفكار في الفترة الحديثة كما فعل ذلك برتراند روسل الذي انحدر من بيئة مختلفة لكن جذورها تعود إلى عصر التنوير فهما المفكران الرئيسيان في القرن العشرين كله اللذان اشتهرت أفكارهما بقدر ما اشتهر به ادم سميث. وذلك مؤشر على مدى الكفاءة التي كان عيها النظام التعليمي ونظام الدعاية اللذان دمرا ببساطة حتى إدراكنا لخلفيتنا الثقافية المباشرة الخاصة بنا.

ديفيد بارزامان: في نفس المحاضرة، أعدت صياغة ما قاله روسل عن التعليم وقلت بأنه عزز الفكرة التي ترى بأن التعليم يجب أن لا ينظر إليه كشيء يشبه ملء إناء بالماء بل كعون لوردة تنمو بطريقتها الخاصة.

نعوم تشومسكي: تلك هي أفكار القرن الثامن عشر. لا اعرف إن كان روسل عرفها أو أعاد إبداعها لكن أنت قرأت ذلك كمعيار في أدب أوائل عصر التنوير. تلك هي الصورة التي استخدمها.... فقد كان

رأي همبولدت مؤسس الليبرالية التقليدية أن التعليم مسألة مثل مد خيط يتطور بموازاته الطفل لكن بطريقته الخاصة.أي انك تقوم بشيء من الإرشاد. ذلك هو ما يجب أن يكون عليه التعليم الجاد من الروضة حتى التخرج من الجامعة.

لكن اغلب النظام التعليمي مختلف تماما عن ذلك. التعليم الجماعي صمم لتحويل الفلاحين المستقلين إلى أدوات إنتاج مطيعة ومستسلمة وذلك هو غرضه الأساسي. ولا تظن بأن الناس لم يعرفوا ذلك. لقد عرفوه وناضلوا ضده. كانت هناك مقاومة مثيرة للتعليم الجماعي لهذا السبب بالذات. ولأن النخب أساءت فهمه أيضا. وقال ايمرسون مرة شيئا عن كيفية تعليمنا لهم لكي نمنعهم من الوصول رقابنا. إن لم تعلمهم فسيستولون على السلطة ـ (هم) ما سماهم الكساندر هاميلتون ب(الوحوش الكبيرة) أي الناس. نشر الرأي المعادي للديمقراطية في ما دعي بالمجتمعات الديمقراطية هو ضار حقيقة وذلك لسبب وجيه فكلما كان المجتمع أكثر حرية أصبح خطر الوحوش الكبيرة اكبر وزاد وجوب الحيطة في وضعها في أقفاصها بشكل أو بآخر.

من جانب آخر هناك بعض الاستثناءات وديوي وروسيل من بينها. لكنهما همشا وظلا غير معروفين رغم أن الجميع يكيل لهما المديح كمدحهم لآدم سميث. يعتبر الرأي السائد ما قالوه عن المناخ الاوتقراطي ويبرز فيه العنصر الاستبدادي لا يمكن التسامح معه. إن الواقع الذي مكن فكرة معاداة الأمريكان من الوجود –عدا عن استخدامها ـ يظهر شريحة استبدادية مثيرة. مفهوم معاداة الأمريكان المعادل الحقيقي الوحيد في العالم الحديث لمعاداة السوفييت. فقد كانت أشنع الجرائم في الاتحاد السوفييتي هي معاداة السوفييت. تلك

علامة مميزة أساسية للمجتمعات الاستبدادية التي تنتشر فيها تلك المفاهيم. هنا تعتبر طبيعية تماما. تقدر الكتب التي كتبها أشخاص هم بالأساس نسخ ستالينية عن معاداة الأمريكان تقدير عاليا. هذا صحيح في المجتمعات الانغلو اميركية التي تشك بأنها المجتمعات الأكثر ديمقراطية. اعتقد بوجود ترابط هناك .... حين تكبر الحرية تكبر الحاجة إلى القسر والسيطرة على الرأي أيضا تكبر إن أردت أن تمنع الوحوش الكبيرة من عمل شيء بواسطة حريتها.

اشار العالمان الاقتصاديان سام باولز وهيرب جينتيس بأن النظام التعليمي الأمريكي في السنوات الماضية مقسم إلى كسر صغيرة. القسم الموجه إلى الناس العمال وعموم السكان مصمم فعلا لفرض الطاعة بينما التعليم الموجه للنخبة يسمح بالإبداع والاستقلالية ويجب عليه أن كذلك وإلا لن يقوم أفراد النخبة بدورهم في جني الأرباح كما تجد نفس الشيء في الصحافة أيضا. لهذا السبب اقرأ وول ستريت ونيويورك تايمز وواشنطن بوست يجب عليها أن تقول الحقيقة وذلك تناقض في الصحافة السائدة أيضا. خذ نيويورك تايمز او واشنطن بوست مثلا تجد بأن لهما وظائف مزدوجة ومتناقضة. الوظيفة الأولى لإخضاع الوحوش الكبيرة أما الوظيفة الأخرى هي السماح لقرائها في الحصول على صورة حقيقية لما يجري في العالم وإلا فلن يقدروا على تلبية احتياجاتنا. هذا تناقض في صلب النظام التعليمي ويدمره أيضا. وهو مستقل تماما عن عامل أخر يسمى بالاستقامة المهنية التي يمتلكها كثير من الناس: الصدق والأمانة. مهما كانت الموانع الخارجية. ذلك يؤدي إلى تعقيدات متنوعة. لو نظرت فعلا إلى الطريقة التي تعمل بها الصحافة ستجد هذه التناقضات والمشاكل تظهر نفسها بطرق معقدة.

مستقبل الديمقراطية

نعوم تشومسكي يقابله جون ب تيتلو

دراغونفاير ه تموز ٢٠٠٥ .

يبدو نعوم تشومسكي من خلال المنظور السياسي إما مصدر ثري لا حدود له لتحاليله الصحيحة أو مناهض متطرف للولايات المتحدة وفي الحالتين هو الرجل البالغ من العمر ست وسبعين عاما وبروفيسور اللغويات في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا وأحد أكثر المفكرين تأثيرا في عصرنا. نال سمعة طيبة بنظريته عن القواعد الكونية وما أصبح معروفا بتسلسل تشومسكي الهرمي للغات الرسمية ذلك النظام الذي طبق في مجالات دراسية أخرى من علم الكومبيوتر إلى علم النفس الثوري. في ستينات القرن العشرين بدأ بتطبيق عمله على دنيا السياسة فأصبح ناقدا بارزا لسياسة الولايات المتحدة الخارجية أثناء حرب فيتنام ومنذ ذلك أصبح كاتبا خصب الإنتاج حول هذه المواضيع مثل السياسة الدولية ووسائل الإعلام الجماهيرية.

في كتابه ١١ايلول وهو أكثر مجموعة رائجة من المقابلات التي نشرت بعد هجمات ١١ايلول الإرهابية, اخذ تشومسكي الموقف المخالف فيما يتعلق بالظروف (الوحشية المرعبة) لهجمات ١١ايلول التي كانت فريدة (ليس في حجمها وطبيعتها بل بهدفها). بعبارة أخرى

جادل تشومسكي بأن الرعب الذي تحمله الأميركيون في ١١ايلول ٢٠٠١ لم يكن يختلف عن ذلك الذي يعانيه من هم على الطرف الآخر للسياسة الخارجية للولايات المتحدة سنويا. لقد أطلق تشومسكي سابقا على الولايات المتحدة اسم (الدولة الإرهابية القائدة) واستنتج بصورة منطقية بأن وسائل الإعلام تعمل كوسيلة نقل لدعاية الدولة والشركات التي لا تسمح إلا بمجال ضيق من النقاش ورأى بأن أحزاب الولايات المتحدة السياسية عبارة عن (عصبتين) ل(حزب متحد) واحد. كتب تشومسكي عشرات الكتب وقد نعت بكل الأسماء من (أهم المفكرين الأحياء) من قبل نيويورك تايمز إلى (آية الله المعادي للأمريكان) من قبل معلق الجناح اليميني ديفيد هورويتز. تعليقاته يتجاهلها التيار السائد في وسائط الإعلام بينما يتصارع معدو الأحاديث الصحفية في أوروبا وكندا وأماكن أخرى من العالم على حجز ساعة واحدة من وقته. يعتبر كتابه السيطرة أم البقاء: سعي أميركا الدائم للهيمنة العالمية (مشروع الإمبراطورية الأميركية) الذي نشر في تشرين الثاني ٢٠٠٣. نقد لاذع لوضع الولايات المتحدة في العالم الهادف إلى هيمنة عالمية كما يراه . وهو الموضوع الدائم في تاريخ الولايات المتحدة كله الذي يفرض تهديدا حقيقيا على بقاء الجنس البشري الآن.

دعا تشومسكي دراغون فاير إلى مكتبه في كامبريدج ليتحدث عن حرية الصحافة وسياسة الولايات المتحدة الخارجية أثناء الأسبوع الذي تحتفل فيه باستقلالها.

دراغونفاير: تحتفل أميركا هذا الأسبوع بالعيد التاسع والعشرين بعد المائتين لاستقلالها. برأيك, هل نحن أحرار ومستقلون كما نتباهى بأنفسنا بأننا كذلك؟

منذ عدد قليل من السنوات أي بعد سنوات ريغان أظهرت استطلاعات الرأي أن ٨٠٪ من الشعب يعتقدون بأن الحكومة تعمل من اجل عدد قليل ومن اجل المصالح الخاصة وليست من اجل الشعب. حسنا إن كان ذلك صحيحا إذا نحن لسنا أحرارا جدا. ليس لنا علاقة بحكومتنا. لو ألقيت نظرة على الانتخابات الأخيرة في عام ٢٠٠٤, لا اعتقد بأن ذلك السؤال بالتحديد قد طرح, لكن لو قارنت مواقف الشعب التي درست كثيرا وموقف المرشحين الاثنين فستجدهما قطبين منفصلين. كلا الحزبان على يمين الشعب في كثير من القضايا العامة. في الحقيقة وجب على الناس أن يخمنوا مواقف الحزبين لأنه لم يتم التعبير عنها بشكل مفهوم. اغلب الناس كما ثبت أساءوا فهم مواقف المرشحين بدرجة خطيرة.

مثلا, خذ قضية راهنة: تأييد بروتوكولات كيوتو. رفضت الولايات المتحدة البوتوكولات لكن تأييد الشعبي لها كان قويا لذلك ظن أغلبية المصوتين لبوش بأنه يؤيدها. وينطبق المثل على جملة من القضايا المشابهة. حين سئل الناس أن يقيموا الميزانية الفيدرالية كانت آراء الشعب ضد الميزانية. فقد رغبت الأغلبية الواسعة بتخفيض النفقات العسكرية وزيادة النفقات الاجتماعية والصحة والتعليم وإعانات المحاربين القدماء والطاقة المتجددة ومالت أكثر للأمم

المتحدة التي يؤيدها الشعب بقوة ـ لكن كلا الحزبان لم يفعل ذلك. يمكنك الاطلاع على القائمة وترى ما أراده الشعب وترى ما كانت عليه السياسة. هما متعارضان بقوة. يظهر ذلك في مشاعر العجز وان الحكومة لا علاقة لها بنا.

اعتقد هذا هو السبب لعدم اهتمام الشعب في قضايا الانتخابات المسروقة. بعد انتخابات عام ٢٠٠٠, كان هناك صخب ضخم حول فلوريدا, المحكمة العليا والزوائد الورقية(القطع الورقية الصغيرة المثيرة للجدل التي تعلم كيفية الاقتراع). لقد كتبت كتب ومقالات عن كيفية انهيار الجمهورية التي لاحظها عدد من الناس لكن دون أي اهتمام وفاقم سوء الأمور نقص معرفة مواقف المرشحين.

بهذا المدى (من الحرية) تبدو الولايات المتحدة دولة فاشلة. دولة تملك مؤسسات سياسية صورية لكنها لا تقوم بوظائفها ولو كانت تعمل في مجتمع ديمقراطي كما يفترض لكانت السياسة العامة انعكاس لمصالح الشعب ومخاوفه. الانقسام هائل.

دراغونفاير: ماذا عن الوضع خارج الانتخابات السياسية ......هل ضاع الأمل كله؟

من أبعاد أخرى, الولايات المتحدة حرة جدا. مثلا, حرية الكلام محمية في الولايات المتحدة لدرجة فريدة في العالم وكثير من الحريات الشخصية الأخرى. هناك محاولات لتقليل ذلك. يوجد شريط في الإدارة الحالية يود بوضوح تخفيض الحريات الشخصية بشكل كبير ونجح في ذلك مع عدد هامشي من السكان مثل المهاجرين. المثال الفاضح

للانتهاك الخطير للقانون المحلي والدولي في غوانتانامو وباغرم والعراق الذي سبب ضجة ضخمة في كل العالم وهنا أيضا. إنها حالة متطرفة لكنها تعكس نزعة داخل الحكومة. يرى سفير الأمم المتحدة المقترح [جون بولتون] بأن القانون الدولي ليس له قوة انه مجرد عقد دخلت فيه حكومة الولايات المتحدة وتعمل به حين تريد وتسقطه حين لا تريد. النائب العام [البرتو غونزاليس] وصف اتفاقيات جنيف - جوهر القانون الإنساني - (بالقديمة) و(الملغاة). في الحقيقة كانت هناك محاولات لكبح الحرية الشخصية بقسوة لكن تم التصدي للكثير منها. كتصدي [النائب العام السابق جون اشكروفت]. لمحاول بوش والبقية في فرض مرسوم المواطن بطريقة متطرفة جدا مما أثار مقاومة ضخمة. مثلا أرادوا فرض الرقابة على المكتبات العامة فرفضت المكتبات في كل البلاد ذلك.

دراغونفاير: ما هو مدى الاعتداء الذي تعرضت له حرياتنا المدنية وخصوصا ما يتعلق بحرية الصحافة؟

إن حرية الصحافة واستقلالها عن سيطرة الدولة عالية جدا في الولايات المتحدة وأكثر من أي مكان عرفته. خذ انكلترا مثلا. لقد اجروا تحقيقا حكوميا مؤخرا في البي بي سي ليروا إن كانت تنقد الحكومة كثيرا - تقرير هوتون الذي دار حوله جدل كثير لكن أكثره كان حول محتوى التقرير وليس عن حقيقة حدوثه. لا اعتقد أن مثل هذا التحقيق يمكن أن يحدث في الولايات المتحدة. سيكون الاحتجاج قويا جدا. اقصد ما الحق الذي يخول الحكومة في التحقيق

إن كان الشخص ناقدا شديدا لها؟ لكنه كان مقبولا في انكلترا. في الحقيقة إن قوانين التشهير الانكليزية صممت لكي تقيد حرية الصحافة. في النظام البريطاني إن اتهمتك بالتشهير يجب أن تثبت بأنني مخطئ أما في النظام الأمريكي يجب أن اثبت أنا بأنني على حق. هذا فرق جوهري ونتيجته مخيفة جدا. في الواقع، لقد استغلته شركات الإعلام الكبيرة لتخرج الصحف الصغيرة من المهنة. إحدى الصحف التي طالبتها بأن تكشف شيئا فعلته شركة إعلامية كبيرة هددت بقضية تشهير. تستطيع الشركة الكبيرة الحصول على موارد قانونية وغيرها بحيث تعجز الصحيفة الصغيرة على التعامل معها لهذا توقفت الصحيفة وذلك شبه مستحيل في الولايات المتحدة.

في الولايات المتحدة هناك بعض التنوع في وسائل الإعلام لكن بشكل ساحق، تبقى ضمن الأجندة الأساسية بشكل طبيعي التي يضعها إلى حد كبير أصحابها وأسواقها التي هي قضية أخرى. وسيكون أمرا مذهلا إن خرجت عن ذلك. كما ترتبط [وسائل الإعلام] بسلطة الدولة بشكل قوي التي لا تحكم عليك بالرقابة الحرفية فقط بل بالقيود أيضا التي لا تعني انك لا تستطيع أن تقول ما تريده لكنها تعني بأن هناك اختلاف طفيف في درجة الصوت.

دراغونفاير: ما هي أفكارك عن البث العام على ضوء تخفيضات الميزانية والتهديدات بمراقبة حكومية أكثر ومحاولات لفرض قرارات مبرمجة في (الراديو الوطني العام) و(خدمات الإذاعة العامة)؟

كانت قيود الإذاعة العامة محدودة جدا دائما، اقصد، إنها تدفع

الحافة قليلا إلى ابعد من البث التجاري لكن ليس كثيرا. هناك كثير من الوهم حول ذلك. إنها تدعى (ليبرالية) وهذا غير صحيح. اعتقد أن الليبرالية في الولايات المتحدة تعني شيئا اقل تطرفا بقليل مما يسمى بالمحافظ. إنها نوع من وسط اليمين بدلا من اليسار البعيد.

دراغونفاير: لهذا بغض النظر عن موقعك، هل ستنحرف لليمين محطات البث الإذاعي العامة؟

يجب أن احدد ذلك. هناك فرق كبير في البث العام للبلاد كلها. حينما تخرج من رواق نورثيست تكون الحرية والصراحة أكثر. لو ذهبت إلى منطقة ليست جزء من رواق نورثيست إلى المركز الرئيسي الإيديولوجي والسياسي فستجد بأن الراديو الوطني مفتوح للنقاش والتعليق لكنه مقيد أكثر بكثير.

دراغونفاير: ما الذي يسبب محاولات إدارة بوش الأخيرة من خلال شركة البث الإذاعي العام لضبط تغطية الراديو الوطني لأخبار الشرق الأوسط للكشف عما يسمى التحامل الذي قد تعني الحكومة به شيئا مختلفا مما يعنيه لنا؟

بالنسبة إلى تحيز الشرق الأوسط، ذلك سؤال ممتع. هناك هجمة كبيرة على الجامعات بسبب هذا أيضا مشابهة لما يتعرض له البث العام. وأثارت السؤال (ما المقصود بالانحياز؟) هناك معايير كثيرة بسيطة لكنها لم تطبق أبدا. لم تنفذ لأن الكل يعرف الرد.

السؤال: هل أنت منحاز ضد إسرائيل؟ هناك اختبار بسيط: هل تعتقد بأن إسرائيل يجب أن يكون لها نفس الحقوق التي تتمتع بها أي

دولة في النظام العالمي؟ لا أكثر ولا أقل. ذلك هو الحياد. هذا ما يقصد به من غير منحاز ضد. قل لوكسمبورغ مثلا. حسنا, لا احد يسأل ذلك, لأن الجواب سيكون متفقا ١٠٠٪ مع أقسام الشرق الوسط في الجامعات ووسائل الإعلام وغيرها لذلك فهو جواب غير جيد. إن عدم التحيز هو الاعتقاد بأن إسرائيل وهي الفرع الثانوي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يجب أن يكون لها حقوق تتجاوز حقوق أي دولة في النظام العالمي.

أما رأي التيار السائد فهو يجب أن يكون لإسرائيل ما يسمى (بحق الوجود) المجرد. ليس هناك دولة تمتلك حق الوجود ولم يطلب احد ذلك الحق. الولايات المتحدة مثلا ليس لديها مثل هذا الحق. المكسيك لا تحترم حق الولايات المتحدة في الوجود, المتربعة على نصف المكسيك بعد أن هزمتها في الحرب منحت المكسيك الولايات المتحدة الحقوق في النظام الدولي لكن ليس شرعية تلك الحقوق.

جرى ابتداع مفهوم (حق الوجود) في الحقيقة, بقدر ما استطيع أن أقول, في سبعينات القرن العشرين حين كان هناك اتفاق عالمي عام شمل الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية رأى بأن إسرائيل يجب أن يكون لها حقوق أي دولة في النظام العالمي. لذلك وفي محاولة لإعاقة المفاوضات والتسوية السلمية أصرت الولايات المتحدة وإسرائيل على رفع العقبة التي لا يقبل أحد بها وهي ليست القبول بوجود إسرائيل فقط بل القبول بشرعية وجودها وشرعية سلبها لأراضي الغير. لماذا يجب أن يقبلوا بهذا؟ لماذا يقبل أي شخص بهذا؟

لكن هذا هو المقصود (بالحيادية) وان تكون (غير منحاز). لقد ظهر ذلك بكل أنواع الطرق الأخرى لهذا يقصدون بغير منحاز ما كان يعنونه بذلك في الكرملين تقريبا. نعم ذلك خطير جدا وحتى التفكير فيه شائن وتعكس الهجمات على الجامعات أيضا غريزة استبدادية، برأي، وطبعا تقنع تلك الهجمات تحت اسم الحرية الأكاديمية وما شابه ولكن كل من قرأ اورويل يعرف ما تعني تلك الحيل.

دراغونفاير: دعنا نقول بأننا صممنا آلة الزمن ويمكننا بعث توماس جيفرسون وجيمس ماديسون وبنجامين فرانكلين إلى اميركا ٢٠٠٥. ماذا سيكون رأيهم بمجتمعنا في العام ٢٠٠٥ الذي تمنوه وتصوروه مقارنة بعام ١٧٧٦ ؟

أولا وقبل كل شيء، كانوا قبل رأسماليين كثيرا. كانوا على حافة تطور الرأسمالية. كان ماديسون المصمم الرئيسي للدستور معارضا للديمقراطية على النقيض مما قرأنا عنه. شعر بأن السلطة يجب أن تكون في أيدي ثروة الأمة ويقصد مجموعة الرجال المتعاطفين مع أصحاب الملكية وحقوقهم وليس عامة السكان الذين يجب أن يكونوا مقسمين ومهمشين. وذلك شكل من الاستبداد المطلق (أوتوقراطي) لكن يجب أن نتذكر بأنه كان قبل رأسمالي. لهذا كان وهمه أن ثروة الأمة سيعملون لمصلحة السكان لذا من المناسب إعطاءهم سلطة اوتوقراطية. تلك فكرة ما قبل الرأسمالية. ادم سميث قبله لم يكن يقبل بهذا الوهم. وصف سميث التجار وأصحاب المعامل

في انكلترا بأنهم أشخاص خطرين همهم أن يضللوا ويخدعوا الشعب في سبيل مصالحهم الذاتية وان يرسموا السياسة العامة لخدمة مصالحهم الخاصة.

بعد سنوات، بحدود تسعينات القرن الثامن عشر، كان لماديسون فكرة ثانية وبدا بالقلق من أن سماسرة البورصة أو ما نسميه اليوم بالأسواق المالية، التي قلما وجدت في ذلك الزمن، ستصبح عاجلا أم آجلا ما سماه بأدوات وطغاة الحكومة. سيكونون أقوياء جدا لدرجة يستطيعون فيها السيطرة على الحكومة وسوف يستخدمهم الدول القوية أيضا كأدوات. لو ظهر ماديسون الآن سيرتعب كما اعتقد حين يرى أن ذلك هو ما حدث فعليا.

الأسواق المالية الآن هي أدوات وطغاة الحكومة الذين هم ليسوا مجرد أفراد وسماسرة بورصة بل كينونات هائلة واستبدادية أعطيت لها حقوق (الناس الأفراد) منذ قرن وأعطيت لها في السنوات الأخيرة حقوق التعديل الأول. سيرتعب ماديسون وجيفرسون تماما من ذلك كأي شخص من تلك الفترة.

كان أساس تفكيرهم هو أن الحقوق تلازم الأشخاص، الناس من لحم ودم وليسوا جماعيين (القائلين بضرورة استيلاء الدولة على وسائل الإنتاج) من الخيال القصصي القانوني. اعتقد بأنهم سيجدون التركيبة الفعلية لمجتمعنا مرعبة. منذ قرن حين كانت تلك الحقوق تخلق وتمنح وليس من خلال تشريع المحاكم، ودرو ويلسون الذي كان مؤيدا لها، رغم انه كان تقدميا وكتب عن هذه النقطة، أمريكا

القديمة ولت. لقد تنبأ بذلك منذ ذلك الحين بأن البشر سيكونون خدم لدى الشركات.

دراغونفاير: وماذا سيكون رأيهم بالكلام؟ هل سيعتبرون وسائط إعلامنا حرة حقيقة في أن تنشر ما تريد؟

أتمنى بأن يستحسنوا تطور فكرة حرية التعبير التي لم تكن موجودة في عصرهم. على عكس ما اعتقد على نطاق واسع، لائحة حقوق الإنسان لم تقل الكثير عن حرية التعبير. ولم تمنحه أبدا. أكثر قرارات المحكمة العليا عن حرية التعبير كانت في أواخر القرن العشرين. سأفترض بأن جيفرسون على الأقل سيكون إلى جانب ذلك. لكن اعتقد أيضا لو أنهم كانوا مخلصين لمبادئهم فسوف يرتعبون من كل النظام الذي تسيطر فيه الشركات على المجتمع.

عاش [المؤسسون] طويلا قبل أن يروا انتهاكا واحدا هاما للدستور، الذي أصبح الآن عرضة للانتهاك وبات من حق الكونغرس إعلان الحرب.لقد وضع الدستور لمنع ظهور الملك ولكي تظل سلطة الفرع التنفيذي محدودة. لقد دخلت الولايات في حروب في مرات كثيرة لكن نادرا جدا مع إعلان الحرب. خذ حرب العراق. أعطى الكونغرس نوع من التفويض لكن لم يكن هناك إعلان حرب. حرب فيتنام.... لم تطرح مسألة إعلان الحرب على بساط البحث أبدا. حرب الكونترا ضد نيكاراغوا: لمتصبح أي حرب من تلك الحروب التنفيذية كما تسمى معيارا وقاعدة. من المدهش أن ذلك لم يضايق الذين يدعون أنفسهم بالمفسرين الصارمين للدستور. افترض أن ذلك وتطورات

أخرى سوف تزعج بقوة أشخاصا من أمثال ماديسون وجيفرسون الذين لم يريدوا بأن يصبح الفرع التنفيذي ملكا الذي أصبح الآن أكثر من حكومة ملكية بكثير.يمكن رؤية ذلك في الاحتفالات الإحيائية المربكة والغريبة مثل جنازة ريغان. ذلك مربك لمجتمع ديمقراطي. ربما قد تحب شيئا كهذا في كوريا الشمالية. وسيكون الوضع مربكا حتى لو كان لرئيس يمكنك احترامه أو له أي جماهيرية لكن هو ليس كذلك. في الوقت الذي انتهى فيه منصبه رتب بعد نيكسون كأكثر رئيس سابق حي لا شعبية له. لكن عندها بدأت حملة دعائية ضخمة تحولت إلى تقديس وتعاملوا مع موته بهذه الطريقة. ذلك يجب أن لا يحدث في مجتمع ديمقراطي يحترم نفسه أبدا بغض النظر عما يكون الشخص.

الدين والسياسة

نعوم تشومسكي تحاوره امينة شودري

اسلاميكا ماغازين عدد١٩، نيسان ـ ايار ٢٠٠٧.

البروفيسور نعوم تشومسكي واحد من أهم المحللين السياسيين في يومنا وعصرنا. بينما يقرأ البعض كل ما يكتبه ويوافقه في كل ما يقوله، يرفضه البعض الآخر تماما. هذه المقابلة مع امينة شودري هي قسم من جهد متواصل في محاولة فهم العالم اليوم في وجه العنف المؤسس على الدين والفشل السياسي والانقسام المتزايد بين الدنيوي والديني في كل العالم.

نعوم تشومكي دارس وناشط ومثقف له تأثير كبير كمحلل سياسي منذ عقود. المؤيدون والنقاد يجب أن يوافقوا بأن أفكاره هي الأساس لأي نقاش تقدمي حول السياسة المعاصرة في الولايات المتحدة والخارج. وربما كان الأفضل في تقييم الدوافع الباطنية لصراع القوى العالمية والعنف والتغيير السياسي. بسبب الشهرة المتزايدة لنقاشاته حول تقاطع الدين والسياسة من المهم أيضا أن نقيم إن كان الدين احد هذه الدوافع الأساسية.

في مقابلة مع صامويل هنتينغتون (اسلاميكا ماغزين ١٧ايلول٢٠٠٦) قمت بنقاش مماثل مبني على نظريته الشهيرة (صراع

الحضارات) حول قوة الدين في تنظيم المجتمعات والحركات بما فيها الثورات العنيفة. من أجل تحسين الفهم لو أمكن ذلك كيف يكون الدين عاملا مركزيا محفزا في التوترات السياسية الآن، شرعت في مناقشة البروفيسور نعوم تشومسكي بهذه المواضيع المعقدة. ما اكتشفته أن تشومسكي بعكس هنتينغتون لا يعتقد بأن الدين يلعب دوراً أساسياً في السياسة. بالنسبة لتشومسكي،إن القوة بكماء وهو قلق من إساءة استخدام القوة من قبل الأقوياء أكثر من معتقدات الأمم أو الشعوب. وأخيراً هو مهتم أكثر بالعدالة الاجتماعية ويتكلم بصدق عن القوة. أفضل درس نتعلمه هو أن فهم تقاطع الدين مع السياسة أعقد بكثير مما يبدو. الولاءات الدينية تستمر في السير عميقا لكن تأثيرها على الأهداف السياسية ربما لا يزال غامضا إلى حد ما.

امينة شودري: في البداية بروفيسور تشومسكي شكرا جزيلا على وقتك. سأبدأ بسؤال واسع. تميل الظروف الراهنة للإشارة إلى توتر بين الأديان وداخلها ويقول البعض وخصوصا في قضية الإسلام بأنه يكمن في مركز صراعات كثيرة في العالم اليوم. هل تعتقد بأن الدين يمارس تأثيرا اكبر على السياسة الخارجية اليوم، هنا في الولايات المتحدة وفي الخارج؟ هل تعزو ما يحدث حين يندمج الدين بالسياسة ـ وكيف يختلف هذا عن أشكال الهوية الأخرى المندمجة بالسياسة كالعرقية مثلاً؟

نعوم تشومسكي: حسناً، المشاكل الرئيسية في العالم هي تلك التي

تظهر في أقوى الدول تقريبا بالتحديد. لأن ما يؤثر عليها يؤثر على الكل. وأقوى دولة في العالم بحسب ترتيب الأهمية هي الولايات المتحدة وهي أيضا من أكثر الدول تعصبا في العالم. قد يكون للمتعصبين المتطرفين الدينيين سطوة أعظم على العامة في الولايات المتحدة مما لهم في إيران مثلا, رغم أنني لم أر أي استفتاء للرأي في إيران. لكن اشك بأن هناك ٥٠ ٪ من السكان يعتقدون بأن العالم خلق منذ ٦٠٠٠سنة بنفس الطريقة التي بها الآن. هذا غريب عمليا بسبب العودة في التاريخ الأميركي إلى زمن المستعمرين كان هناك عصور من النزعات الإحيائية الدينية. لقد رأينا أحدثها في خمسينات القرن العشرين الذي كان عصرا كبيرا للإحياء الديني لهذا حصلنا على عبارات مثل (نؤمن بالرب) و(امة واحدة بمشيئة الرب).وارتفعت الإحيائية الدينية في السنوات الأخيرة. لكنه لم يكن قوة رئيسية في القضايا السياسية حتى السنوات الأخيرة. لقد حدث ذلك في ال٢٥سنة الأخيرة وهو قوة هائلة الآن, دين المتعصبين ليس كل الدين. لهذا مثلا, كانت الولايات المتحدة تعارض المسيحية بعنف دائما. لقد أعطاني كاهن يسوعي لوحة تعبر عن كره الولايات المتحدة للكنيسة الكاثوليكية.. وقال إنها تصور ملاك الموت بأحد أطرافها ورئيس الأساقفة روميرو الذي اغتيل, وبالأسفل ستة مثقفين بارزين قتلتهم كتيبة نخبة الجوالة في الولايات المتحدة وهي تجسيد لعقد الثمانينات في القرن العشرين: اغتالت القوات التي تدعمها الولايات المتحدة روميرو عام ١٩٨٠ وما بينها نفذت الولايات المتحدة حربا رئيسية ضد

الكنيسة الكاثوليكية. كثر من ضحايا جهود الرئيس (ريغان) في أمريكا الوسطى كانوا من الراهبات والعمال العاديين ولأسباب واضحة وجلية, يمكن أن تراها معلنة رسمياً, مثل مدرسة أميركا المشهورة التي تدرب الضباط الأمريكيين اللاتينيين. أحد نقاطها الإعلانية أن الجيش الأمريكي يدحر عقيدة التحرير التي كانت قوة مسيطرة وكانت عدوة لنفس السبب لذلك القومية العلمانية (الدنيوية) في العالم العربي كانت عدواً ـ كانت تعمل لصالح الفقراء. ولنفس السبب حماس وحزب الله أعداء: يعملان من أجل الفقراء. لا يهم إن كانوا كاثوليك أم مسلمين أو أي شيء آخر؛ ذلك لا يحتمل. التزمت كنيسة أميركا اللاتينية (بالفقراء كخيار تفضيلي) لقد ارتكبت جريمة الرجوع إلى الإنجيل. لقد دثرتت محتويات الإنجيل أساسا في الولايات المتحدة. تلك المجموعة المسالمة جداً من الوثائق وحولت إلى دين في عهد الإمبراطور قسطنطين بعد أن أزال محتواها. إن تجرأ احد بالرجوع إلى الإنجيل يصبح العدو. هذا ما كان يفعله التحرير اللاهوتي. لهذا فهو قصة مشوشة. لكن في الولايات المتحدة الأكثر تطرفاً بالمقاييس النسبية, أصبحت الحركات الدينية معبأة بقوى سياسية لأول مرة في التاريخ وذلك قبل أقل من ٢٥سنة. ومن الملفت للنظر أن تلك كانت أسوأ فترة في التاريخ الاقتصادي للأكثرية العظمى من السكان الذين زادت ساعات العمل عليهم وركدت الأجور وقلت الفوائد لذلك لجأ الناس إلى الدين بحثا عن الدعم. إضافة إلى ذلك كان هناك كثير من الكلبية. لقد عرف مدراء

الحـزبين الاثـنين (الجمهوريـون والـديمقراطيون) أنهـم لـو رمـوا بـبعض اللحم الأحمر إلى أنصار الدين المتعصبين، مثل القول نحن ضد حقـوق المثلـيين لاسـتطاعوا أن يجمعـوا أصـواتهم الـتي تبلـغ ثلـث النـاخبين الحقيقيين في الحقيقة.

امينة شودري: من المشوق أن نرى موقف الدين في الولايات المتحدة. كيـف تفهـم وجـه النظـر الغربيـة للإسـلام وهـل يمكنـك أن تتفضـل وتتوسع في فكرة القومية العلمانية (الدنيوية)؟

نعوم تشومسكي: الموقف من الإسلام معقد جداً. كانـت الولايـات المتحدة تسـاعد دائمـاً أكثـر المتشـددين الإسـلاميين تطرفـا ولا تـزال. المملكة العربية السعودية أقدم وأعز حليف للولايات المتحدة في العالم العربي وهي الدولة الإسلامية الأكثر تطرفاً أيضاً. تبدو إيران بالمقارنة معها مجتمع ديمقراطي متحرر ـ لكن السعودية تقوم بدورها المطلوب. كـان العـدو في كـل تلـك الفـترة القوميـة العلمانيـة (الدنيويـة). تقـوت العلاقة الأميركية –الإسرائيلية فعلياً عام ١٩٦٧حين قامـت إسـرائيل بخدمة حقيقية للولايات المتحدة والعربيـة السـعودية. بتحطيم المركـز الرئيسي للقومية العلمانية (الدنيوية) (جمال عبد الناصر) الذي كان تهديداً وفي حرب مع السعودية بشكل أو بآخر في ذلك الوقت. كانت تهديداً في استخدام موارد المنطقـة الهائلـة في المنطقـة لمصلحة شـعوبها وليس لملء جيوب حفنة من الطغاة الأغنياء بينما تتدفق الأرباح الكبيرة على الشركات الغربية.

امينة شودري: ما نراه في بلدان إسلامية متنوعة نموذج من الحكم

الإسلامي، يستخدم فيه القادة الإسلام لتبرير وتركيز سلطتهم الذاتية. بعض الباحثين في الشرق الأوسط أشاروا إلى الصعوبة التي تنتج من منح السلطة السياسية إلى المجموعات الدينية أو القساوسة. هل تعتقد أن العلمانية (الدنيوية) مكون أساسي للسياسة؟ في الوقت الحاضر تبدو كلمة دنيوية مرادفا لكلمة ضد الدين.

نعوم تشومسكي: اعتقد أن العلمانية (الدنيوية) مكون حيوي في السياسة الديمقراطية، لأسباب تبدو واضحة. الديمقراطية (العلمانية) الدنيوية التي تؤيد حقوق الإنسان ليست ضد أو مع الدين. إنها محايدة فيما يخص المعتقدات الشخصية. توجد نواقص في ديمقراطية الولايات المتحدة لكن دنيويتها ليست واحدة منها وواضح أنها لا تعني أنها ضد الدين.

امينة شودري: لهذا تجريبياً ترى نهوضاً للخطاب الديني في مناطق محددة. هل تعتقد بأن العالم أصبح أكثر تديناً؟

نعوم تشومسكي: كلا لا أرى في الأماكن التي دمرت فيها الحركات العلمانية (الدنيوية) إما نتيجة فساد داخلي أو بعنف خارجي، لقد حدثت بطرق مختلفة. لم تدمر الولايات المتحدة بهجوم أجنبي أو عانت من مشاكل داخلية كثيرة، لكن كما ذكرت هناك هبوط حاد في الثروات الاقتصادية والاجتماعية للأغلبية، كبر التطرف الديني وأصبح أكثر وضوحا في الحقل السياسي. وحدث شيء مماثل في العالم الإسلامي. خذ ظهور حزب الله وحماس والأخوان المسلمين. احد الأسباب الرئيسية لتأييدهم الشعبي هو أنهم يقدمون خدمات

اجتماعية إليهم. إن أردت أن تطعم طفلا فقيرا أو شخص فقير في أحياء الفقراء في القاهرة...... .

امينة شودري: صحيح، لكن باعتقادك إلى أي مدى يتجذر هذا التدين الزائد في إيمانهم الديني الشخصي - زيادة ورعهم؟

نعوم تشومسكي: يختلف ذلك. مرة ذهبت إلى مصر منذ ١٥سنة وقابلت مجموعة من المثقفين الإسلاميين. كانوا يتحدثون عن شبكات الخدمة الاجتماعية والمجموعات وغيرها. كنت لا أعرف أغلبهم وحين عدت تحدثت مع صديقي الذي يعرف مصر جيداً عن اللقاء الذي ضحك وقال أن أحدهم من الأقباط وواحد آخر من الشيوعيين إنهم يدركون بأن طريقهم إلى السلطة والنفوذ هو الانضمام إلى المنظمة الوحيدة في مصر التي تهتم بحاجات الفقراء (الأخوان المسلمون). لهذا أتوقع وجود بعض الاختلاف، بعضهم مخلص وبعضهم الآخر غير ذلك يجب أن نكون حذرين .

امينة شودري: هل تعتقد بأن المجموعات ذات الأساس الديني ترد على فكرة (الغرب) هذه أم على تهديد واضح ومدرك لهويتها الذاتية وتراثها الإسلامي؟

نعوم تشومسكي: أولاً وقبل كل شيء، ما هو هذا (الغرب)؟ هل الغرب هو الولايات المتحدة - التي هي من أكثر الدول المتعصبة في العالم ومؤيد قوي للأصولية الإسلامية المتطرفة؟ أعتقد بوجود كثير من العناصر الداخلة في هذا وهناك تقليد قوي الديمقراطيات العلمانية (الدنيوية) في العالم التي سحق أغلبها بالقوة الخارجية في أكثر

الأحيان ولأسباب داخلية أحياناً. لكن كان أغلب هذه العناصر مهمشاً لأسباب متنوعة. لقد حل الإسلاميون محلها لأسباب كثيرة من بينها تقديم الخدمات الاجتماعية كما في جنوب لبنان وأماكن أخرى. لو كنت شخصاً فقيراً ولديك طفل مريض وبحاجة للمساعدة فستجد حاجتك هناك وليس في قطاع الحكومة. وهذه الأشياء تنتشر وتحدث فرقاً. وبسبب الاعتقاد الديني وبسبب الشخصيات الفاتنة للجمهور وأسباب كثيرة أيضاً. أعتقد أننا سنشهد في الشهور الأخيرة شكراً زائداً للنجاح المثير الذي حققه حزب الله في صد الغزو الإسرائيلي الذي يحدث لأول مرة. المرة الأولى التي لم يستطع الجيش الإسرائيلي فيها أن يصل إلى نهر الليطاني بعد شهر من القتال الذي حاول في الحقيقة بكل قوته في الأيام الثلاث الأخيرة فقط للحصول على فرصة صغيرة عند الليطاني وكان ذلك على تناقض كبير لما حدث في حرب عام ١٩٨٢ حين وصلوا إلى هناك بالسرعة التي تقطعها دباباتهم. نعرف من استطلاعات الرأي فقط أن التأييد لحزب الله وزعيمه الشيخ حسن نصر الله قد ازداد بشكل حاد لكن إن كان ذلك سيؤدي إلى التعاطف مع الحركات الدينية أم لا فهذا لم يتضح بعد.

امينة شودري: يبدو بأنه مرتبط بما يحدث في إسرائيل.

نعوم تشومسكي: في هذه الحالة هي مرتبطة بإسرائيل بشكل واضح. في لبنان، من الصحيح نسبها إلى الغزو الأمريكي الإسرائيلي كما في قضايا كثيرة أخرى. لا تنسى بأن الفلسطينيين قد دمروا ببرنامج أمريكي إسرائيلي منظم وذلك بتحطيم غزة وتمزيق الضفة

الغربية وحصرها بين مناطق الضم الإسرائيلي. ذلك قاتل للأمة بشكل أساسي وهو أمر ليس دنيويا ولا دينيا وفي الواقع لقد تم طرد كثير من المسيحيين من أراضيهم.

امينة شودري: ان كان الخوف قد خدم كما فعلته السياسة والسياسة الأجنبية لعالم بعد ١١ايلول وخصوصا كما نوقش في العالم الغربي، كيف سيدفع العالم الإسلامي الثمن برأيك في هذا الخصوص؟ كثير من هذه الحكومات تحكم بواسطة الخوف. كيف تقارن الطريقة التي يستخدم فيها الخوف في السياسة الأمريكية مع الطريقة التي يستخدم فيها في أنظمة الحكم الإسلامية الاستبدادية؟

نعوم تشومسكي: لن تكون المقارنة ذات مغزى كبير بالإضافة إلى الاختلافات الكبيرة بين المجتمعات. إثارة الخوف لتعبئة الناس ليست جديدة على عالم ما بعد ١١ايلول. خذ مثلا، رونالد ريغان،وهو يرتجف في حذاء راعي البقر حين أعلن حالة الطوارئ القومية بسبب التهديد الذي فرضته نيكاراغوا على امن الولايات المتحدة – يومان من المسير بالسيارة عن هارلينغن في تكساس ـ الذي أقسم حين أدرك ذلك التهديد الهائل بأنه سيواجه ويكون شجاعاً مثل ونستون تشرشل في تحديه للحشود النازية. ويمكننا تعقب أثر ذلك إلى المسافة التي نحب ولنقل إلى إعلان الاستقلال بمقطعه المهين حول قسوة البريطانيين الذين يطلقون (الهمجيين الهنود القساة) ضد المستعمرين المحبين للسلام. مشيراً إلى تلك السلالة سيئة الحظ من السكان الأمريكيين

الأصليين الذين نبيدهم الآن بوحشية غادرة لا تعرف الرحمة... من بين الآثام الشنيعة لهذه الأمة التي اعتقد بأن الرب سيحضرها للحساب يوماً ما كما أدرك جون كوينسي ادامز بعد إسهاماته الرئيسية في إنهاء هذه الأعمال الوحشية. هنالك أمثلة لا تحصى ولا تختلف الدول الأخرى عن ذلك.

امينة شودري: لماذا هناك توتر بين الأديان الثلاث التوحيدية أكبر مما هو بين الأديان الرئيسية الأخرى؟

نعوم تشومسكي: المسيحية... صدف أن كانت ديانة القوى الامبريالية الرئيسية. والى حد بعيد أعظم قوة ووسائل عنف في العالم صدف أن كانت دول مسيحية. بالنسبة لليهودية أغلب تاريخها كان من القمع الذي أدى أخيراً إلى أسوأ جريمة في التاريخ الإنساني ـ الهولوكوست. منذ عام ١٩٦٧بالخصوص, أصبحت هناك علاقة قوية بين إسرائيل والولايات المتحدة, لكن لأسباب دنيوية. طبعاً قاموا بغطاء ديني لكن ليس للأمر أي علاقة بالدين. فيما يتعلق بالإسلام فيختلف على كل الخريطة. أكثر دولة أصولية إسلامية هي أقدم واعز حليف للولايات المتحدة ـ العربية السعودية. خذي صدام حسين, كان دنيويا وليس إسلاميا. منذ فترة كان حليف واشنطن الكبير في الثمانينات من القرن العشرين حين كان ينفذ أفظع أعماله الوحشية ـ مذبحة الأنفال ضد الأكراد وضرب حلبجا بالغازات ـ كانت المساعدة الأمريكية تصب في العراق بما فيها المساعدة العسكرية. وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد نفسه ذهب هناك ليقوي العلاقة. وبالفعل

انضمت أمريكا إلى الحرب العراقية ضد إيران ودخلتها تماما وحين أذعنت إيران كان بسبب دخول الولايات المتحدة الحرب. حسنا كانت دولة إسلامية ضد دولة إسلامية أخرى ـ صدف وان كان الحليف الأمريكي دولة إسلامية دنيوية. وبعدها تغير الموقف لأسباب مماثلة. في الحقيقة لو نظرتي لأنظمة السلطة العالمية تجدينها كلها تهاجم وتدمر وتدعم وتساعد. العلاقة مع الكنيسة الكاثوليكية التي ذكرتها مثال واضح. تعتمد القرارات على المصالح المدركة لقطاعات أصحاب النفوذ وامتيازات المهيمنين على السياسة.

امينة شودري: لماذا ينظر إلى الإسلام كمشكلة في منظور الولايات المتحدة؟

نعوم تشومسكي: صدف أن كانت مصادر الطاقة الرئيسية في المناطق الإسلامية، حول الخليج تماماً، لذلك كان ذو أهمية قصوى لمصالح الولايات المتحدة كما كان لبريطانيا. لو لم يكن النفط موجدا هناك فلن يهتموا حتى لو كانوا روحانيين. تلك هي المشكلة الرئيسية ومتشابكة. لهذا السبب تساعد الولايات المتحدة دولا استبدادية إسلامية متطرفة مثل المملكة العربية السعودية لهذا سعت الولايات المتحدة وراء أشد القتلة الإسلاميين تطرفاً استطاعت أن تجدهم في كل أرجاء العالم وأخذتهم إلى أفغانستان، وانتهوا بالقاعدة على أيديهم. خذي اندونيسيا مثلا، اكبر دولة إسلامية بعدد السكان. هل اندونيسيا عدو أم صديق؟ انظري إلى التاريخ. حتى عام ١٩٦٥ كانت عدوة لأنها قومية مستقلة. كان الرئيس سوكارنو قوميا

وجزءا من حركة عدم الانحياز ولم يكن يرضخ للأوامر. في أيلول ١٩٦٥حدث أن ارتكب إحدى المذابح الرئيسية في القرن العشرين التي قارنتها السي أي ايه بأعمال هتلر الوحشية وستالين وماو. كان الغرب مبتهجا لأنه ذبح مئات الآلاف من الفلاحين المشردين وأباد الحزب الوحيد ذو القاعدة الجماهيرية حزب الفقراء كما وصفته الدراسات، وفتح البلاد للصوصية الغربية والابتزاز لهذا أصبح أكبر الأصدقاء وظل عملياً حتى النهاية. وصفته إدارة كلينتون (صنفنا من الفتيان) وبعد فترة, بالإضافة إلى سجله الكبير من انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان في بلاده, غزا تيمور الشرقية ونفذ أعمالا وحشية هي الأقرب إلى الإبادة الجماعية في فترة ما بعد الحرب كلها دائما مع دعم أمريكي قوي. لقد كان محبوبا. لو انتقلت اندونيسيا إلى استقلالية أكثر ستصبح عدوة مرة أخرى. العلامات الدينية ليست خطوط العيب. لننظر إلى إيران. خلال كل الفترة التي كانت فيها تحت حكم الشاه الذي ظل صديق كبير ولم يكن مهما انه كان طاغية كبير حين نصبته الولايات المتحدة وبريطانية بعد أن أطاحت به الحكومة البرلمانية. حين أصبحت إيران أكثر استقلالا صدف أن كانت أكثر إسلامية عندها أصبحت عدوة. كان الشاه حليفا كما رد (هنري كيسنجر وزير الخارجية السابق) حين سئل عن البرنامج النووي الإيراني مؤخرا, كاشف جدا. في سبعينات القرن العشرين أيدت الولايات المتحدة بقوة تطوير الطاقة النووية في إيران. ورأى رامسفيلد ونائب الرئيس ديك تشيني وكيسنجر ونائب وزير الدفاع

السابق بول ولفوتز بأنها فكرة رائعة وقدموا الكثير من المساعدة والدعم. حجة كيسنجر كانت أن إيران يجب أن لا تستخدم النفط من اجل الطاقة وإنما يجب أن تدخره وتحتاج إلى مصدر آخر من الطاقة النووية. اليوم نفس الأشخاص يقومون بعكس الحجة قائلين بأن لدى إيران وفرة كبيرة من النفط والغاز الطبيعي وان حاولت تخصيب اليورانيوم فيجب أن يكون ذلك من اجل أسلحة. سئل كيسنجر من قبل الواشنطن بوست لماذا يقول الآن عكس ما كان يقوله آنذاك. أجاب بصراحة وصدق لأنهم كانوا حلفاءنا آنذاك لهذا كانوا في حاجة الطاقة النووية والآن هم أعداءنا لهذا لا يحتاجون إلى طاقة نووية. يبدو الجواب متماسكا بشكل كبير. هناك ناس يريدون صدام الحضارات بشكل واضح مثل أسامة بن لادن وجورج بوش - الحليفان بالأساس هذا ما قاله في الحقيقة مايكل شيوار صراحة وهو احد الشخصيات البارزة في السي أي ايه الذي ظل لسنوات مكلفا بمطاردة بن لادن وكتب مؤخرا أن ابن لادن وبوش حلفاء وستفهم لماذا لو نظرت جيدا. هما يتعاونان جوهريا بشكل غير مباشر ويعدان في الواقع لصراع ممكن بين الحضارات الذي لولاهما لما وجد. في علاقات الولايات المتحدة والعربية السعودية واندونيسيا وباكستان لا يوجد صراع حضارات.انه فكرة خيالية ملفقة. لكن يمكن تبتعها. من الممكن خلق قسمة طائفية في العراق تمزق البلاد إلى أشلاء. وذلك لم يكن صحيحا قبل بضع سنوات. في الحقيقة قبل سنوات قليلة كان العراقيون يقولون بأنه لن يكون في العراق صراع سني شيعي؛

نحن مندمجون جيدا ومتداخلون بعلاقات زواج وسنبقى معا. انظر إلى البلاد الآن بعد سنوات قليلة من الاحتلال الأمريكي تجد بأن العنف الطائفي المرير يمزقها.

نعوم تشومسكي بروفيسور فخري في اللغويات في معهد ماسوشيتيس للتكنولوجيا في كامبريدج ماسوشيتيس وباحث عالمي في السياسة وسياسة الولايات المتحدة الخارجية ووسائط الإعلام والحركات الاجتماعية.

امينة الشودري نالت درجة الماجستير في الحقوق الإنسانية من جامعة كولومبيا وركز على الحكومة والشرق الأوسط بالإضافة أنها حازت على درجة الماجستير في الدراسات الليبرالية من جامعة هارفارد.

هل هي حضارة مقابل البربرية ؟

نعوم تشومسكي يقابله م. جنيد علام
الكتاب اليساري ١٧ كانون الأول ٢٠٠٤ .

علام: بروفيسور تشومسكي, شكرا لك لإجراء هذه المقابلة مع الكتاب اليساري. في الوقت المتوفر لدينا, أريد أن أناقش معك نتائج وتعقيدات الوضع الراهن لحرب أمريكا, كيف يمكن أن تتداخل بعض برامجها وأهدافها؟

الشيء الأول الذي أريد أن أتحدث به, يبدو لي من خلال الصورة الإيديولوجية العامة التي رسمتها الإدارة والمحافظون أن ما سمي بالحرب على الإرهاب هو قتال العالم (المتمدن) ضد(البربرية), وضع عرضته بزنسويك للتصويت. بأية أشكال كما تعتقد أن هذا غير صحيح تاريخيا وسياسيا قياسا بالجرائم التي ارتكبتاها بأيدينا ضد (البرابرة) الإسلاميين والقوميين في العراق وفلسطين؟

تشومسكي: حسنا, إنها لم تقترب حتى. اقصد بأن مستوى الدمار والرعب والعنف الذي تمارسه الدول القوية تجاوز بعيدا أي شيء حتى ما تتخيل فعله تلك المجموعات التي نعتت بالإرهابية والقومية.

أقصد خذ العراق مثلاً, أفضل تقدير للأموات بعد الغزو ١٠٠٠٠٠ وربما أكثر. قتل ١٠٠٠٠٠ شخص يتطلب وقت طويل من الإرهابيين المسلمين. لنأخذ أفظع عمل إرهابي نسب للإرهابيين

الإسلاميين, ١١ أيلول الذي قتل فيه حوالي ٣٠٠٠ شخص وهو عمل وحشي. لكن مهما امتدت الأعمال الوحشية فلن ترتفع إلى مرتبة عالية جدا, كمرتبة مثلا, ١١ أيلول الأخر في جنوب ريو غراند . كان ١١ايلول عام ١٩٧٣ اليوم الذي تورطت فيه الولايات المتحدة بشدة إذ قصفت القصر الرئاسي والانقلاب العسكري وقتلت الرئيس ودمرت أقدم ديمقراطية رائدة في أمريكا اللاتينية. كانت خسارة الأموات في ذلك الحادي عشر من أيلول أكثر من ٣٠٠٠, لكن ذلك الرقم يمثل الجثث التي استطاعوا أن يحصوها فعليا أما التقديرات فقد تجاوزت ضعف ذلك. لو أعطيتك ذلك الرقم في شروط مقارنة بعدد السكان فسيعادل ذلك حوالي ٥٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ شخص في الولايات المتحدة. ولقد علمنا مؤخرا بالأعداد التفصيلية للمشوهين وكانوا ٣٠,٠٠٠ ـ أي ٧٠٠,٠٠٠ في الولايات المتحدة إضافة إلى آلاف حالات الاغتصاب والانتهاكات الأخرى وفقد أيضا كثير من الأشخاص الذين اختفوا دون أن يعرف ما حدث لهم.

وقامت أيضا بعمليات إرهابية دولية تحت شعار ما سمي بعملية النسر الأمريكي, التي جمعت منظمات إرهابية تابعة للدولة في البلدان المجاورة التي للولايات المتحدة دور كبير في تأسيسها ـ قارنت مخابرات الولايات المتحدة الدي ان أي, المنظمة الإرهابية التشيلية التابعة للدولة بالجستابو والكي بي جي. لم يضيعوا الوقت وبتلك الطريقة درستهم الولايات المتحدة بينما كانت تقدم الدعم لهم وساعدتم بريطانية بحماس أيضا وفي الحقيقة لم تتوقف العمليات الإرهابية إلا حين تجاوزت الحدود كثيرا حين قتلت دبلوماسيا معروفا في واشنطن ولم يكن ذلك مسموحا لهذا تم إيقافها وظلت وحشية لكن ليست سيئة

حسنا هذا هو الحدث الوحيد الذي حدث في الحادي عشر من أيلول عام ١٩٧٣ الذي كانت الولايات المتحدة متورطة فيه بشكل مباشر لكن بعدها لم يظل حاجة للعد. اقصد خذ الحالة الوحيدة التي أدينت فيها الولايات المتحدة بالإرهاب العالمي وأمرت بأن توقف الجريمة وهي الهجوم على نيكاراغوا التي تناولت قضيتها محكمة العدل الدولية. لقد أخذت محكمة العدل الدولية جزء ضيقا من القضية لأن الولايات المتحدة استثنت نفسها من كل المعاهدات العالمية. لذلك لا يمكن إحضار الولايات المتحدة بسبب الجرائم الرئيسية, مثلا الجريمة العالمية الكبرى (الغزو) أو انتهاكات دستور الأمم المتحدة أو انتهاك اتفاقية الإبادة الجماعية هذه الأشياء الولايات المتحدة معفية منها لأنهم أعفت نفسها من الخضوع للمعاهدات العالمية التي تنص عليها المحكمة الدولية.

لهذا اضطرت المحكمة الدولية أن تتناول قضية نيكاراغوا على أسس ضيقة جدا, المعاهدات الثنائية بين الولايات المتحدة ونيكاراغوا والقانون الدولي المألوف. رغم ذلك أدانت المحكمة الولايات المتحدة لما سمته بالاستخدام غير القانوني للقوة, وأصدرت حكما واسعا تجاوز ظروف القضية الفعلية, فأمرت المحكمة الولايات المتحدة بأن توقف جرائمها وتدفع تعويضات مادية. تجاهلت الولايات المتحدة الحكم واستخدمت الفيتو مرتين لنقض قرارات مجلس الأمن واستمرت بالحرب.

كانت النتيجة, مرة أخرى على ضوء الفرد الواحد ما يعادل مقتل ٢,٥مليون شخص في الولايات المتحدة. أكثر من مجموع القتلى الذين قتلوا في تاريخ كل حروب الولايات المتحدة بما فيها الحرب الأهلية, فقد

دمرت البلاد وأصبحت ثاني أفقر دولة في نصف الكرة الأرضية وبعد أن سيطرت الولايات المتحدة على الحكم فيها مرة أخرى عام ١٩٩٠ انحدرت أكثر نحو الأسوأ ويقدر الآن بأن أكثر من نصف الأطفال دون الثانية من العمر يعانون من سوء تغذية شديدة وإصابات دماغية.

في بدايات الثمانينات حين بدأت الولايات المتحدة الحرب امتدحت نيكاراغوا من قبل كل المنظمات العالمية وحتى البنك الدولي لتقدمها المادي الكبير وفازت بجوائز التنمية، جوائز اليونيسيف لتحسين صحة الطفل وتطويرها. أما الآن فهي عكس ذلك تماما.

اقصد أن هذا حادث واحد يفوق كل الأعمال الوحشية التي نسبت إلى أي جهة أخرى لكنه رغم ذلك غير جدير بالنقاش.

وهذا هو الوحيد لأنني لن أتكلم عن الحروب الرئيسية مثل فيتنام فقد كان عدوانا سافرا ولا نستطيع وصفه بالإرهاب وبلغ ضحاياه أربعة ملايين شخص من القتلى ولا يزال كثير من الناس يموتون بسبب أثار الحرب الكيماوية الهائلة التي بدأها كندي. هذا فقط عن الولايات المتحدة ولو ألقيت نظرة على الدول القوية الأخرى لوجدت بأن عنفها غير عادي في أفريقيا مثل ما فعله البريطانيون في كينيا وغيرها، عنف تجاوز كل مقاييس النشاط الإرهابي.

علام: إذا لهذا السبب كان إطار (الحضارة) مقابل(البربرية)؟

تشومسكي: كلا، انه سخف، اقصد دعنا نأخذ ـ ما هو أسوأ عمل وحشي منذ غزوات المغول؟ أنت تعرف، هو ما حدث في ألمانيا في أواخر الثلاثينات والأربعينات بشكل أساسي. كانت ألمانيا تتربع على قمة الحضارة الغربية والمجتمع الأكثر تقدما في العالم الغربي في العلوم والأدب والنموذج المثالي للحضارة الغربية. في الحقيقة إلى الحرب العالمية

الأولى، حين انقلب الناس إلى معادة ألمانيا، وصف السياسيون الأمريكيون ألمانيا كنموذج للديمقراطية. تلك ذروة الحضارة الغربية - نعم، أسوأ بربرية منذ الغزو المغولي. ما هو شكل الترابط الذي يستنتجه المرء.

علام: من المشوق أن نلاحظ - أنت ذكرت اقل من ١٠٠,٠٠٠ قتيل – أن الكثير من وسائل الإعلام ركزت على قطع الرؤوس الشنيع المثير لقلة من عشرات الأجانب في العراق لكن نفس تلك الوسائل الإعلامية ظلت صامتة تقريبا فيما يتعلق بتقرير لانسيت - لانسيت الصحيفة الطبية البريطانية - التي قالت أن ١٠٠,٠٠٠مدني عراقي قتلوا جراء القصف الأمريكي وغاب أيضا من تلك الصحافة ذكر موضوع سوء التغذية التي يعانى منها أطفال العراق التي تضاعفت بوضوح.

تشومسكي: هم بمستوى أسوأ من بوروندي وأوغندا وهاييتي وذلك منذ الحرب.

علام: إنهم يذكرونني بالفعل ب....

تشومسكي: الحقيقة إن معالجة وسائل الإعلام لتقرير لانسيت مثير. اقصد إما أنها تجاهلته أو قللت من قيمته. كان رد فعل قياسي وذلك مجرد مثال.

علام: ودقيق.

تشومسكي: كيف عرفت بأنه دقيق، وربما كان الرقم اقل - ولانسيت أعطت رقما بين ٨,٠٠٠ الى٢٠٠,٠٠٠.

علام: باستثناء الفلوجه

تشومسكي: حسنا دعنا نرى كيف فعلوها على التقديرات حوالي ١٠٠,٠٠٠. كان رد الفعل المباشر أنها قد تكون اقل أو أكثر. نعم ربما

تكن اقل أو أكثر لقد فعلوها بحذر شديد. استثنوا الفلوجه لأنها سترفع التقدير, التقدير الاستقرائي وشملوا المناطق الكردية التي لا يوجد قتال فيها مما قلل التقدير الاستقرائي. وبشكل عام قاموا بتحليل حذر ومحافظ.

لكن إن تم تجاهله أو كان هناك طلب سخيف فيظل التقدير الوحيد لذلك ربما يكون عاليا أو صحيحا, انه مجرد تقدير وربما يكون قليلا. وفي الحقيقة هذه هي الطريقة في دراساتهم لخسائر الوفيات أو الأوضاع الصحية وإن كانت الخسائر ٥٠,٠٠٠ او١٠٠,٠٠٠ أو مهما كان العدد فهو يعكس بوضوح مدى الوحشية الكبيرة

وفي الحقيقة ليس من الصحيح بأن وسائل الإعلام لم تذكر جرائم الحرب وإنما تنقلها وتذيعها دائما. خذ مثلا غزو الفلوجه الذي يعتبر من جرائم الحرب الرئيسية فهو شبيه لتدمير الروس لمدينة غروزني قبل عشر سنوات, مدينة بنفس الحجم تقريبا قصفت ودمرت تماما وطرد سكانها منها.

علام: جمعوا كل الذكور, كما اعتقد, لم يسمحوا لهم بالفرار من الدهليز.

تشومسكي: ذلك يشبه بالصدفة سيبرينيكا كثيرا ـ التي أدينت عالميا كإبادة جماعية ـ كان في سيبرينيكا كهفا, تحميه قوية خفيفة للأمم المتحدة, الذي استخدم قاعدة لمهاجمة القرى الصربية القريبة. لقد كان معروفا بأنه سيكون هناك عمل انتقامي. وحين يكون هناك ثأر فسيكون وحشيا. اخرجوا النساء والأطفال في شاحنات وحبسوا الرجال في الداخل وذبحوهم. بلغت التقديرات آلاف المذبوحين.

حسنا, في الفلوجه, لم تخرج الولايات المتحدة الأطفال والنساء في

شاحنات وإنما قصفتهم. استمر القصف شهرا وقصفت حدود المدينة الخارجية ولو كان ممكنا لفر مائتا ألف شخص أو اخرجوا بشكل ما, وكما قلت حبس الرجال في الداخل لكننا لا نعرف ما حدث بعد ذلك, نحن لا نقدر خسائر الأرواح التي نكون مسؤولين عنها.

لكن المثير بأن الفلوجه لم تبقى سرا. لهذا يمكنك أن ترى في الصفحة الرئيسية لنيويورك تايمز صورة كبيرة للخطوة الرئيسية للهجوم أي الاستيلاء على المستشفى العام في الفلوجه. وهناك صورة لأشخاص ممدين على الأرض يحرسهم الجنود ثم يطالعك الخبر الذي يروي اخذ المرضى والأطباء من اخذ المرضى من أسرتهم, واجبر الأطباء على الاستلقاء على الأرض وقيدوا تحت الحراسة كما جاء في وصف الصورة.

يخضع رئيس الولايات المتحدة لعقوبة الإعدام حسب قانون الولايات المتحدة بسبب هذه الجريمة وحدها. اقصد أن هذا انتهاك خطير لاتفاقيات جنيف, تقول اتفاقيات جنيف بوضوح ودون لبس أن المستشفيات يجب أن تظل محمية من قبل كل الأطراف المتحاربة. لا يمكنك أن تجد انتهاكا أفظع من ذلك لاتفاقيات جنيف.

هناك قانون حول جرائم الحرب مرره الكونغرس الجمهوري عام١٩٩٦يقول أن الانتهاكات الخطيرة لاتفاقيات جنيف تخضع لعقوبة الإعدام. ولا يعني ذلك الجندي الذي نفذ الجريمة بل القادة. لم يفكروا في الولايات المتحدة طبعا لكنه اخذ حرفيا.

ثم استمروا بتفسير سبب تنفيذهم لهذه الجريمة الوحشية من جرائم الحرب في المستشفى العام. وفسرت نيويورك تايمز بهدوء أنهم قاموا بها لأن القائد الأمريكي وصف المستشفى العام في الفلوجه كمنفذ دعائي

لمقاتلي العصابات لأنهم كانوا يذيعون خسائر الوفيات. لا اعرف إن كان النازيون قد قاموا بمثل هذا الفعل. طبعا قالت التايمز إنها خسائر مبالغ فيها لكن كيف ستعرف أنها كذلك.

علام: نحن لم نحصيها حتى.

تشومسكي: حسنا، قائدنا العزيز قال أنها مبالغ فيها، لذلك فهي كذلك منذ أن كنا في كوريا الشمالية يجب أن تكون مبالغ فيها. لكن افترض كذلك. اقصد فكرة تنفيذ جريمة حرب رئيسية صراحة لأن المستشفى كان سلاحا دعائيا لنشره أعداد الوفيات، اقصد انه عليك فعلا أن تعمل على إيجاد مماثل لذلك.

واستمر القصف حتى دمرت المدينة كلها وأخيرا انتهوا إلى القول بأن المارينز سيواجهون تحديا خطيرا لاستعادة ثقة أهل الفلوجه بعد أن دمروا مدينتهم. نعم سيكون تحديا رائعا جدا. ووصفوا أيضا كيف سيقومون بذلك ـ بتأسيس دولة بوليسية.

علام: صحيح.

تشومسكي: لن يسمح لأحد أن يدخل الفلوجه قبل أن يخضع لفحص الشبكية لتحديد الهوية وسوف يعلم بعلامة ويحدد ويفعلون به كل شيء ما عدا وضع رقائق الكترونية فيه وذلك قد يصلون إليه في المرة القادمة، كما ينظم الداخلون إليها في مجموعات عمل يجبرون فيها تحت الأمر العسكري بإعادة بناء ما دمرته الولايات المتحدة. حاول أن تجد نظيرا لهذا وهذه مجرد جريمة حرب واحدة وقسم واحد من الأعمال الوحشية العامة.

في الحقيقة يمكنك أن تجادل بأن هذا لا معنى له. بمبادئ محكمة نورمبيرغ التي بادرت بها ونفذتها الولايات المتحدة وشملت بأن

الجريمة العالمية الكبرى هي الغزو والعدوان وتشمل الجريمة العالمية الكبرى كل الشرور التي تتبعها. لذلك مضاعفة معدلات سوء التغذية والمائة ألف من الوفيات وجرائم حرب الفلوجه كلها الحواشي، هي حواشي للجريمة العالمية الكبرى وأخذت تلك الجريمة بمحمل الجد. في نوريمبيرغ لم يحاكموا الجنود ولم يحاكموا قادة الشركات بل حاكموا ـ الأشخاص الذين حوكموا وشنقوا هم القادة الكبار مثل وزير الخارجية الألماني الذي شنق، بسبب اشتراكه بالجريمة العالمية الكبرى التي تشمل كل الشر الذي تلاها. هل نسمع بأي من ذلك الآن.

علام: صحيح.

تشومسكي: لكنك لا يمكنك إخفاءها. ما اقتبسته مذكور على الصفحات الرئيسية وهذا ما يزيد الدهشة. في الحقيقة كما تعرف مهما كان الوضع كريها فهو أحسن بكثير عما كان عليه في السنوات السابقة. اقصد بأن ما كان يحدث في فيتنام أسوأ من هذا ولم ينل أي اهتمام يذكر. يصعب قول هذا الكلام لكن ما تحقق من تقدم منذ فيتنام كبير. اقصد الآن هناك كثير من الناس يجدونه مرعبا على الأقل بينما استمر الأمر بمستوى أعلى بكثير في فيتنام سنينا دون أي احتجاج إطلاقا. اقصد أن الحرب في فيتنام بدأت عام ١٩٦٣ وكانت حربا ضد فيتنام الجنوبية شنها كندي عام ١٩٦٢ وكانت وحشية منذ بدايتها. قصف وحرب كيماوية وتدمير المحاصيل وغطاء لقطع الدعم عن الفدائيين من سكان البلاد الأصليين مما أدى إلى طرد ملايين الناس إلى ما يشبه معسكرات الاعتقال أو الأحياء القذرة في المدن.

مع الوقت تطور الاحتجاج في العام ١٩٦٦ او٦٧، بعد أن دمرت فيتنام الجنوبية عمليا. اقصد أن المحلل العسكري البارز والمحترم من الصقور

المختص بـ[الهند الصينية] بيرنارد فول، في عام ١٩٦٦،٦٧ تساءل وهو يكتب إن كان الوجود التاريخي والثقافي لفيتنام سينجو من الانقراض تحت أثقل هجوم تعرضت له منطقة بذلك الحجم. حسنا، لم يكن هناك أي احتجاج لسنوات. لقد تم إحراز تطور كثير في الثلاثين سنة الماضية.

علام: هذا يذكرني في الحقيقة بقول لمارك توين من كونيكتيكت يانكي، ربما تجد شيء فيه للتعليق عليه - اعتقد انه كان يتحدث عن الثورة الفرنسية:

هناك (حكمان للإرهاب) لو تذكرناه واهتممنا به؛ الأول منمق بعاطفة حارة والثاني بدم بارد لا يعرف الرحمة..... ارتعادنا من كل أشكال الرعب كالرعب الثانوي والرعب السريع والمؤقت، لكن هل يقارن الرعب من موت سريع بفأس بالرعب من موت يستمر مدى الحياة جراء الجوع والبرد والذل والقسوة والحسرة؟ قد تضم مقبرة المدينة توابيت مليئة بذلك الإرهاب القصير الأمد الذي تعلمنا بشكل متقن الارتعاد منه والنواح عليه؛ لكن كل فرنسا لا تستطيع أن تضم كل التوابيت المملوءة بذلك الرعب الحقيقي الأكبر إلا بصعوبة ذلك الرعب المر وأبشع بشكل يفوق الوصف، الذي لم يتعلم احدنا أن يرى ضخامته أو يرثيه كما يستحق.

هل تعتقد بأن إحدى وظائف التيار السائد في وسائل الإعلام هي عدم السماح برثاء الجرائم التي تستحق النظر - هل يعكس ذلك تحيز وعنصرية المجتمع الأمريكي؟

تشومسكي: وسائل الإعلام من هذه الناحية جزء من الثقافة الفكرية العامة التي تشملنا كلنا بما فيهم أنا وأنت. نحن نفضل بأن لا نرى الجرائم المرعبة المستمرة دائما التي نستطيع عمل شيئا ضدها

بسهولة. مثلا لقد مرت الذكرى العاشرة لمذابح رواندا المرعبة جدا التي استمرت مائة يوم وكان يقتل فيها ٨,٠٠٠ شخص يوميا. مذبحة بشعة جدا. وهناك كثير من عصر الأيدي والعويل حول ما لم نفعله من اجلها، لم نتدخل ولم نرسل قوات عسكرية وغيره، الم يكن ذلك فظيعا. نعم، كان ذلك فظيع جدا لكن دعنا ننظر إلى الوقت الحاضر.

الآن بالضبط حوالي نفس الرقم حوالي ٨,٠٠٠ شخص وفي الحقيقة ٨,٠٠٠ طفل يموتون في جنوب أفريقيا كل يوم من إمراض سهلة العلاج. إن أضفنا إليها الجوع سوف يزداد العدد، دعنا نقتصر على الأمراض السهلة العلاج. ذلك يعادل قتل الأطفال في رواندا لوحده وليس لمائة يوم فقط بل يوميا ومنذ سنين. هنالك طريقة سهلة للتعامل معها، رشوة شركات الأدوية لتقدم لهم الأدوية وبنية تحتية محدودة لازمة. الكن تقريبا لا احد] يتحدث عنها. اقصد بأن ذلك أسوأ من رواندا.

بالإضافة لو تقدمنا خطوة أكثر وسألنا أنفسنا - نتكلم عن البربرية - ما نوع المجتمع الذي نعيش فيه حيث الطريقة الوحيدة التي نستطيع التفكير بها لمنع قتل الأطفال اليومي في رواندا هي رشوة الشركات المستبدة الخاصة كي تفعل شيئا من اجل ذلك. اقصد أنها هي أكثر من بربرية.

لكن نحن نقبل بذلك، لم نتحدث عنه، وفضلنا بأن لا نفكر فيه. ليست القضية أننا نقلق حول الجرائم الصغيرة أكثر من الكبيرة وإنما يتركز الاهتمام على أي شيء يعمل ضدنا. ما نفعله بالآخرين ليس مهما ولا يقتصر الأمر بالولايات المتحدة تحديدا بل بشكل عام وهو جزء مشؤوم من الثقافات المهيمنة والمجتمعات الجبارة.

علام: بكل ذلك الخطاب المهيب عن البربرية، من المشوق أيضا أن

نلاحظ بأن هيئة دفاعية علمية للبنتاغون مؤلفة من كبار القادة العسكريين واهم شخصيات وكالات الاستخبارات أصدرت تقريرا منذ حوالي شهرين أعلنت فيه أن السبب الأساسي للاستياء في العالم الإسلامي هو دعم الولايات المتحدة لإسرائيل وللديكتاتوريات العربية وليس الكره الروحي للقيم الغربية نفسها. لكن إذا أدرك أهل البنتاغون والعسكر هذا فلماذا هذا الفصل الواسع بين ما يعترفون به وبين ما يقولونه ـ اقصد ما هي الأوليات الإستراتيجية العظيمة التي تجعلهم يتسببون بكل هذا الغضب الشديد؟

تشومسكي: كان ذلك التقرير مشوقا جدا. تقرير البنتاغون هذا عمليا هو تكرار حرفي لتقرير إن اس سي عام ١٩٥٨ حين طرح الرئيس ايزنهاور السؤال على هيئة أركانه: لماذا هناك حملة من الكره ضدنا في العالم العربي. وقد أعطي الجواب في تحليل قدمه مجلس الأمن القومي عام ١٩٥٨: لأنه هناك إدراك في العالم العربي بأن الولايات المتحدة تدعم الأنظمة القمعية والهمجية وتمنع الديمقراطية والتنمية، ونحن نقوم بهذا لنسيطر على موارد النفط ـ نفطهم. كان ذلك في عام ١٩٥٨. واستمروا بالقول، نعم الإدراك دقيق ونحن سنستمر في عملنا ذلك. لقد كان تلك الحالة معروفة تماما منذ سنين.

وفاقمت بعض السياسات الوضع أكثر. بعد ١١ أيلول مباشرة، حسب علمي، استقصت جريدة واحدة في الولايات المتحدة عن الآراء في العالم الإسلامي وهي صحيفة ول ستريت التي اقتصر استطلاعها على الناس الذين اهتموا بهم، من المسلمين الأثرياء ومدراء الشركات المتعددة الجنسية والمحامين الدوليون، كما تعرف ـ أشباههم من الناس ـ لذلك لم يكن هناك أي قلق من العولمة أو أي شيء آخر، فهؤلاء جزء من

النظام الأمريكي القائم. لكنهم حصلت على نفس نتائج عام ١٩٥٨ التي أفادها البنتاغون في تقريره. أنهم يكرهون بن لادن ويخافون منه لأنه يحاول أن يقتلهم ويدمرهم لكنهم عبروا أيضا عن فهمهم للموقف الذي يعبر عنه ويكرهون سياسة الولايات المتحدة لأنها تدعم العدوان الإسرائيلي والأعمال الوحشية في ذلك الوقت بسبب العقوبات على العراق التي قتلت آلاف الأشخاص ودمرت المجتمع وسببت غضبا هائلا.

تقرير البنتاغون هو تعبير عما يعرفه كل شخص يفتح عينه على الحقيقة. الحقيقة التي اعتبرت مفاجئة في الولايات المتحدة والتي تبين مدى تعامي المثقفين. يمكنك قراءة ذلك في كل دراسة منذ عام ١٩٥٨ ويمكنك أيضا أن تجد أي كتاب عن الإرهاب، أي كتاب جدي، ليس أي واحد يلوم ويصرخ ـ وإنما واحد يتحدث عنه بجد مثل دراسة جيزون بيرك عن القاعدة التي هي الأفضل هنا.

إنهم لا يكرهون حريتنا، أنت تعرف، ما يكرهونه هو السياسات الأميركية ولسبب وجيه لأن هذه السياسات تسحقهم منذ سنين. نعم هم يكرهون السياسات. لقد اكتشف البنتاغون أو أعاد اكتشاف ما يعرفه كل شخص بصير وهذه التقارير التي يعود تاريخها إلى عام ١٩٥٨ نشرت منذ خمسة عشر عاما وقرأتها عام١٩٩٠. من الأسهل الجلوس على قاعدة التمثال والصراخ عن الفاشية الإسلامية وكيف تحاول تدميرنا، فذلك لا تستلزم التفكير بالسياسات وعمل شيء بخصوصها.

من الصحيح أن ما سمي بالإرهاب عموما لم يأت من فراغ. خذ مثلا الاي ار ايه ـ الجيش الثوري الايرلندي الذي كانت تدعمه الولايات المتحدة كثيرا ومولت إرهابه الخطير ـ لم تموله الولايات المتحدة فقط بل والكنائس أيضا، وعرفت بذلك الاف بي أي ولم تحرك ساكنا.

كان شيئا بغيضا لكنه الآن بلا أسباب, لقد اعتمد على خزان من التعاطف الموجود لدى السكان الذين أدركوا بأن المظالم التي كانوا يتحدثون عنها حقيقية ـ وحين استجاب البريطانيون ليس بالعنف الشديد بل ببعض الانتباه لتلك المظالم أدى ذلك إلى تحسن مهم وكبير في الواقع. طبعا بلفاست ليست الجنة لكنها تحسنت بشكل هائل عما كانت عليه منذ عشر سنين.

وهذه هي الحال بشكل عام. بالإضافة أن كل مختص جدي في الإرهاب يعرفها. انظر إلى المخابرات الإسرائيلية مثلا, اقصد الرؤساء السابقين للشين بت الذين تكلموا عن هذا ـ الرؤساء الحاليون لا يستطيعون لكن السابقون استطاعوا ـ لقد قال رؤساء المخابرات السابقين كلهم الشيء نفسه: إذا لم تعامل الفلسطينيين باحترام ولم تمنحهم حقوقهم الأساسية فلن يمكنك إيقاف الإرهاب. هذه هي الطريقة لذلك ـ لديهم مظالمهم وهي مظالم حقيقية, نحن نعاملهم باحتقار وإذلال وتدمير ونسرق أرضهم وخيراتهم.ليوجد شيء مثل! شبه الإجماع العالمي على هذا بين كل الناس المهتمين بهذا الموضوع.

علام: شكراً جزيلاً لك بروفيسور وشكراً على وقتك.

إسرائيل والهولوكوست ومعاداة السامية

نعوم تشومسكي

مقتطفة من كونيكلز اف ديسنت،١٩٩٢ .

سؤال: يركز كتابك مثلث الشؤم على الشرق الوسط بالتحديد، واسأل إن كنت تستطيع التحدث عن رأيك في إمكانية حل الدولتين للمشكلة الفلسطينية؟

تشومسكي: لا اعتقد أن ذلك هو الحل الأمثل، لكنه ظل الحل السياسي المعقول لبعض الوقت. يجب أن نبدأ ببعض الأساسيات هنا. المشكلة الحقيقية هي: توجد مجموعتان قوميتان هناك بشكل واضح تطالبان بحق تقرير المصير في ما كان يسمى بفلسطين وهي تقريباً المنطقة التي تحتلها إسرائيل الآن بدون مرتفعات الجولان التابعة لسوريا.

لذلك هناك مجموعتان قوميتان تطالبان بحق تقرير المصير. المجموعة الأولى هي السكان الأصليين أو ما بقي منهم ـ بعد أن طردت إسرائيل أو أجبرت الكثيرين منهم على الفرار. المجموعة الأخرى هي المستوطنون اليهود الذين جاءوا أصلا من أوروبا والشرق الأوسط في وقت متأخر وبعض المناطق الأخرى. لذلك هناك مجموعتان السكان الأصليين والمهاجرين وأسلافهم وتطالبان بحقهما القومي في تقرير المصير. هنا يجب أن نأخذ قرارا حاسما: هل نحن عنصريون أم

لا؟ إن كنا غير عنصريين فللسكان الأصليين نفس الحق في تقرير المصير كحق المستوطنين الذين حلوا محلهم. يطالب البعض بأكثر لكن دعنا نقول نفس الحق على الأقل وإذا لم نكن عنصريين سنحاول أن نضغط من اجل حل يتفق معهم ـ سنقول أنهم كائنات بشرية يتمتعون بنفس الحقوق لذلك كلا المجموعتان تستحقان المطالبة بحق تقرير المصير. أنا اسلم بأن للمستوطنين نفس حقوق السكان الأصليين؛ كثيرون لا يجدون هذا واضحا لكن دعني اسلم به. إذا هناك عدة احتمالات. احد الاحتمالات مجتمع علماني (دنيوي) ديمقراطي لا يؤيده احد عمليا رغم ان البعض تظاهروا بالتأييد لكن لو تمعنت بهم عن قرب فستجد بأن حقيقتهم تختلف. هناك نماذج متنوعة للمجتمعات التي فيها تعددية اثنية مثل سويسرا أو غيرها. وربما تكون تلك هي أفضل فكرة على المدى البعيد لكنها غير واقعية.

التسوية السياسية الواقعية الوحيدة في الوقت الحالي, في العشر سنوات الأخيرة, التي تلبي حق تقرير المصير لكلا المجوعتين القوميتين هي تسوية الدولتين. كل شخص يعرف كيف ستكون إسرائيل: إسرائيل ضمن حدود ما قبل حزيران عام ١٩٦٧ تقريبا ودولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وعودة مرتفعات الجولان إلى سورية أو ربما تدبير آخر. سيترافق هذا مع مناطق منزوعة السلاح وضمانات عالمية من نوع أو آخر, لكن ذلك هو الإطار السياسي لتسوية سياسية ممكنة. كما قلت, لا اعتقد بأنها الأفضل وإنما هي الواقعية بل وواقعية جدا ويدعمها غالبية العالم. تدعمها أوروبا والاتحاد السوفييتي ودول عدم الانحياز وتدعمها الدول العربية الرئيسية ويدعمها التيار

السائد في منظمة التحرير الفلسطينية ويدعمها العرب الأميركيين أيضا بنسبة اثنين إلى واحد حسب استفتاءات الرأي. لكن هناك من يعارضونها كجبهة الرفض في العالم العربي وأقلية من عناصر منظمة التحرير الفلسطينية وليبيا وقلة من الآخرين لكن أهم من يعارضها وبقوة وعناد الولايات المتحدة وإسرائيل ولم تأخذها الولايات المتحدة بعين الاعتبار ويرفضها التجمعان السياسيان في إسرائيل رفضا باتا كما يرفضان أي حق للسكان الأصليين في فلسطين السابقة في تقرير مصيرهم القومي وبرأييهما يمكنهم اخذ الأردن إن أرادوا أو سوريا أو شيء آخر لكن ليس المنطقة التي هي تحت الاحتلال العسكري الآن وهم صريحين بذلك وفي الواقع. إن حزب العمل مستمر بموقفه الذي عبر عنه ممثله السابق والرئيس الحالي حاييم هيرتزوغ الذي قال: لا يمكن لأحد أن يكون شريك لنا في الأرض التي ظلت مقدسة لشعبنا ألفين عام.) ذلك هو موقف الحزب يرغب ببعض التعديلات لكنه لا يريد أن يهتم بسكان الضفة الغربية لأن عددا كثيرا منهم من العرب؛ لا يريد أعضاء حزب العمل عربا حولهم لهذا يفضلون أخذ الأراضي والمياه والموارد التي يريدونها من الضفة الغربية لكنهم يتركوا السكان إما بلا دولة أو تحت السيطرة الأردنية. ذلك ما يسمونه (بحل التسوية). انه اقتراح قذر جدا وأسوأ بكثير من الضم من أوجه كثيرة. لكنه يدعى هنا بتسوية والسبب أننا النخب المثقفة في الولايات المتحدة والنقاش القومي تأخذ موقفا عنصريا صارما من هذا. الفلسطينيون ليسوا بشرا ولا يستحقون الحقوق التي منحناها آليا للمستوطنين الذين طردوهم. ذلك هو أساس

النقاش الأمريكي المعبر عنه بوضوح: عنصرية نقية صرفة. مرة ثانية هذا ليس صحيحا بالنسبة للسكان الأمريكيين كالعادة بل للأقسام النشطة سياسيا والحكومة بالتأكيد. طالما أن الولايات المتحدة وإسرائيل ترفضان التسوية السياسية فلن يكون هناك أي حل.

لقد كانت هناك فرص مقبولة جدا لتسوية سياسية منذ سنوات كثيرة في الحقيقة. لنذكر القليل منها فقط واختفت من التاريخ لأنها غير ملائمة أبدا: في شباط ١٩٧١ الرئيس المصري أنور السادات عرض معاهدة سلام شاملة على إسرائيل بحدود ما قبل حزيران٦٧ تناسبت المعاهدة مع السياسة الأمريكية الرسمية عرضيا لكنها خالفت السياسة النافذة (العملياتية) ولم تقدم شيئا للفلسطينيين ولا حتى دولة فلسطينية ومع ذلك رفضتها إسرائيل ودعمتها الولايات المتحدة في ذلك الرفض. في كانون الثاني عام ١٩٦٧قدمت سوريا والأردن ومصر أو ما يسمى بدول المواجهة اقتراحا في مجلس الأمن في الأمم المتحدة بتسوية الدولتين مع ضمانات عالمية وحقوق إقليمية آمنة وغيره بدعم من منظمة التحرير وتأييد من الاتحاد السوفييتي وغالبية دول العالم لكن إسرائيل عارضت الاقتراح بقوة وقاطعت الجلسة وفي الواقع قصفت لبنان ردا على الأمم المتحدة وقتلت ٥٠ شخص تقريبا دون عذر لمجرد الغضب. (سوف نقتل كل من يقف في طريقنا لو ضغطتم علينا بهذا) واستخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضده. هناك سلسلة من هذه الأشياء التي كانت تسدها الولايات المتحدة دائما وترفضها إسرائيل دائما مما يعني عدم وجود تسوية سلمية ووجود دولة في مواجهة عسكرية دائمة تنشر الرعب الواضح وسط الفلسطينيين وسيئة

للإسرائيليين بنفس الوقت أيضا لأنها تقودهم إلى حتفهم، في رأي، وبالتأكيد إلى الانهيار الاقتصادي والانحطاط الأخلاقي والى دمارهم الفسيولوجي عاجلا أم آجلا إذ ليس هناك دولة في حالة مواجهة عسكرية دائمة لا تندحر أبدا كما أنها تؤدي إلى دفع العالم باتجاه الحرب النووية بشكل متكرر. كل صراع عربي إسرائيلي – وسيكون هناك المزيد منه طالما أننا نحافظ على المواجهة العسكرية - يدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في مواجهة عسكرية. كلاهما متورطان. الاتحاد السوفييتي قريب من المنطقة وهي ليست أمريكا الوسطى إنها منطقة إستراتيجية قريبة من حدوده وسيتورطان حتى لو كانت بعيدة جدا لأنها منطقة إستراتيجية بسبب قربها من مصادر البترول أولا. لهذا نحن تورطنا ودخلت الأساطيل في المواجهة التي كانت على وشك الحدوث واقتربت من الحرب النووية في عام ١٩٦٧ وسيتكرر ذلك. لهذا فهي خطرة جدا لأنها أكثر المناطق المحتملة في التسبب بحرب نووية ورغم ذلك نحن مستمرين لأننا لا نريد تسوية سلمية. الولايات المتحدة مصرة على المواجهة العسكرية.

سؤال: لقد ذكرت العنصرية ضد الفلسطينيين. إلى أي مدى تشبع الإسرائيليون الاشكيناز بالمواقف العنصرية الألمانية التي لا يمارسونها ضد العرب فقط بل وحتى اليهود الشرقيين، السيفرديم. هل هناك أي شيء من ذلك؟

تشومسكي: أنا لا اسميها ألمانية بالتحديد.

سؤال: أوروبية؟

تشومسكي: نعم. إن جزء من الثقافة الأوروبية فيه مواقف عنصرية

اتجاه العالم الثالث وهذا يشملنا لأننا جزء من أوروبا في هذا الجانب. بشكل طبيعي يشترك المجتمع اليهودي مع أوروبا في مواقفها وهذا ليس مفاجئا. وبالتأكيد توجد مثل هذه الأشياء في إسرائيل. واشعر انه يمكن التغلب عليها مع الوقت في ظل السلام. اعتقد بأنها حقيقية لكنها ليست مميتة ويمكن قهرها بواسطة التكامل البطيء. العنصرية التي ربما لا يمكن التغلب عليها هي العنصرية المضادة للعرب حيث يؤدي استعباد الناس المنهزمين والخاسرين إلى العنصرية. لو كنت جالسا وحذائك فوق رقبة شخص آخر فانك ستكرهه لأن هذا هو الوحيد الذي يبرر ما تفعله لهذا يولد الاستعباد العنصرية ولا تستطيع التغلب عليها. بالإضافة إلى العنف العنصري ضد العرب في الولايات المتحدة وكثير من الغرب الذي لا شك فيه. العنصرية الوحيدة التي يمكن التعبير عنها صراحة وبغضب هي العنصرية ضد العرب. لم يعد هناك رسوم هزلية للسود في الجرائد بعد وإنما هناك للعرب.

سؤال: لكن أليس غريبا أنهم يستخدمون النماذج اليهودية الأصلية، الجيوب المترعة بالنقود واللحى والأنوف المعقوفة؟

تشومسكي: لقد لاحظت بأن الرسوم الكاريكاتيرية والمتحركة شبيهة جدا بما كنا نجده في الصحافة النازية عن اليهود.

سؤال: ما هو البعد الذي يلعبه الهولوكست في هذه المعادلة؟ هل تستغلها دولة إسرائيل لتقوي مصالحها الخاصة؟

تشومسكي: إنها تستغل بشكل متعمد. اقصد، بالتأكيد ذلك حقيقي، وليس هناك أي شك فيه ومما لاشك فيه أيضا أن الإسرائيليين يستغلونه. يقولن هكذا مثلا في جيروزاليم بوست،بالانكليزية لذلك

تستطيع قراءتها, مراسلها في واشنطن ولف بليتزر, لا أتذكر التاريخ الدقيق, لكن بعد احد الاجتماعات الكبيرة بذكرى الهولوكوست في واشنطن كتب في مقالة في جيروزاليم بوست قال فيها(لم يذكر أحد بيع الأسلحة للعرب لكن كل أعضاء الكونغرس فهموا بأن تلك هي الرسالة الخفية. هكذا شرحناها.) في الحقيقة, المحافظ والزعيم الصهيوني الصادق جدا, ناحيم غولدمان الذي كان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية والذي احتقر جدا حتى النهاية لأنه كان صادق جدا كما اعتقد ـ لقد رفضوا إرسال وفد إلى جنازته أو حتى رسالة. انه احد مؤسسي الدولة اليهودية والحركة الصهيونية واحد رجال الحكم الكبار, رجل صادق جدا, قبل موته في عام ١٩٨٢, أدلى بتصريح غير عادي ومؤثر قال فيه ـ انه يستخدم كلمة عبري للدلالة على (انتهاك المقدسات) وقال أننا نستغل الهولوكوست لتبرير اضطهادنا للآخرين وكان يشير إلى شيء حقيقي: استغلال أبشع وحشية مروعة في العالم لكي نبرر اضطهادنا للآخرين. وذلك النوع من الاستغلال مقزز فعلا.

سؤال: هل يزعجك هذا و...؟

تشومسكي: يقززني فعلا. كثير من الناس يعتبرونه غير أخلاقي أبدا لكن أكثر الناس يخشون قول أي شيء حول ذلك. ناحيم غولدمان هو واحد من القلائل الذي كان قادرا على قول أي شيء عنه وكان ذلك احد أسباب كرههم له. كل من يحاول أن يقول أي شيء عنه سيتعرض إلى حملة تشهير قوية من النوع الذي تجعل الحزب الشيوعي القديم يفتح فمه رهبة لهذا لا يتحدث الناس عنه.

سؤال: سألتك هذا السؤال لأني اعرف بأنك تعرضت لكوارث وطوردت في الولايات المتحدة بسبب هذه القضية بالتحديد, قضية الهولوكوست. وقيل أن نعوم تشومسكي (لا ادري) شكاك أو ملحد بحقيقة الهولوكوست وحدوثه.

تشومسكي: (اللادرية) لا تزال تحتفظ بحقها في النشر. لقد وصفت الهولوكوست منذ سنوات بأنها اغرب انفجار غريب للجنون في تاريخ الإنسانية, لذلك حتى لو اتفقنا على أن نناقش ذلك فسيحط من قدرنا كثيرا. نشرت تلك التصريحات والكثير جدا غيرها لكنها غير لازمة أساسا لأنها قسم من التكنيك الستاليني لكتم أصوات المنتقدين للدولة المقدسة لذلك تصبح الحقيقة غير لازمة, لنلفق ما استطعنا من الأكاذيب وتتمنى لو التصق بعض الوحل. انه أسلوب نموذجي استخدمته الأحزاب الستالينية والنازيون وهؤلاء الفتيان.

سؤال: هنالك دعم هائل لإسرائيل من الولايات المتحدة من مجموعات النخب على الأقل. هناك أيضا مستوى ثابت آخر, معادي للسامية وخبيث مستمر هل يمكنك التحدث عن ذلك؟

تشومسكي: لقد تبدلت معاداة السامية, خلال حياتي على الأقل. حيث تربيت كنا العائلة اليهودية الوحيدة عمليا, اعتقد بأنه كانت هناك واحدة أخرى. لكوننا العائلة اليهودية الوحيدة في مجتمع اغلبه كاثوليكي ايرلندي وكاثوليكي ألماني -

سؤال: في فيلادلفيا

نعوم تشومسكي: في فيلادلفيا وكانت معاداة السامية حقيقة جدا. هناك ممرات محددة استطيع السير فيها للذهاب إلى المتجر دون أن

أتعرض للضرب كان ذلك في أواخر ثلاثينات القرن العشرين وكانت المنطقة مؤيدة للنازيين علنا وأتذكر حفلات البيرة حين سقطت باريس وأشياء مثل ذلك. ليست كالعيش تحت حكم هتلر لكنها كانت مزعجة. كانت هناك معاداة للسامية قوية في ذلك الجوار الذي كبرت فيه واستمرت. حين وصلت إلى هارفارد في أوائل الخمسينات ظلت هناك معادة للسامية واضحة. لم تكن بأنهم يضبطونك وأنت في طريقك إلى المدرسة لكن بطرق أخرى. نوع لاذع من معاداة السامية. كان هناك عدد قليل من الأساتذة اليهود في الكلية آنذاك. وكانت بدية انتشارهم لكنهم ظلوا قليلين. كانت تلك نهاية عهد طويل من معاناة السامية اللاذعة ومؤسسات النخبة على مدى الثلاثين سنة الأخيرة التي تبدلت بشكل متطرف. إن معادة السامية موجودة في الواقع لكنها الآن متساوية برأي مع كل أنواع الضرر الأخرى ولا اعتقد أنها اشد من معاداة الايطالية أو الايرلندية وهذا تبدل مهم في الجيل الأخير. النوع الذي جربته في حياتي وكان واضحا في المجتمع.

سؤال: كيف تفسر ذلك؟

تشومسكي: كيف سأفسر ذلك؟ اعتقد أن ذلك بسبب تأثير الهولوكوست جزئيا. لقد أظهرت النتائج المرعبة لمعاداة السامية بطريقة مدهشة بالتأكيد. أنا افترض، دون أن استطيع الإثبات بضرورة وجود نوع من الشعور بالذنب بسبب دور الولايات المتحدة الكريه أثناء وقبل الهولوكوست. لم يتصرف الامريكيون لإنقاذ اليهود وكانوا قادرين على ذلك بطرق كثيرة كما لم يكن دور المنظمة الصهيونية العالمية جيدا أيضا. في أواخر أربعينات القرن العشرين كان هناك

الكثير من الأشخاص المرحلين في معسكرات المهجرين اليهودية وكانوا يموتون بنفس المعدل الذي كان تحت الحكم النازي. كثير من هؤلاء الناس لو أعطيت لهم الفرصة لجاؤوا إلى الولايات المتحدة. هناك بيانات بعددهم لكن لا يمكن التخيل لو أنهم أعطوا فرصة لرفضوا القدوم. ثم جاء بعد ذلك البعثرة الصغرى. كانت هناك وثيقة الهجرة, وثيقة ستراتون التي قبلت ب٤٠٠٠٠٠شخص, لكن اليهود كانوا قلة وكان أكثرهم من النازيين. أظن أن سبب الموافقة على الوثيقة في عام ١٩٤٧كما اعتقد هو أنها كانت بداية الحرب الباردة وأعطيت الأولية للنازيين أساسا لأن الولايات المتحدة كانت تنبشهم في كل أنحاء العالم وتحضرهم لهذا كان كثير من المهاجرين الذي شملتهم الوثيقة من مجرمي الحرب النازيين وآخرين غيرهم وقلة من اليهود. تلك صورة غير ساطعة فأثناء الحرب يمكن للأمريكيين تقديم حجة غير سخيفة على الأقل بأنهم كانوا يخوضون الحرب فلم يقلقوا حول الناس الذين أرسلوا إلى غرف الإعدام بالغاز لكن بعد الحرب لا يمكن إعطاء أي حجة. يجب أن أقول بأن المنظمة الصهيونية لم تدعم ذلك أيضا ولم تمارس أي ضغط على الوثيقة. إن المنظمات غير اليهودية هي الوحيدة التي مارست ضغوطها لقبول المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة وكانت غير صهيونية أو معادية للصهيونية لأن المنظمة الصهيونية العالمية والولايات المتحدة أرادتا إرسال اليهود إلى فلسطين إن رغبوا بذلك أم لا وتلك قصة أخرى وتكررت نفس المسألة الآن مصادفة مع المهاجرين الروس واغلبهم من الأجزاء الأوروبية الروسية ورغبوا في الهجرة إلى الولايات المتحدة لكن أرادت المنظمة

الصهيونية أن تجبرهم على الذهاب إلى إسرائيل ومارست عليهم كل أنواع الضغط لمنعهم. انه نوع من إعادة التشريع بمستوى اقل بشاعة لنفس القصة. اعتقد بوجود عنصر الشعور بالذنب على الهولوكوست وربما مسألة ما بعد الحرب.

بالإضافة إلى ذلك تبدل المجتمع اليهودي اجتماعيا واقتصاديا. أصبح الآن قويا, ليس ضخما بالعدد وإنما لأن نسبتهم قوية في مجموعات النخبة المسيطرة ذات الامتيازات في كل قسم من المجتمع, الخبراء والسياسيين والاقتصاديين الخ. إنهم ليسوا كالنموذج الأصلي المعادي للسامية فهم لا يملكون شركات لكنهم ينتسبون إلى الأعداد التي لها نفوذ كبير وخصوصا في النظام الإيديولوجي, كثير من المحررين والكتاب الخ. وهذا له تأثيره.

كما اعتقد أيضا أن الوضع تبدل بسبب ما حدث منذ عام ١٩٦٧. حققت إسرائيل في حرب عام ١٩٦٧انتصارا عسكريا مفاجئا بينت فيه قدرتها العسكرية التي حطمت في الحقيقة العالم العربي كله وحظيت باحترام كبير. كثير من الأمريكيين يحبون العنف وخصوصا الأمريكيين ذوي الامتيازات ويريدون أن يقفوا بجانب الفتى صاحب البندقية وهاهي دولة قوية وعنيفة حطمت أعداءها وأثبتت بأنها قوة عسكرية مسيطرة في الشرق الأوسط. كان ذلك مفاجئا ومثيرا لأنه كان في عام ١٩٦٧ أي الوقت الذي لم تحقق فيه الولايات المتحدة أي نجاح سوى نجاح صغير بتنفيذ غزوها لكل الهند الصينية ومن الجدير تذكر رأي النخبة, بما فيه رأي الليبراليين الداعمين بقوة لحرب فيتنام وكانوا قلقين من قدرة الولايات المتحدة في الفوز, على

الأقل بالمستوى الذي أرادوه ثم جاءت إسرائيل وعلمتهم كيف يقومون بذلك مما كان له أثرا رمزيا. منذ ذلك الحين باتت تقدم نفسها, مع شيء من العدل, كسبارطا الشرق الأوسط, متقدمة عسكريا ومؤهلة تكنولوجيا ومجتمعها قوي. هذا هو النوع الذي نحبه. وأصبحت أيضا رصيدا استراتيجيا للولايات المتحدة, احد الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة تحافظ على المواجهة العسكرية لتطمئن بأن إسرائيل حليف يعتمد عليه ومضمون وسيفعل ما تريد مثل تأييد الإبادة الجماعية في غواتيمالا أو أي مكان آخر وذلك يزيد الاحترام لإسرائيل أيضا مع ميلها في التقليل من معاداة السامية. اعتقد بأن هذا هو احد العوامل.

سؤال: لكنك أشرت إلى انه طالما أن مصالح الولايات المتحدة مصانة ومستفيدة ستظل إسرائيل مفضلة لكن في اللحظة التي فيها تلك المصالح.... .

نعوم تشومسكي: هذا صحيح, سوف تنتهي في الحقيقة وتزداد معاداة السامية. بالإضافة إلى المستوى الأخلاقي هي حليف هش في المقاييس التكتيكية.

سؤال: لهذا ما هو مصير الالتزام الأخلاقي, القلق بشأن العدالة في الدولة اليهودية وكل ذلك....إلى خارج النافذة؟

تشومسكي: من قبل من؟

سؤال: الولايات المتحدة

تشومسكي: ليس هناك قلق بخصوص العدالة ولم يكن في الأصل. الدول لا تقلق حول العدالة ولا تتصرف بناء على أسس أخلاقية.

سؤال: باستثناء المستوى الخطابي

تشومسكي: على المستوى الأخلاقي كلها تفعل ذلك حتى ألمانيا النازية أما على المستوى الفعلي ليس هناك من تفعل ذلك. هي أدوات سلطة وعنف وهذا صحيح بالنسبة لكل الدول فهي تتصرف بناءا على مصالح الجماعات التي تسيطر عليها. إنها تصب في الخط الخطابي الجميل لكن هذه ليست إلا مقدمات للنظام العالمي.

سؤال: لقد كنت ناقدا للمجتمع الليبرالي الأمريكي وفي الحقيقة قلت بأنهم يساهمون في دمار إسرائيل. أرجو أن تتحدث قليلا عن ذلك.

تشومسكي: لقد تحرك المجتمع الأمريكي الليبرالي منذ عام ١٩٦٧الى مستوى خيالي من تأييد إسرائيل التوسعية وعارض الليبراليون الأمريكيون باستمرار أي تسوية سياسية وفضلوا تكبير قوة إسرائيل وتضخيمها ومارسوا موقعهم المؤثر في وسائط الإعلام وفي النظام السياسي لصد أي تحدي للنظام المواجهة العسكرية والتغلب عليه مستخدمين في ذلك كل الأساليب القياسية من طعن وتشهير وإغلاق سبل السيطرة على وسائل التعبير الخ.. لا أدري إن كان الأثر حاسم لكن كان لهم بعض الأثر البارز في جعل الولايات المتحدة تدعم المواجهة العسكرية المستمرة ومعرضة الحكومة الأمريكية للتسوية السياسية.

بالنسبة لإسرائيل ذلك مدمر. في الحقيقة حمائم إسرائيل يتذمرون منه ويشيرون دائما إليه بالستالينية. يشيرون إلى الطبيعة الستالينية لتأييد إسرائيل من جانب ما يسمونه بالمجتمع اليهودي وهذا لأنهم لا يفهمون الولايات المتحدة كفاية. إنهم ليسوا المجتمع اليهودي فقط وإنما المجتمع الأمريكي المثقف كله أساسا.

سؤال: أشار ادوارد سعيد إلى وجود تعددية في النقاش في إسرائيل نفسها أكثر مما في الولايات المتحدة.

تشومسكي: ليس هناك أدنى شك في ذلك. مثلا لقد سألني كثيرا محرر صحيفة حزب العمل وهي الصحيفة الرئيسية للحزب أن اكتب أعمدة دائمة فيها لكني لم افعل ذلك لأنني مهتم بأشياء هنا. لا يمكن تخيل ذلك أبدا في الولايات المتحدة. إن المراكز التي أحرزتها هي بناءا على إجماع عالمي. هؤلاء ليسوا الأغلبية في إسرائيل لكنهم جزء من الطيف السياسي ومواقعهم محترمة.

سؤال: في الوقت المتبقي لدينا, أود أن أسألك سؤالين. السؤال الأول بأي طرق عملك في اللغويات والنحو أفادك في التحليل السياسي و الآراء؟

تشومسكي: أظن قليل جدا. ربما لا اعرف, ربما أنا لست الشخص الذي يسأل لكن اعتقد أن العمل في العلم مفيد لأنك تتعلم وتفهم ما هو الدليل والحجة والعقلانية وتصبح قادرا على تطبيق هذا على مجالات أخرى حيث تكون ناقصة جدا ومرفوضة لهذا تقدم بعض المساعدة في ذلك المجال. وهناك على مستوى نظري عميق, نوع من المفهوم الجوهري الشائع للطبيعة الإنسانية والدافع الإنساني للحرية والحق بأن تكون متحررا من القسر الخارجي والسيطرة, ذلك النوع من الصورة يحيي مخاوف الاجتماعية والسياسية. اهتماماتي الفوضوية التي تعود إلى طفولتي المبكرة ومن جانب آخر تدخل هنا بطريقة واضحة ودقيقة نسبيا في عملي باللغة والفكر, لكنها علاقة رخوة جدا, ليس نوع العلاقة التي يمكنك فيها استنتاج علاقة من أخرى أو

شيء من ذلك.

سؤال: حققت شهرة عالمية بعملك في اللغويات والفلسفة ومن الواضح بأنك لم تقتنع بذلك، أردت أن تخرج إلى العالم الاجتماعي والسياسي.

تشومسكي: على العكس تماما. انه واحد من الأمثلة التي تظهر بأن الناس يفعلون دائما أشياء لا يريدون فعلها لأنهم مجبرون على ذلك. لقد اتخذت قرارا متعمدا بذلك. في الحقيقة لقد تبدلت آرائي السياسية كثيرا منذ أن كنت في حوالي الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمري. لقد تعلمت أكثر واعتقد بأن آرائي نضجت أكثر لكنها لم تتبدل من حيث الجوهر. على كل حال لم أكن ناشطا وبقيت حتى أوائل ستينات القرن العشرين اعمل في حديقتي أساسا وأعمل العمل الذي أحبه، العمل المشوق ثقافيا، والمجزي والمرضي الذي حققت نجاحات فيه وسعيد في التعلق به وهو أفضل لي من كل المجالات المتصورة من وجهة نظر شخصية ضيقة. أتذكر أنني عرفت منذ أن اشتغلت كناشط سياسي بأنه لن تكون هناك نهاية وستزداد المطالب دائما وأبدا وستكون هناك عقابيل شخصية مزعجة - وهي مزعجة. اقصد هناك أشياء اقل إزعاجا من قضاء يوم في زنزانة سجن في واشنطن أو تحتجز بالسجن لخمس سنوات أو تخضع إلى الأكاذيب التي لا تنتهي الاتحاد المضاد التشهير وأصدقائه الخ. لكن هناك أشياء مسرة أكثر ولا اعرف التفاصيل لكنني عرفت بأن حياتي ستكون اقل متعة من الحياة التي كنت امضي قسما منه في العمل في الحقول وأعرف بأنني أجبرت على تقليص الأشياء التي أريد أن افعلها واستمتع

بفعلها وعرفت أن حياتي الشخصية ستنكمش كثيرا وانه يجب أن تضحي بشيء وستكون هناك نتائج سلبية كثيرة, فكرت بها كثيرا ثم اقتحمت أخيرا هذا المجال بعد تفكير طويل لكن ليس بمتعة كبيرة كما يجب القول.

سؤال: اعتقد أن كثير من الناس ممتنون لأنك فعلت.

تشومسكي: شكرا.

المثقفون ومسؤوليات الحياة العامة

نعوم تشومسكي في مقابلة مع رويرت بروفسكي

بيلك انثروبولوجي ٢٧ أيار ٢٠٠١ .

روبرت برفوسكي: لقد كتبت في كتابك قوى وفرص بأن (مسؤولية الكاتب كممثل للأخلاق هي أن يجلي حقيقة المسائل ذات المغزى الإنساني ويقدمها لقرائه لتحسين أوضاعهم.) هل تعمم ذلك على كل المثقفين والأكاديميين أم لا؟

نعوم تشومسكي: إن اختار الشخص بأن لا يكون كاتبا أو خطيبا فان الشخص بالتعريف قد اختار بأن لا ينشغل في محاولة التأكد من حقيقة المسائل ذات المغزى الإنساني وتقديمها لقرائه لتحسين وضعهم عدا عن بعض من دائرة رفاقه وأصدقائه المقربين. إن وجوب تسمية مثقف تقلص القضية إلى مسألة مصطلح. بالنسبة للأكاديمي أنا لا أرى سببا يجعل مسؤولياته كممثل للأخلاق مختلفة من حيث المبدأ عن مسؤوليات الآخرين وبالتحديد الذين يتمتعون بقدر من النفوذ والسلطة لذلك تقع عليهم المسؤوليات الناتجة عن تلك الامتيازات.

روبرت برفوسكي: لقد أشرت في نيويورك ريفيو اف بوكس قديما في عام ١٩٦٧أن (مسؤولية المثقف قول الحقيقة وكشف الأكاذيب) هل تفسر ذلك كموازي لعبارة فوكولت الشهيرة (قول الحقيقة للسلطة) أم هل تشير إلى شيء أكثر شمولا؟

ن ت: التصريح المقتبس من المجلة المذكورة موجز وناقص والعبارة التي اقتبستها من قوى وفرص مناسبة أكثر وموسعة وهي نسخة لحديثي في مؤتمر الكتاب في استراليا عام ١٩٩٦ حين طلب مني أن أتحدث عن (مسؤوليات الكتاب والمثقفين) هذا السؤال الذي قلت بأنني وجدته مربكا لأنني لا اعرف شيئا أقوله عن ذلك أكثر من الحقائق البديهية التي ربما تستحق التأكيد لأنها (تتعرض للرفض عموما إن لم يكن بالكلام فبالممارسة المتينة. بعدها قدمت سلسلة من الإيضاحات المهمة والوثيقة الصلة كما بدت لي. أدليت في ذلك الحديث ببعض الملاحظات حول دعوة(قول الحقيقة للسلطة) الذي ربما اقتبسه هنا. إن قول الحقيقة للسلطة ليس تلك المهمة المحترمة بشكل بارز. يجب على المرء أن يجد مستمعا مهتم ـ علاوة على ذلك (مؤهل) ويجب أن لا ينظر إليه كمستمع بل كمجتمع له اهتمام مشترك يأمل المرء أن يشارك فيه بصور بناءة. يجب أن لا نكون نتحدث إلى وإنما مع. تلك هي الطبيعة الثانية لأي معلم جيد ويجب إن تكون طبيعة كل كاتب أو مثقف أيضا. مرة أخرى أنا لا أوحي بأن الملاحظات مفاجئة وعميقة وإنما تبدو لي مجرد حقائق بديهية. لا ادري إن كان فوكولت هو من استخدم عبارة(قول الحقيقة للسلطة) وقد كنت أظن بأنها عبارة قديمة لكويكر وهو السياق الذي سمعته منذ الطفولة على الأقل. لا أتذكر فعليا المصدر الأصلي. لا أوافق على الشعار لأسباب شرحتها في حديثي في استراليا الذي أشرت إليه آنفا.

روبرت برفوسكي: كتبت أيضا في قوى وفرص، عن استحقاق اللوم الأخلاقي للذين تجاهلوا الجرائم الأخلاقية الكبرى في المجتمعات

الحرة والمنفتحة وخصوصا المثقفين الذين كان في متناولهم المصادر والتدريب والتسهيلات والفرص للكلام والعمل بشكل مؤثر. هل تتفضل بالتوسع؟ ما هي مسؤوليات المثقفين داخل وخارج المؤسسات الأكاديمية في المجتمعات الحرة والمنفتحة برأيك؟

نعوم تشومسكي: مرة أخرى ليس لدي ما أقوله زيادة عن البديهيات الأخلاقية. افترض بأنني رأيت طفلا جائعا في الشارع وأنا قادر بأن أقدم له بعض الطعام. ألا استحق اللوم الأخلاقي إن رفضت فعل ذلك؟ ألا استحق اللوم إن اخترت بأن لا أقوم بما استطيع فعله بسهولة اتجاه ١٠٠٠ طفل يموتون كل ساعة من مرض يمكن منعه بسهولة حسب تقارير اليونيسيف؟ أو حقيقة أن مجتمعي الحر والمنفتح متورط في جرائم وحشية يمكن تخفيفها وإنهاءها بسهولة؟ وهل مناقشة هذه الأسئلة ممكنة حتى ؟ العبارة المقتبسة لا تتضمن أكثر من ذلك.

ومما لا جدال فيه أن المسؤوليات الأخلاقية أعظم بالنسبة للناس الذين (بمتناولهم المصادر والتدريب والتسهيلات وفرص الكلام والعمل بفاعلية مؤثرة). هذا لا علاقة له بالأكاديميين الذين في داخل المؤسسات الأكاديمية الراغبين في الحصول على امتيازات في المجالات التي ذكرناها. من الواضح أن مسؤوليات المرء في المجتمع الحر والمنفتح اكبر مما يتحمله هؤلاء الذين تكلفهم استقامتهم وصدقهم الكثير. إن وافق المفوضون في روسيا السوفيتية أن يخضعوا أنفسهم لسلطة الدولة فيمكنهم التماس الخوف كعذر مخفف أما نظراءهم في المجتمعات الحرة والمنفتحة فيلتمسون الجبن.

فيما يتعلق بمفهوم ادوارد سعيد عن المثقف

روبرت برفوسكي: كتب ادوارد سعيد في تصوراته عن المثقف: المثقف، هو الفرد الذي له دور نوعي عام في المجتمع ولا يمكن أن يقلص فيه إلى مجرد مهني بلا اسم..... المثقف يتمتع بالقدرة على ...التعبير بوضوح ...عن فلسفة أو رأي للشعب ومن اجل الشعب. ولهذا الدور هامش [يشمل] الشخص الذي مكانته هي طرح الأسئلة المربكة علنا ومجابهة الأرثوذوكسية(المعتقدات التقليدية)..وأن يكون شخصا لا يمكن للحكومة بأن تختاره ضمن تشكيلتها بسهولة .. ومبرره أن يمثل كل هؤلاء الناس والقضايا التي تكنس تحت البساط بشكل روتيني. هل تتفق مع ادوارد سعيد؟

نعوم تشومسكي: ادوارد سعيد ممثل صادق للمثقف بمعنى المصطلح الذي يعرّفه. ذلك اقتراحه عن الكيفية التي يجب أن يستخدم فيها المصطلح. ما قاله لا يصف بالتأكيد هؤلاء المدعوون بالمثقفين في العرف النظامي لأنهم سيكون أول من يوافق. لا يمكن للمرء أن يتفق أو لا يتفق مع المصطلح المقترح طالما انه مجرد اصطلاح. أما إن كان هؤلاء الذين اتفقوا مع المعنى المألوف لمصطلح (المثقف) يجب أن يتصرفوا بالطريقة التي وصفها ادوارد سعيد فهذا مسألة أخرى. لا ضرورة للقول بأنني اتفق معه بأنهم يجب عليهم لكنهم لا يفعلون ذلك عموما.

المثقفون (في المعنى الحقيقي للمصطلح وليس بالمعنى الذي افترضه ادوارد سعيد) هم الناس الذين يكتبون التاريخ. لو أبدى مؤلفو التاريخ وحراسه بأن لديهم صورة أو رمز جذاب فإن الشيء المعقول الوحيد هو

النظر إلى ابعد من ذلك والسؤال إن كان بناء ذلك الرمز دقيقا. اعتقد أن مثل هذا التساؤل سيكشف صورة مختلفة إلى حد ما: إي سيكشف عن ميل قوي لدى المثقفين الذين نالوا الاحترام والامتيازات هم الذين اخضعوا أنفسهم للسلطة.

لنستخدم المصطلحات التي خصصت للأعداء الرسميين، المفوضين والاباراتشيكس وليس المنشقين الذين ينالون الاحترام ويتمتعون بامتيازات في مجتمعاتهم. الملاحظة أنا أخشى من التعميم الواسع. لنعد إلى لحظة في الثقافة الغربية بعيدة زمنيا تماما لكي نستطيع النظر إليها بنزاهة ولنسأل ماذا حدث في الحرب العالمية الأولى؟ وكيف كان السلوك النموذجي للمثقفين في ألمانيا وانكلترا والولايات المتحدة؟ ماذا حدث للذين تساءلوا عن نبالة الحرب في كلا الجانبين؟ لا اعتقد بأن الأجوبة ستكون غير نموذجية.

روبرت برفوسكي: أشار ادوارد سعيد إلى انطونيو غرامشي كنموذج للمثقف. من تراه نموذجا للمثقف في العصر الحالي؟

نعوم تشومسكي: الأشخاص الذين أجد بأنهم هم الأكثر تأثيرا غير معروفين عموما في زمن أفعالهم وينساهم التاريخ. يوجد أشخاص احترم أقوالهم وأفعالهم. بعضهم يسمون مثقفين وبعضهم الآخر غير مثقفين.

لا اشعر بأننا يجب أن ننصب الناس كنماذج بدلا من الأعمال والأفكار والمبادئ. لم اسمع قط بشخص كان نموذج في كل مظاهر حياته، حياته الثقافية والمظاهر الأخرى؛ ولم أر سبب اهتمام المرء بذلك وأخيرا نحن لسنا منشغلين بتبجيل المعبود.

في حالة غرامشي، وافقت الحكومة الفاشية بأن يكون نموذج المثقف حسب مفهوم ادوارد سعيد، ولذلك السبب قرر حسب تعبيرهم بأنه (يجب أن نوقف هذا العقل من القيام بوظيفته لمدة عشرين سنة) أقوال وأفعال غرامشي تفسر تخمينهم، لكن اعتقد بأننا يجب أن نمتنع عن استخدام مصطلح (المثقف النموذج) لوصفه أو وصف غيره.

تحدي تصنيع وسائل الإعلام للوفاق

روبرت برفوسكي: لقد لاحظت بأن الدعاية في المجتمعات الديمقراطية تميل إلى فرض سيطرة أكبر مما هي عليه في المجتمعات الاستبدادية لحاجة حكوماتها الأكثر إلى إخفاء أفعالها عن المواطنين. في تصنيع الوفاق، لقد حاولت أن تثبت بأن وسائط الإعلام توطد وتدافع عن أجندة المجموعات الاجتماعية المسيطرة. هل هناك أمل بتقويض هذه السيطرة في الأنظمة الديمقراطية؟ وما الذي يمكن فعله كما تعتقد؟

نعوم تشومسكي: الجواب لتقويض الديمقراطية هو ديمقراطية أكثر وحرية أكثر وعدالة أكثر. لقد دون التاريخ صراعات متوالية لتوسيع تلك العوالم، صراعات ملهمة، وتكشف السجلات أيضا عن تراجعات مؤلمة ونكسات. إن ما يمكن فعله واقعيا يعتمد على اللحظة التاريخية. ويقال نفس الكلام عن الوكلاء.

على العموم، يجب أن نكون قادرين على الاتفاق بأن هؤلاء الذين لديهم فرص أكثر ويواجهون عوائق اقل تقع عليهم مسؤوليات اكبر لتقديم مساعدة أقوى لانجاز مثل هذه الغايات. يجب على هؤلاء

المحظوظين منا والمتمتعين بحصة من الامتيازات في المجتمعات الأكثر حرية أن لا يسألوا هذا السؤال وإنما عليهم القيام بشيء للإجابة عليه.

روبرت برفوسكي: الأكاديميون كطبقة اجتماعية بمكن إن ينظر إليهم بأنهم في موضع جيد لانتقاد رسائل وسائل الإعلام لكن مع ذلك كثيرا من جهودهم تبدو فاترة. هل الأكاديميون خدم للسلطة في المقام الأول ويهدفون إلى المحافظة على مواقعهم النخبوية؟

نعوم تشومسكي: الأكاديميون محترفون أولا, منشغلون بعملهم واهتمامات أخرى تخصهم, دون اهتمام خاص في أعمال النظام الإيديولوجي. لن أقول أن محاولات الأكاديميين لانتقاد رسائل وسائل الإعلام فاترة وبحدود علمي لا توجد أي محاولات إلا ما ندر ولم يهتم احد منهم بالقضية إلا القليل.

يمضي الناس ساعاتهم وهم يعملون في المخابر أو مكتبات البحوث أو الصفوف وربما يهدفون قبل كل شيء إلى الحفاظ أو تحسين مواقعهم النخبوية لذلك يقدمون تأييدا ضمنيا للسلطة. أو ربما لا يكونون كذلك. بعضهم قد يكون خادما للسلطة لكن ذلك يجب أن يكون مرئيا وغالبا ما يكون ذلك لكن عبء الإثبات يقع على الناقد الذي يضع مسبقا تلك النظرية في حالات خاصة.

روبرت برفوسكي: يؤكد ادوارد سعيد بأن احد واجبات المثقفين أن (يغيروا النمط العام والتصنيفات المختزلة التي تحد من الفكر الإنساني والتواصل.) هل ذلك ما شعرته حين كنت تؤلف كتاب تصنيع الوفاق؟

نعوم تشومسكي: أي شخص في موقع قهر العوائق لتحرير الفكر

والتواصل يجب أن يقوم بهذا. على الأقل يبدو ذلك واضحا: الآباء الذين يهتمون بأولادهم مثلا أو الحرفيون أو المزارعون أو كل من ينظر بجدية إلى حياة محترمة.

يستخدم مصطلح (مثقف) تقليديا ليشير إلى الأشخاص الذين صدف أن يكون بحوزتهم فرص غير عادية في هذا المجال وكما دائما تمنح الفرصة مسؤولية أخلاقية. إن العيش بصدق واستقامة مسؤولية كل شخص كريم. وهؤلاء المحظوظون كفاية كالمثقفين لديهم مسؤولياتهم الخاصة بهم النابعة من حظهم الطيب والتي من بينها الواجب المهم الذي وصفه ادوارد سعيد.

كتاب تصنيع الوفاق الذي اشتركنا أنا وادوارد هيرمان في تأليفه يبدأ بوصف بنية وسائل الإعلام وبيئتها المؤسساتية وبعد ذلك توصلنا إلى بعض الاستنتاجات البسيطة حول توقعنا عما سيكون عليه منتج وسائل الإعلام بسبب هذه الظروف (غير المثيرة للجدل خصوصا). بعدها يكرس الكتاب لسلسلة من حالات الدراسة المنتقاة التي نأمل بأن توفر اختبارا عادلا وقاسيا لهذه الاستنتاجات. نحن نعتقد بأن الدليل التجريبي الذي استعرضناه هناك - وغيره من الأماكن بكم كبير من الجهد المشترك والمنفصل - يقدم دعما حقيقيا للاستنتاجات التي سيحكم على صحتها الآخرون.

طبعا، لدينا هدف: أن نشجع القراء بأن يباشروا بما سمي منهجا في الدفاع الثقافي عن النفس وان نقترح طرقا للمواصلة بعبارة أخرى أن نساعد الناس بأن يقوضوا المحاولات المكرسة لتصنيع الوفاق والى تحويلها إلى أشياء سلبية بدلا من كونها عوامل تسيطر على

مصائرهم. وللعلم نحن لم نبتدع مصطلحات (تصنيع الوفاق) و(وهندسة الوفاق) وإنما استعرناهما من الشخصيات البارزة في الوسط الإعلامي وصناعة العلاقات العامة والتعليم الأكاديمي. كما ناقشنا هنا وهناك, إدراك أهمية تصنيع الوفاق أصبحت موضوعا جوهريا ودائما في المجتمعات الأكثر حرية.

بما أن القدرة على القسر تضعف لذلك كان من الطبيعي التحول إلى التحكم بالرأي كأساس للسلطة والسيطرة ـ مبدأ أساسي للحكومة أكده ديفيد هيوم مسبقا. همنا أن نساعد الناس كي يتصدوا لمحاولات الذين يسعون إلى(إخضاع كل جزء صغير من العقل العام للنظام مثلما يخضع الجيش أجسام جنوده) لكي يتمكن (الرجال المسؤولون) المعينون ذاتيا من إدارة الشؤون العالمية دون إزعاج من(القطيع المرتبك) ـ عامة الشعب ـ المهمش والمشتت والمتجه نحو اهتماماته الشخصية في ديمقراطية منظمة بشكل جيد. مقدمة غير معلنة لكنها حاسمة وهي أن (الرجال المسؤولين) يبلغون تلك المنزلة الرفيعة بتقديم خدماتهم لسلطة أصلية, حقيقة حياتية سيكتشفونها فورا إن حاولوا أن يسعوا إلى نهج مستقل.

الديمقراطية

روبرت برفوسكي: أكدت في مقابلات مختلفة على احترام جلي للديمقراطية ـ المؤسسات المركزية في المجتمع تكون تحت سيطرة شعبية. هل يمكن أن تفصل سبب شعورك بأهمية ذلك؟

نعوم تشومسكي: من الواضح بأننا نريد للناس أن يكونوا أحرارا

وان يتمكنوا من لعب دور فعال في صنع القرارات بخصوص القضايا التي تهمهم بأكبر شكل ممكن. لذلك يجب أن نعارض العوائق المؤسساتية لتلك الحرية: الديكتاتوريات العسكرية مثلا أو الدولة التي تديرها لجنة مركزية. لدى تكتلات السلطة الخاصة غير المسؤولة التي تهيمن على الحياة الاقتصادية والاجتماعية الأدوات (لضبط وإخضاع العقل العام) ليصبح أصحابه(أدوات وطغاة) الحكومة، حسب تعبير جيمس ماديسون الجدير بالذكر حين حذر من الأخطار التي أدركها التي تهدد التجربة الديمقراطية إذا أطلق العنان للقوى الخاصة. من يومه (وقبله بكثير)كان هناك صراع ثابت ودائم لكبح الديمقراطية.

هل يجب أن يكون الناس مجرد (متفرجين مهتمين) وليسوا (مشاركين) في الفعل وحصر دورهم بتقديم ثقلهم دوريا لقطاع أو آخر من(الرجال المسؤولين) كما نصح مؤيدو (تصنيع الوفاق)؟ أم هل يجب أن تتجاوز حقوقهم تلك الحدود المقيدة جدا؟ أحيانا تكون القوى السابقة في صعود عندها يتآكل(الحكم الديمقراطي) لكن أي شخص ملم بالتاريخ الثقافي يتوقع أن الشعارات ستعلن بحماسة بعد أن تفرغ من محتواها الأساسي. صدف أن عشنا في هذه المنطقة، كما من قبل، ليس هناك أي سبب للظن بأن تلك العملية قابلة للعكس. لقد أعلنت نهاية التاريخ مرات كثيرة لكنها كانت مزيفة دائما.

روبرت برفوسكي: في مقابلة منذ بضع سنوات اقتبست مؤيدا تأكيد جون ديوي (بأن هدف الإنتاج هو إنتاج أناس أحرار). هل نحن فالحون أم فاشلون في ذلك الهدف برأيك؟

نعوم تشومسكي: ما يعتبر فشل للبعض يبدو نجاحا لغيرهم. ويعتمد ذلك على موقفهم من الصراع من اجل (الحكم الديمقراطي) والحقوق المتعلقة به ـ المدنية والاجتماعية والاقتصادية الثقافية في تبني إطار الإعلان العالمي المصادق عليه سابقا الذي يتعرض للتقويض باستمرار.

إن فترة الانكفاء الراهنة تسجل بعض النجاح في (إنتاج أناس) خاضعين لسلطة خارجية ومنحرفين نحو (أشياء سطحية) مثل(الاستهلاك العصري) ومساعي أخرى تناسب أكثر (القطيع المرتبك) بدلا من المشاركة في تحديد مسار الحياة الفردية والاجتماعية. بهذا المقياس لقد فشلنا في (إنتاج أناس أحرار). إن كنا نفلح أم نفشل فذلك يعتمد على اختيارنا من سنكون.

الجامعات

روبرت برفوسكي: لقد تحدثت عن الطبيعة المحافظة للجامعات وخصوصا في الولايات المتحدة واتيت بتوضيح بأن اللغويات الحديثة تطورت في الهوامش الأكاديمية وليس في مراكزها الرائدة. هل هناك أي أمل بأن تصبح الجامعات أكثر من مجرد خدم للوضع القائم؟ ما هو تقييمك الأكثر ايجابية للدور الذي قد يقوم به أعضاء الهيئة التدريسية والإدارية الجامعية في المجتمعات الديمقراطية؟

نعوم تشومسكي: الجامعات في الولايات المتحدة اقل خضوعا لقيود السلطة والعقيدة الصارمة مقارنة بأكثر المجتمعات الأخرى حسب معرفتي. لكن من الطبيعي أن نتوقع بأن (النباتات تميل لحماية تربتها) ومقاومة التحدي. استمرت العلوم الطبيعية في القرون الكثيرة الماضية

البقاء على قيد الحياة وازدهرت عبر تحدي مستمر لذلك وفي أحسن الأحوال نسعى لتشجيعها. خدمة الوضع القائم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مسألة مختلفة.

أنا لا أرى حقيقة ما يمكن أن يفعله أعضاء الهيئات التدريسية والإدارية أو الجامعات أكثر من الحقائق البديهية المذكورة سابقا وتوسيعها في ميادين متنوعة, وتتدرج هذه البديهيات من المساعي الثقافية المركزة على هموم المجتمع الأكبر والأجيال القادمة. بخصوص القضايا الاجتماعية المحددة يمكن قول الكثير جدا بأن الجامعات ابتعدت كثيرا عن تلك الحقائق البديهية وبناءا عليه فهذا الابتعاد هام ومثير للجدل. سيأخذنا ذلك إلى قضايا محددة لها أهمية قصوى والتي لا نستطيع مخاطبتها بجدية هنا, لسوء الحظ, ببضع كلمات.

روبرت برفوسكي: في مقابلة قبل عدة سنوات, أشرت بأن (الشركات تريد من التعليم الأكاديمي صراحة أن يخلق شبكة من الألغاز المحيرة التي تبطل أي إدراك شعبي للطريقة التي تعمل بها السلطة في إدارة المجتمع.) كيف تنظر إلى الأكاديميين الذين يخلقون هذه الشبكات المحيرة؟

نعوم تشومسكي: الملاحظة أكثر عمومية وأنا لا ادعي الفضل فيها بالتأكيد وهي شائعة بالنسبة للتعليم الأكاديمي السائد. لاحظ صاموئيل هنتينغتون وهو احد العلماء السياسيين البارزين, في كتابه المدرسي النموذجي السياسة الأمريكية منذ عشرين سنة أن (مخططو السلطة في الولايات المتحدة يجب أن يبتدعوا قوة يمكن الإحساس بها

ولا ترى) والسبب في ذلك أن(السلطة تظل قوية عندما تظل في الظلام وبتعريضها للضوء تبدأ بالتبخر)

حين ظهر الكتاب قام بتوضيحه جيدا في مقابلة مع صحيفة ثقافية ووصف خداع الأكاديميين وآخرين غيرهم بخصوص جذور سياسة الولايات المتحدة الخارجية: (يجب أن تسوق [التدخل أو العمل العسكري] بطريقة تخلق انطباعا خاطئا بأن الذي تحاربه هو الاتحاد السوفييتي. هذا ما كانت تفعله الولايات المتحدة منذ مبدأ ترومان)

ذلك صريح وصادق. هناك دراسات نقدية شاملة تقدم إيضاحات في مجالات كثيرة من التعليم. لقد ناقشت الكثير منها بنفسي واستشهدت أيضا واعتمدت كثيرا على دراسات أكاديمية أماطت اللثام عن هذه الشبكات المحيرة التي حيكت لعامة الشعب. من المستحيل أن تقدم إيضاحات تقترب من الدقة وتحمل أي اتهام دون تجاوز قيود هذا النقاش. لكن يجب أن اشدد مرة أخرى على ما قلته سابقا: الولايات المتحدة غير عادية في هذا الخصوص واشك بأن لها سجل أفضل من العادي بكثير.

روبرت برفوسكي: لقد تحدث ايفان ايليتش عن (المهن المعطلة) — أو فعلا مهنيين معطلين ـ يجردون الآخرين من السلطة بشكل دائم ومنظم من خلال ادعاءاتهم بالخبرة.إلى أي درجة ترى خبراء النخبة وبشكل واسع الأكاديميين بكونهم طبقة جديدة من الاباراتشيكس تعمل لفرض الوضع القائم بالقوة بدلا من تحديه في الولايات المتحدة؟

نعوم تشومسكي: تلك الفئة من المثقفين التي تشمل الأكاديميين ستصبح (طبقة جديدة) من التكنوقراطيين, مدعين بإسم العلم بينما

هم يتعاونون مع الأقوياء, تنبأ بها باكونين في الأيام الأولى من تشكل الانتلجنسيا في القرن التاسع عشر. لقد تأكدت توقعاته عموما ومنها توقعه بان البعض سيسعى ليفوز بسلطة الدولة على حساب الثورة الشعبية ثم يشيدون بعدها (بيروقراطية حمراء) لتكون واحدة من أسوأ الديكتاتوريات في التاريخ, بينما سيدرك آخرون بأن السلطة تكمن في مكان آخر ويخدمون كمدافعين عنها ويصبحون مربكين (معيقين) ومدراء يطالبون بحق العمل في (عزلة تكنوقراطية) حسب تعبير البنك الدولي.

على كل حال أنا اشكك بالتلميح بوجود بعض الجدة التي تجاوزت الشروط التي تتبدل بشكل طبيعي بتبدل المؤسسات وتطورها. وصف ايسياه برلين مثقفي (البيروقراطية الحمراء) التي حذر باكونين منهم ب (الكهنوت الدنيوي) وهو لا يختلف عن الكهنوت الديني الذي أدى وظائف مماثلة في العصور السابقة ـ تلك الوظائف التي وصفها باسكال بصورة لاذعة في ترجمته المؤلمة للممارسات المثقفين اليسوعيين الذين احتقرهم وشمل نقده إيضاحهم (فائدة التأويل) وهي أداة لتصنيع الوفاق مؤسسة على إعادة تأويل النصوص المقدسة لكي تخدم الثروة والسلطة والامتيازات. ملاحظة برلين دقيقة جدا وتطبق على الوطن أيضا بقسوة اكبر للأسباب المذكورة: الاباراتشيكس والمفوضون يمكنهم التماس الخوف كمبرر جزئي.

كالمعتاد, نحن نقدر أن نرى الذرة الدقيقة في عين العدو الرسمي ونشجبها بفصاحة مؤثرة وأحقية ذاتية؛ لكن من الصعب اكتشاف القطعة الخشبية الكبيرة التي في عيوننا لأن اكتشافها وانتزاعها أهم

بكثير على صعيد الأسس الأخلاقية الأولية وأكثر أهمية عموما بشروط النتائج الإنسانية المباشرة أيضا. لعب المثقفون دورا خطيرا في انجاز هذه المهمات وايليش محق حين لاحظ بأن هذه الادعاءات بالخبرة العلمية والمعرفة الخاصة قد استخدمت كأداة. هؤلاء الذين يملكون حق الادعاء القانوني في مثل هذه الكفاءة الخاصة لديهم التزام دقيق بأن يوضحوا تماما للعموم الشعب الحدود والنواقص لما تم فهمه في كل المستويات الخطيرة؛ هذه الحدود ضيقة جدا بشكل نموذجي في القضايا الإنسانية الهامة.

التعليم :

رويرت برفوسكي: لقد أوضحت بأن هناك نموذجان مختلفان في التعليم. التعليم الجماعي العام. ولاحظت بأن التعليم الجماعي يمكن أن ينتج الطاعة. هل هذا ما تراه يحدث في الجامعات العامة الكبيرة اليوم؟ أين ترى حدوث التعليم الذي يركز على الإبداع والاستقلالية؟

نعوم تشومسكي: مرة أخرى، لا ادعي بابتكار الملاحظة التي ترى بأن التعليم الجماعي يحفزه جزئيا الحاجة المدركة (لتعليمهم وإبعادهم عن رقابنا) تلك العبارة اقتبستها عن محاكاة والدو ايمرسون الساخرة لمخاوف النخبة التي سببت وجود مؤيدي التعليم الجماعي العام. وبتعميم اكبر خضع المزارعون للتدريب ليصبحوا عمالا مطيعين في النظام الصناعي المتوسع. كان من الضروري طرد الأفكار الشريرة من رؤوسهم مثل الاعتقاد بان اجر العامل لا يختلف كثيرا عن أملاك العبودية المنقولة. وذلك مستمر للوقت الحاضر ويأخذ الآن شكل

هجوم على التعليم العام أحيانا.

وبالمثل يزداد الهجوم على الضمان الاجتماعي. يبنى الضمان الاجتماعي على التصور بأننا يجب أن نتعاطف مع الآخرين ولا نعمل كما لو كنا (مضاعفي ثروة عقلانيين معزولين)

كما توضح مواقف النخبة من التعليم العام بمرور الوقت صيغا بسيطة وبعيدة عن الدقة. هناك ميول متضاربة. في مجال العلوم بالتحديد يجب على الجامعات العامة الكبيرة أن تأخذ دورا فاعلا في رعاية الإبداع والاستقلالية وإلا سوف تذوي تلك المجالات وتجرف معها طموحات الثروة والسلطة أيضا.

من خلال تجربتي على الأقل، لا تتخلف الجامعات العامة الكبيرة عن رعاية وتشجيع الإبداع والاستقلالية وإنما على العكس. يوجد التركيز على الإبداع والاستقلالية في جيوب المقاومة للنظام التعليمي ولكي تزدهر تلك الجيوب يجب أن تندمج مع حاجات وهموم الغالبية العظمى السكانية الموجودة في كل مكان.

المستقبل :

روبرت برفوسكي: هل هناك أي أمل للأكاديميات؟ هل لديك أمل للام تي أي مثلا؟ وللجامعات الأمريكية عموما؟ ماذا يمكن للكتاب والشعراء والدارسين والناشطين أن ينجزوا كما تتوقع فعليا ـ ضع نفسك في أي تصنيف تشعر بأنه يناسبك ـ في داخل المؤسسات الأكاديمية وخارجها خلال العقد القادم؟

نعوم تشومسكي: المثقفون الذين ذكرتهم حدث أن تمتعوا

بالامتيازات المعتادة وهو أمر فريد في التاريخ باعتقادي. من السهل جدا إيجاد إيضاحات قبيحة للكبت والحقد والخداع والتهميش والإقصاء في العالم الأكاديمي. لكن القيود طفيفة بالمقاييس النسبية. لا يسجن المنشقون في ميادين الكرملين كما في الأيام القديمة ولا تفجر أدمغتهم قوات النخبة التي تسلحها وتدربها القوة العظمى الحاكمة كما يحدث في ميادين واشنطن ـ دون أي اهتمام من الداخل ـ حقيقة مهمة، وهي واحدة من كثيرات تساعدنا أن نتعلم عن أنفسنا، لو اخترنا ذلك. كم مثقف أمريكي يستطيع حتى أن يتذكر أسماء المثقفين اليسوعيين في السلفادور أو يعرف أين يجد كلمة من الكلمات التي كتبوها؟ الأجوبة ظاهرة بوضوح خصوصا عندما نصف التباين النموذجي البارز تاريخيا في المواقف اتجاه نظرائهم في مناطق العدو.

بسبب امتيازاتهم غير العادية يستطيع المثقفون الغربيون انجاز الكثير. إن الإرادة هي التي فرضت القيود وليست الظروف الموضوعية والتنبؤ بخصوص الإرادة الإنسانية يبقى دون قيمة تذكر.

روبرت برفوسكي: ما هي رؤيتك للجامعات المنشغلة بالسياسة؟

نعوم تشومسكي: أنا شخصيا قلق من فكرة (الجامعات المنشغلة بالسياسة) لأسباب كتبت عنها منذ أكثر من ٣٠ سنة في أوج الاحتجاج والمقاومة (وأعيد طبعه *من اجل مبررات الدولة*). في ذلك الوقت شعرت بأننا نستطيع بصعوبة تحسين مفهوم الجامعة الذي عبر عنه احد مؤسسي النظام الحديث، ويلهلم فون همبولدت واحد مؤسسي الليبرالية الكلاسيكية أيضا. ويبدو لي ذلك صحيحا اليوم أيضا، لكن يجب أن تتكيف المثل مع الظروف المتبدلة.

يستطيع الأفراد في الجامعة، الطلاب والهيئة الإدارية والتدريسية أن يختاروا التورط في السياسة ويجب على الجامعات الحرة أن ترعى وتشجع المناخ الذي تصبح فيها تلك الأشياء اختيارات طبيعية. طالما أن الجامعات حرة ومستقلة، ستكون أيضا(هدامة) بمفهوم الهيكل المسيطرة على السلطة وسيخضع دعمها الإيديولوجي للتحدي والنقد، نسخة مطابقة للمواقف التي شجعت في العلوم الصعبة حين تؤخذ على محمل الجد.

لكن لا يعني هذا أن الجامعة يجب أن تنشغل سياسيا كمؤسسة. مهمة المؤسسة الوحيدة توفير المكان للالتزام الجدي في القول والفعل وأن تشجع الاستخدام الحر والمستقل لمثل هذه الفرص اما انشغال الجامعة كمؤسسة فهو شيء آخر وأبعد من المدى الضيق الذي يتواجد فيه إجماع حقيقي وحتى ذلك الذي يثير الأسئلة. إن النزعتين تتناقضان في نقاط هامة.ويجب أن تظل هذه اختلافات في البال مهما شعر المرء بضرورة حل المشاكل والمآزق الناشئة باستمرار.

تشومسكي يدلي برأيه بالفوضوية والديمقراطية والماركسية واللينينية والرأسمالية والمستقبل

عرف نعوم تشومسكي على نطاق واسع بمقالاته التي انتقد فيها سياسة الولايات المتحدة الخارجية ولعمله كعالم لغويات لكنه لم يعرف عن بتأييده الكبير والمستمر لأهداف الاشتراكيين التحرريين. في مقابلة خاصة لمجلة رد اند بلاك ريفلوشن – العدد الثاني يعرض تشومسكي وجهة نظره بالفوضوية والماركسية وآفاق الاشتراكية الآن. أدار المقابلة كيفن دويل عام ١٩٩٥ .

المجلة: بادئ ذي بدء، نعوم لقد كنت مناصرا لأفكار الفوضويين منذ زمن . لقد قرأ الكثيرون المقدمة التي كتبتها لكتاب دانييل غونين *الفوضوية* لكنك مؤخرا مثلا في فيلم (الإجماع المصنع) انتهزت الفرصة لتؤكد ثانية إمكانية الفوضوية والفكرة الفوضوية. ما الذي يشدك إلى الفوضوية؟

تشومسكي: انجذبت للفوضوية حين كنت مراهقا صغيرا ومنذ أن أدركت بأن العالم اكبر من النطاق الضيق الجميل ولم أجد أسبابا كثيرة لمراجعة تلك المواقف. اعتقد بأنها تساعد على فهم اكتشاف ومعرفة تركيبة السلطة والتسلسل الهرمي والهيمنة في كل مجال من مجالات الحياة وتحديها التي إذا لم تبرر فهي غير مشروعة ويجب أن

تجرد وتفكك لزيادة مدى الحرية الإنسانية. ويشمل ذلك السلطة السياسية والملكية والإدارة والعلاقات بين الرجال والنساء والأولاد وتحكمنا بقدر الأجيال القادمة (الواجب الأخلاقي الأساسي الملح للحركة البيئية برأيي) والكثير غيرها. مما يعني وبشكل طبيعي تحديا لمؤسسات القمع والتحكم الضخمة: الدولة والديكتاتوريات الخاصة غير المسؤولة التي تتحكم بأكثر الأمور المحلية والاقتصاد العالمي: الاقتناع بأن عبء الإثبات يجب أن يقع على السلطة ويجب أن تفكك إذا لم يلبى ذلك العبء. الذي يلبى أحيانا. لو كنت أتمشى مع أحفادي واندفعوا بسرعة في شارع مزدحم فلن استعمل سلطتي لإيقافهم فقط بل سأمنعهم جسديا أيضا. يجب أن يتم تحدي هذا الفعل, لكنني اعتقد بإمكانية تلبية التحدي. هناك حالات أخرى؛ الحياة مسألة معقدة ولا ندرك سوى القليل عن الناس والمجتمع والأحكام العامة مصدر ضرر أكثر مما هي فائدة عموما. لكن اعتقد بأن الأمل مشروع ويمكن أن يقودنا إلى مسافة طويلة نوعا ما. ابعد من هكذا عموميات ولقد بدأنا ننظر إلى الحالات والقضايا التي تثير الاهتمام والقلق الإنساني.

المجلة: هل من الصحيح أن فكرك ونقدك باتا معروفين الآن أكثر من قبل. ويجب القول بأن آرائك تحظى باحترام واسع أيضا. ما هو رأيك بتأييدك للفوضوية في هذا السياق؟ أنا مهتم بالخصوص برد الفعل الذي لمسته عند المهتمتين في السياسة لأول مرة والذين ربما عثروا على أفكارك مصادفة. هل يندهش هؤلاء الناس من فوضويتك ويهتمون بها؟

تشومسكي: الثقافة الفكرية العامة كما تعرف، تخلط وتساوي بين الفوضوية والتشويش والعنف والقنابل والاضطراب وغيره. بعض الناس يندهش حين يعرف أنني أتكلم بصورة ايجابية عن الفوضوية واحدد انتمائي إلى تقاليدها الرائدة. لكن انطباعي هو أن الأفكار الأساسية ستبدو منطقية حين تتجلي الغيوم بين عامة الشعب. طبعا، حين نتجه إلى مسائل محددة ـ لنقل طبيعة العائلات أو كيف يمكن للاقتصاد أن ينجح في المجتمع الأكثر تحررا وعدالة ـ تثار الأسئلة و النقاشات. لكن يجب أن تكون الأمور كذلك. لا يمكن للفيزياء أن تعلل كيف تتدفق المياه في صنبور حمامك. حين نتجه نحو المسائل الواسعة المعقدة ذات الأهمية الإنسانية يصبح التفاهم ضئيلا جدا وتكبر مساحة الخلاف والتجريب وإمكانيات استكشاف الحياة الفكرية والواقعية التي تساعدنا على تعلم الكثير.

المجلة: ربما تعرضت الفوضوية أكثر من غيرها من الأفكار للتحريف. الفوضوية تعني الكثير لكثير من الناس. هل تجد نفسك مجبرا دائما على شرح ما الذي تعنيه من قولك بالفوضوية؟ وهل يضايقك تشويه الفوضوية؟

تشومسكي: أي تشويه يسبب الإزعاج. ويكمن تعقب آثار أكثره إلى هياكل السلطة التي لها مصلحة في منع الفهم لأسباب واضحة جدا. من المناسب استذكار مبادئ ديفيد هيوم عن الحكومة. فهو يبدي الاندهاش من خضوع الناس لحكامهم ويستنتج بما أن القوة دائما في جانب الحكام ليس لدي المحكومين من سند سوى رأيهم. لذلك برأي هذا هو سبب توطد الحكومة وتنطبق هذه القاعدة على

اغلب الحكومات الاستبدادية والعسكرية وعلى أكثرها حرية شعبية. كان هيوم داهية كبير – ومؤيد عرضي وقليل للتحرريين بمقاييس اليوم. فهو يقلل تأثير القوة كثيرا لكن ملاحظته تبدو لي صحيحة أساسا وهامة خصوصا في المجتمعات الأكثر حرية حيث يكون فن التحكم بالرأي مهذبا ومصقولا أكثر جراء ذلك. التشويه والأشكال الأخرى من التخبيل حالات طبيعية ملازمة. لذلك هل يضايقني تشويه الحقائق؟ بالتأكيد لكن الطقس الرديء يضايقني أيضا وسيظل موجودا طالما مراكز السلطة تولد نوع من الطبقة المفوضة بالسيطرة للدفاع عنها. وطالما أنهم غير أذكياء جدا أو أذكياء بما يكفي لتحاشي حقل الواقع والنقاش, فيلجئون إلى تشويه الحقائق وتشويه السمعة والأدوات المتوفرة لهؤلاء الذين يعرفون بأنهم محميين بمختلف الوسائل المتاحة للأصحاب النفوذ. يجب أن نفهم سبب حدوث ذلك ونحلل ألغازه بقدر ما نستطيع. هذا جزء من مشروع تحرير أنفسنا وتحرير الآخرين, أو باعتدال أكثر للناس الذين يعملون معا لانجاز هذه الأهداف. تبدو بسيطة لكن يجب أن أجد تعليق كثير غير مبسط على الحياة البشرية والمجتمع حتى يتم التخلص من السخافة والموقف الأناني.

المجلة: ما رأيك في الدوائر اليسارية المؤسسة, أين يمكن أن يجد المرء ألفة اكبر لما تمثله الفوضوية فعليا؟ هل فاجأك أي شيء؟ هنا في آراءك ودعمك للفوضوية

تشومسكي: لو فهمت ما تقصده بالدوائر اليسارية المؤسسة المعروفة جيدا, لم يكن هناك أي اندهاش من آرائي بالفوضوية لأنهم

لا يعرفون سوى القليل عن آرائي في أي مجال. هذه ليست الدوائر التي أتعامل معها. ولا يوجد أي إشارة إلى أي شيء اكتبه أو أقوله. ذلك ليس صحيح تماما طبعا. لهذا في الولايات المتحدة (لكن اقل في المملكة والمتحدة أو أي مكان آخر) ستجد بعض الآلفة لما افعل وبالتأكيد في القطاعات الأكثر استقلالية وانتقاد لما يمكن تسميته بالدوائر اليسارية الأكثر شهرة ولدي أيضا أصدقاء ورفاق مبعثرين هنا وهناك. لكن لو انك ألقيت نظرة على الكتب والجرائد سترى ما اقصد. لا أتوقع أن يكون ما أقوله مرحب به في تلك الدوائر أكثر مما يلاقيه في غرف هيئات تحرير المجلات مع بعض الاستثناءات طبعا. يطرح السؤال نفسه بشكل هامشي فقط, إلى حد تصبح الإجابة عليه صعبة.

المجلة: لاحظ عدد من الناس بأنك تستعمل مصطلح الاشتراكي التحرري بنفس السياق الذي تستعمل فيه كلمة (الفوضوية). هل ترى فعلا أن هذين المصطلحين متشابهين بالنسبة لك؟ استخدم الوصف قبل أن تكون الفوضوية مرادفا للاشتراكية مع الحرية. هل توافق على هذه المساواة الأساسية؟

تشومسكي: إن مقدمة كتاب غونين التي ذكرتها تستهل باقتباس لأحد المتعاطفين مع الفوضوية في القرن الماضي الذي قال أن الفوضوية لها ظهر واسع وتتحمل كل شيء وكان احد تلك العناصر الأساسية ما سمي تقليديا (بالاشتراكية التحررية). حاولت أن اشرح هناك وفي أماكن أخرى وما قصدته بذلك التأكيد ليس جديدا؛ أنا آأخذ الأفكار من الشخصيات البارزة في الحركة الفوضوية الذين اقتبس

عنهم والذين وصفوا أنفسهم بالاشتراكيين وشجبوا بقسوة الطبقة الجديدة للمفكرين الراديكاليين الذي يسعون لإحراز سلطة الدولة من خلال الصراع الشعبي لتصبح بيروقراطية حمراء فاسدة حذر منها باكونين أو ما سمي كثيرا بالاشتراكية. أنا اتفق مع ملاحظة رودولف روكر بأن تلك الميول (المركزية تماما) في الفوضوية جاءت من أفضل ما في فكر التنوير المتأخر والفكر التقليدي الليبرالي بدرجة ابعد مما وصفها هو. كما حاولت في الحقيقة أن أبين بأنهما يتناقضان بحدة مع العقيدة والممارسة الماركسية–اللينينية. وتبدو لي أن كل المذاهب التحررية الدارجة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة خصوصا وإيديولوجيات أخرى معاصرة تقصر في الدفاع عن بعضها البعض ضد السلطة غير الشرعية التي هي على الأغلب أنظمة استبدادية حقيقية .

الثورة الاسبانية

المجلة: حين تكلمت عن الثورة الاسبانية في السابق كنت تؤكد دائما على مثال الثورة الاسبانية. لأنه كما يبدو أن لهذا المثال وجهان. الأول: تجربة الثورة الاسبانية كما قلت مثال جيد للفوضوية القائمة. الثاني: أكدت أيضا أن الثورة الاسبانية مثال جيد لما يستطيع العمال انجازه بواسطة جهودهم في استخدام الديمقراطية التشاركية. هل هذان الوجهان الفوضوية القائمة والديمقراطية التشاركية هما واحد ويعنيان نفس الشيء لك؟ هل الفوضوية فلسفة للناس الذين في السلطة؟

تشومسكي: أنا متردد في استعمال كلمات ذهنية طويلة

كالفلسفة للإشارة إلى ما يبدو إحساسا عاما عاديا ولا ارتاح إلى الشعارات أيضا. انجازات العمال والفلاحين في اسبانيا قبل أن تسحق الثورة كانت مؤثرة ومثيرة في أوجه كثيرة. إن مصطلح (ديمقراطية تشاركية) حديث وتطور ضمن سياق مختلف, لكن توجد بعض أوجه التشابه بالتأكيد. أنا آسف لو بدا ذلك تملصا. هذا لأنني لا أظن أن مفهوم الفوضوية والديمقراطية التشاركية واضحان لدرجة تكفي للإجابة عن السؤال حول تماثلهما.

المجلة: كان احد انجازات الثورة الاسبانية الرئيسية الدرجة التي تأسست بها ديمقراطية القواعد. لقد قدر العدد بأكثر من ثلاثة ملايين. أدار العمال بأنفسهم الإنتاج الريفي والمديني. هل هي مصادفة برأيك أن ينجح الفوضويون المعرفون بدفاعهم عن الحرية الفردية في هذا المجال من الإدارة الجماعية؟

تشومسكي: ليس مصادفة أبدا. إن الميول التي أجدها دائما لدى الفوضوية هي سعي مقنع جدا للوصول إلى مجتمع عالي التنظيم بدمج أنواع مختلفة كثيرة من البنى (الورشة والجماعة وأشكال أخرى مضاعفة من المنظمات) التي يسيطر عليها المشاركون فيها وليس من هم في مواقع إصدار الأوامر (باستثناء الحالات التي يمكن تبرير السلطة فيها كما هو الحال دائما, في مصادفات محددة.)

الديمقراطية :

المجلة: يصرف الفوضويون الكثير في بناء ديمقراطية القواعد. وفي الحقيقة يتهمون بأنهم يأخذون الديمقراطية إلى أقصى درجاتها.

ومع ذلك كثير منهم لا يصنف الديمقراطية كمكون أساسي في الفلسفة الفوضوية. وغالبا ما يصف الفوضويون سياساتهم بكونها عن الاشتراكية وعن الفردانية ـ واقلوا القول بأن الفوضوية هي عن الديمقراطية. هل توافق على أن الأفكار الديمقراطية ميزة مركزية للفوضوية؟

تشومسكي: نقد الفوضويين للديمقراطية هو نقد للديمقراطية البرلمانية لأنها نشأت داخل المجتمعات بأشكال قمعية عميقة. خذ الولايات المتحدة مثلا التي كانت حرة منذ نشوؤها. تأسست الديمقراطية الأميركية على مبدأ أكده جيمس ماديسون في ميثاق الدستور لعام ١٧٨٧ الذي يرى بأن الوظيفة الأولية للحكومة هي حماية الأقليات من وفرة الأكثرية. لهذا حذر من أن انكلترا التي هي النموذج الديمقراطي الظاهر لذلك العصر، لو سمح فيها لعموم السكان بالإدلاء بآرائهم في الشؤون العامة لطبقوا إصلاحا زراعيا أو عملا وحشيا آخرا، يجب أن يرسم النظام الأمريكي بعناية كي يتجنب مثل هذه الجرائم ضد حقوق الملكية التي يجب أن تكون مصانة (وفي الحقيقة يجب أن تنتصر). تستحق الديمقراطية البرلمانية في هذا الإطار نقدا حادا من قبل التحرريين ولقد تغاضيت عن مظاهر كثيرة أخرى من العبودية الخبيثة، سأذكر واحدا فقط، اجر العبودية الذي شجبه الناس العاملون بقسوة قبل أن يسمعوا أبدا بفوضوية أو شيوعية القرن التاسع عشر أو اللينينية لاحقا.

اللينينية :

المجلة: تبدو أهمية ديمقراطية القواعد واضحة لأي تغيير هام في المجتمع ومع ذلك كان اليسار غامضا حولها في الماضي. أنا أتكلم بشكل عام عن الديمقراطية الاجتماعية وعن التقاليد البلشفية اليسارية التي يبدو أنها تشترك مع الفكر النخبوي أكثر من الممارسة الديمقراطية الصارمة. كان لينين شكاكا مثلا داخل النخب بأن العمال لا يستطيعون تطوير أي شيء باستثناء وعي النقابات العمالية الذي اعتقد انه قصد به بأن العمال لا يستطيعون أن يروا ابعد من مأزقهم المباشر. وبالمثل فقد كان رأي الاشتراكية الفابية بتريس ويب التي كان لها سطوة في حزب العمال في انكلترا أن العمال مهتمين فقط في نزاعات سباق الخيل! من أين نشأت هذه النخبوية وماذا تفعل في اليسار؟

تشومسكي: اعتقد بأن الإجابة على سؤال من هذا النوع صعبة علي. إن شملت كلمة (يسار) البلشفية عندها سأفصل نفسي ببساطة عنه. وبرأي كان لينين احد اكبر أعداء الاشتراكية لأسباب ناقشتها. فكرة أن العمال غير مهتمين بغير سباق الخيل سخافة لا تتحمل مجرد إلقاء نظرة سطحية على تاريخ العمال أو صحافة الطبقة العاملة المستقلة والنشيطة التي ازدهرت في أماكن كثيرة والتي شملت المدن الصناعية في نيوانغلاند غير البعيدة عن المكان الذي اكتب فيه دون ذكر الكفاح الشجاع للمضطهدين والمظلومين منذ فجر التاريخ حتى هذه اللحظة. خذ أبأس ركن في هذا النصف من الكرة الأرضية هاييتي التي اعتبرها الأوروبيون فردوسا ومصدرا غير قليل للثروة الأوربية فهي مخربة الآن وعصية ربما على العودة إلى سابق عهدها. في

السنوات القليلة الماضية وتحت ظروف بائسة جدا لا يستطيع تخيلها سوى قلة من الناس في البلدان الغنية, انشأ الفلاحون وقاطنو الأحياء الفقيرة القذرة حركة ديمقراطية شعبية مؤسسة على منظمات من القواعد التي تجاوزت أي شيء اعرفه في أي مكان, لن يصمد سوى المفوضين المخلصين بعمق من أن ينهاروا من السخرية حين يسمعوا التصريحات المهيبة للمفكرين الأميركيين والقادة السياسيين حول الطريقة التي يجب أن تعلم بها الولايات المتحدة الهايتيين دروس الديمقراطية. لقد كانت انجازاتهم ضخمة جدا وأرعبت ذوي النفوذ لدرجة وجب عليهم أن يخضعوا إلى جرعة أخرى من الرعب الوحشي مع دعم أمريكي كبير أكثر من المعلن ومع ذلك لم يستسلموا بعد. هل هم ليسوا مهتمين بغير سباق الخيل؟ اقترح بعض اسطر اقتبسها أحيانا من روسو: حين كانت الحشود الكبيرة من المتوحشين العراة يحتقرون الشهوانية الأوروبية ويتحملون الجوع والنار والسيف والموت ليحافظوا على استقلاليتهم فقط كنت اشعر حينها بأن العبيد لا يجب أن يفكروا بالحرية.

المجلة: لنتكلم بشكل عام ثانية, عالجت في أعمالك ديمقراطية الردع وأوهام ضرورية الخ بشكل منسق دور وسيطرة أفكار النخبة في مجتمعات كمجتمعك وأظهرت أن هناك عداء عميق داخل الديمقراطية الغربية البرلمانية لأي دور حقيقي أو مساهمة للجماهير كيلا يؤثر على التوزيع غير المتساوي للثروة لمصلحة الأغنياء. عملك مقنع جدا هنا لكنه إلى جانب هذا فقد صعق البعض بتأكيداتك. مثلا أنت تقارن بين سياسة الرئيس جي اف كندي

ولينين وتساوي بين الاثنين تقريبا. هذا، يمكن أن أضيف، سبب صدمة لمؤيدي المعسكرين! هل تستطيع أن تتوسع قليلا في صحة وشرعية المقارنة؟

تشومسكي: أنا لم أساو فعليا بين مبادئ المفكرين الليبراليين في إدارة كندي مع اللينيين وإنما أشرت إلى نقاط متشابهة لافتة للنظر - كما تنبأ باكونين قبل قرن في تعليقه البصير على الطبقة الجديدة. مثلا، لقد اقتبست مقاطعا من مكنمارا حول الحاجة إلى تعزيز السيطرة الإدارية إن أردنا أن نكون متحررين حقيقة وكيف أن الإدارة الدنيا تهديد حقيقي للديمقراطية وهجوم على المنطق نفسه. بدل كلمات قليلة في المقطع ونحصل على المبدأ اللينيني القياسي. وأظهرت أن الجذور في كلا الحالتين عميقة دون التوسع في توضيح من هم الناس الذين صدموا. لا استطيع التعليق أكثر من ذلك. المقارنة محددة جدا واعتقد أنها مناسبة ومؤهلة تماما. وإذا لم تكن كذلك فهذا خطأ وأكون مسرورا على إيضاحه.

الماركسية :

المجلة: ظاهريا تدل اللينينية على شكل من أشكال الماركسية التي طورها ف ا لينين. هل تميز ضمنيا أعمال ماركس من النقد الجدير بالذكر الذي قلته عن لينين حين استخدمت مصطلح لينينية؟ هل ترى أي استمرارية بين آراء ماركس وبين ممارسات لينين اللاحقة؟

تشومسكي: تحذيرات باكونين من البيرقراطية الحمراء التي

ستؤسس لأسوأ الحكومات الاستبدادية التي سبقت لينين والتي وجهت ضد أتباع السيد ماركس. في الحقيقة كان هناك أتباع من أنواع مختلفة؛ بانيكوك ولوكسمبورغ وماتيك وغيرهم بعيدين جدا عن لينين وآرائهم تلتقي مع عناصر من النقابية الفوضوية. كتب كورش وآخرون غيره بصورة متعاطفة مع الثورة الفوضوية في اسبانيا في الواقع. هناك استمرارية من ماركس إلى لينين لكن هناك أيضا وصلات مع الماركسيين الذين كانوا نقادا قاسين للينين والبلشفية.

وعمل تيودور شانين حول مواقف ماركس الأخيرة من الثورة الفلاحية لازمة ومتعلقة بالموضوع هنا. أنا ابعد من أكون دارس لماركس ولن أخاطر بأي حكم خطير حول من يعكس ماركس الحقيقي من تلك الروابط إن كان لهذا السؤال إجابة في الأصل.

المجلة: حصلنا مؤخرا على نسخة من ملاحظاتك عن الفوضوية (أعادت نشره ديسكشن بوليتين في الولايات المتحدة). ذكرت فيها ماركس الشاب وعلى وجه الخصوص وتطويره لفكرة الاغتراب في ظل الرأسمالية. هل توافق على هذا التقسيم لحياة وأعمال ماركس - الشاب والاشتراكي الليبرالي والاستبدادي الصلب في أواخر أيامه؟

تشومسكي: نهل ماركس الشاب من الوسط الذي عاش فيه ويجد المرء كثيرا من الشبه مع الفكر الذي أحيا الليبرالية التقليدية ومظاهر من التنوير والرومانسية الفرنسية والألمانية. مرة أخرى لست دارس لماركس لأزعم الحكم الجازم. انطباعي إن كان ذو قيمة، أن ماركس الشاب كان اقرب إلى أواخر التنوير وماركس اللاحق ناشط استبدادي رفيع المستوى ومحلل ناقد للرأسمالية ليس لديه سوى

القليل من القول عن البدائل الاشتراكية. لكن ليست تلك أكثر من مجرد انطباعات.

المجلة: من فهمي، الجزء المركزي من نظرتك الشاملة قلته في مفهومك عن الطبيعة الإنسانية. لقد نظر إلى الطبيعة الإنسانية في الماضي كشيء ارتدادي ومقيد حتى. ويستخدم مثلا المظهر غير المتغير للطبيعة الإنسانية عادة كحجة لعدم تغيير الأشياء بشكل جوهري نحو الفوضوية. لقد تبنيت وجهة نظر مختلفة، لماذا؟

تشومسكي: إن الطبيعة البشرية هي الجزء المركزي لأي وجهة نظر مهما كانت بعيدة عن الوعي أو ينقصها التعبير. هذا صحيح للناس الذين يعتبرون أنفسهم وكلاء للأخلاق وليسوا وحوشا على الأقل. بغض النظر إن كان الشخص يناصر الإصلاح أم الثورة أو الاستقرار أو العودة إلى مراحل سابقة، أو مجرد حرث حديقته فهو يأخذ موقفا مؤسسا على أنه مفيد للناس لكن ذلك الحكم مبني على مفهوم ما للطبيعة الإنسانية يحاول الشخص العاقل توضيحه بقدر ما يستطيع، لو قدر على ذلك فقط . لهذا أنا لا اختلف عن أي شخص آخر في هذا الخصوص.

أنت محق بأن الطبيعة الإنسانية نظر إليها كشيء ارتدادي لكن يجب أن يكون ذلك نتيجة تشوش عميق. ألا تختلف حفيدتي عن الصخرة أو الضفدع أو الدجاجة أو السعدان؟ الشخص الذي يرفض هذه السخافة كسخافة يدرك وجود طبيعة إنسانية مميزة. لقد تركنا مع سؤال وحيد حول ماهيتها ـ سؤال فاتن وغير بديهي جدا، مع اهتمام علمي هائل ومغزى إنسانيا. وابعد من ذلك، تركنا مع آمالنا ورغباتنا،

وحدسنا وتخميننا.

لا يوجد شيء انكفائي حول حقيقة أن الجنين البشري مقيد جدا لدرجة لا تنمو له أجنحة أو أن جهاز الرؤية عنده لا يستطيع العمل بأسلوب جهاز الحشرات أو تنقصه غريزة الوطن الموجودة عند الحمام. نفس العوامل التي تقيد تطور الأحياء تمكنها أيضا من إحراز تركيب غني ومتسق بشكل رفيع مشابها في أوجه أساسية النوع ذاته، بقدرات مميزة وغنية. الكائن الحي الذي يعوزه مثل هذا التركيب المحدد الجوهري، الذي يحد بالطبع سبل التطور سيكون نوعا من الكائنات الاميبية وسيثير الشفقة (حتى لو استطاع العيش بطريقة ما). إن هدف التطور ومداه مترابطان بشكل منطقي. خذ اللغة مثلا، إحدى القدرات الإنسانية المميزة القليلة التي نعرف عنها الكثير. لدينا أسباب قوية جدا للاعتقاد بأن كل اللغات الإنسانية المتيسرة متشابهة جدا؛ قد يستنتج العالم المريخي وجود لغة واحدة مع اختلافات ثانوية. السبب هو المظهر الخاص بالطبيعة الإنسانية الذي يكمن وراء تطور اللغات لا يسمح إلا بخيارات محدودة. هل هذا قصور؟ طبعا. هل هو تحرر؟ طبعا أيضا. هو هذه القيود نفسها التي تمكن النظام المعقد والثري للفكر من التطور بطرق مماثلة على أساس التجربة الأولية المبعثرة والمتنوعة.

ماذا عن المسألة التي تحدد الاختلافات البيولوجية البشرية؟ إن تلك موجودة بالتأكيد وسبب للابتهاج وليس للندم أو الخوف. الحياة بين المستنسخين لا تستحق العيش وسيفرح الشخص العاقل بأن للآخرين قدرات غير مشتركة بينهم. يجب أن يكون ذلك أساسيا. إن الاعتقاد الشائع حول هذه المسائل غريب في الواقع برأي.

هـل الطبيعـة البشـرية مهمـا كانـت تفضـي إلى تطـور أشـكال فوضـوية للحيـاة أم هـي عـائق بوجههـا؟ لا نعـرف مـا يكفـي للإجابة بشـكل أو بـآخر. هـذه أمـور للتجريـب والاكتشـاف وليسـت مجـرد تصريحات فارغة.

المستقبل :

المجلـة: لنبـدأ بوضـع اللمسـات الأخـيرة للقـاء وأود أن أسـألك باختصار حول بعض القضايا الراهنة لليسار. لا اعرف إن كان الوضع مماثلا في الولايات المتحدة هنا. مع سقوط الاتحـاد السـوفييتي بدأت معنويات اليسـار بـالوهن. ليس لأن النـاس كـانوا يؤيـدون بحمـاس لما كان موجـودا في الاتحـاد السـوفييتي بقـدر مـا هـو شـعور عـام رأى أن انتقـال السـلطة مـن الاتحـاد السـوفييتي قـد أدى إلى هبـوط قضـية الاشتراكية. هل صادفت هذا النموذج من إضعاف المعنويات؟ ما ردك على ذلك

تشومسكي: رد فعلي على نهاية الاستبداد السوفييتي وعلى هزيمة هتلر وموسوليني هو نفسه. انه انتصار للروح الإنسانية في كل الحالات ويجـب أن يكـون محـل ترحيـب مـن قبـل الاشـتراكيين علـى وجـه الخصوص لانهيار عدو كبير للاشتراكية أخيرا. دفعني الفضول مثلك لأرى كيـف ضـعفت معنويـات النـاس –ومـن ضـمنهم مـن اعتبـر نفسـه معاديا للستالينية واللينينيـة ـ بانهيـار الحـكـم الاسـتبدادي. وكشـف بأنهم كانوا موالين للينينية بعمق اكبر مما اعتقدوا.

هناك أسباب أخرى يجدر الاهتمام بها حول استئصال هذا النظام

الاستبدادي والوحشي، الذي كان ديمقراطيا بقدر ما هو اشتراكي (تـذكر بأنـه ادعـى بأنـه كلاهمـا وأن الغـرب سـخر مـن الأخير(الديمقراطي) بينما قبل الأول(الاشتراكي) بحماس، كسلاح ضد الاشتراكية ـ احد الأمثلة الكثيرة عن خدمة المفكرين الغربيين للسلطة. ويعود سبب واحد إلى طبيعة الحرب الباردة التي كانت برأيي بمقياس مهم حالة خاصة من (الصراع بين الشمال والجنوب) التعبير الملطف للغزو الأوروبي للقسم الأكبر من العالم. كانت أوروبا الشرقية هي العالم الثالث الأصلي لكن لم يكن للحرب الباردة فيها منذ عام ١٩١٧ أي شبه يذكر برد فعل المحاولات الانتقامية التي قامت بها أجزاء مختلفة من العالم الثالث إلى سلوك نهج مستقل، لكن اختلافات القياس في هذه الحالة أعطت للصراع حياة خاصة به. لهذا السبب، كان الأمر المنطقي الوحيد المتوقع أن تعود المنطقة إلى حالتها السابقة: لقد كان متوقعا من أجزاء من الغرب مثل الجمهورية التشيكية أو غرب بولونيا التوحد ثانية بينما عادت الأجزاء الأخرى إلى دور الخدمة التقليدية، النومينكلاتورا السابقة التي أصبحت النخبة في العالم الثالث (بموافقة اتحاد الدول الغربية، الذي يفضلهم عن بدلاءهم). لم يكن ذلك أملا جيدا فقد أدى إلى كثير من المعاناة.

سبب آخر مهم يتعلق بمسألة الردع وعدم الانحياز. رغم غرابة الإمبراطورية السوفيتية فقد وفر وجودها نفسه مجالا معينا لعدم الانحياز ولأسباب شكوكية تماما، وقدم العون لضحايا الهجوم الغربي أحيانا. هذه الخيارات انتهت ويعاني الجنوب العواقب الآن.

السبب الثالث يتعلق بما أسمته الصحافة الغربية العمال الغربيين

المدللين بطريقة عيشهم المترفة. بعودة القسم الأكبر من أوروبا الشرقية إلى القطيع أصبح بيد الملاكين والمدراء أسلحة قوية جديدة ضد العمال والفقراء في الوطن. لا تستطيع جي ام وفي دبليو نقل الإنتاج إلى المكسيك أو البرازيل (أو التهديد بذلك الذي يفي بنفس الغرض في أكثر الأحيان) وإنما إلى بولونيا وهنغاريا أيضا حيث يجدون العمال المهرة المدربين بقدر قليل من الكلفة. هم يشمتون بهذا الوضع بسبب القيم المرشدة المفهومة.

نستطيع أن نتعلم الكثير عما كانت تدور حوله الحرب الباردة(أو أي صراع) بالنظر إلى من هو مبتهج ومن هو غير سعيد بنهايتها. بهذا المعيار، المنتصرون في هذه الحرب هم النخب الغربية والنومنكلاتورا السابقة التي تجاوز غنا أفرادها أحلامهم والخاسرون هم القسم الأعظم من السكان في الشرق مع العمال والفقراء في الغرب بالإضافة إلى القطاعات الشعبية في الجنوب التي سعت إلى طريق مستقل.

مثل هذه الأفكار تنزع إلى إثارة الهستيريا بين المفكرين الغربيين، حين يستطيعون إدراكها وهذا نادر. ذلك سهل إظهاره ومفهوم أيضا. الملاحظات صحيحة، تدمير السلطة والامتياز ومن ثم الهستريا.

على العموم ردود فعل الشخص الصادق والشريف على انتهاء الحرب الباردة سيكون معقدا أكثر من مجرد الابتهاج بانهيار الاستبداد الوحشي وامتلأت ردود الفعل السائدة بالنفاق، برأي.

الرأسمالية :

المجلة: بطرق كثيرة يجد اليسار نفسه متراجعا إلى نقطة بدايته الأصلية في القرن الماضي ويواجه الآن كما في السابق الرأسمالية

بسطوتها وسيكون هناك (إجماع بالرأي) اليوم أكثر من أي وقت آخر في التاريخ على أن الرأسمالية هي الشكل الفعال الوحيد والممكن للتنظيم الاقتصادي رغم توسع عدم المساواة في الثروة. على هذه الخلفية يمكن للمرء القول بأن اليسار غير واثق من كيفية تقدمه إلى الأمام. كيف تنظر إلى الفترة الراهنة؟ هل هي مسألة (عودة إلى الأساسيات)؟ هل يجب أن توجه الجهود الآن إلى إظهار وتوضيح المبادئ التحررية في الاشتراكية ونحو التأكيد على الأفكار الديمقراطية ؟

تشومسكي: هذا برأي دعاية في المقام الأول. ما يسمى بالرأسمالية هو أساسا نظام من اتحاد التجار والطواغيت الكبار اللامسؤولين الذين يمارسون تحكما واسعا بالأنظمة الاقتصادية والسياسية والحياة الاجتماعية والفكرية ويعملون بتعاون وثيق مع الدول القوية التي تتدخل بشكل كبير في الاقتصاد المحلي والمجتمع الدولي. هذه حقيقة مثيرة عن الولايات المتحدة ومناقضة للوهم الكبير. لم يعد الأغنياء وأصحاب النفوذ راغبين في مواجهة مبدأ السوق أكثر مما فعلوه بالماضي، رغم أنهم يعتبرونه جيد لعموم السكان. لنورد صورا توضيحية قليلة، إدارة ريغان التي عربدت وطنطنت بخطاب حرية السوق، تباهت أيضا في المجتمع التجاري بأنها كانت الأكثر حمائية في تاريخ الولايات المتحدة لفترة ما بعد الحرب ـ وفعلا أكثر من كل الإدارات مجتمعة. نيو غينغريتش الذي يقود الحملة الصليبية الحالية يمثل مقاطعة الأثرياء جدا الذين يتلقون إعانات فيدرالية أكثر من أي منطقة أخرى في الضواحي، من خارج النظام الفدرالي نفسه.

المحافظون المنادون لوضع نهاية لوجبات غداء الطلبة الجائعين يطالبون أيضا بزيادة ميزانية البنتاغون التي توطدت في أواخر أربعينات القرن العشرين لأن ـ لأن الصحافة التجارية كانت كريمة وأخبرتنا ـ أن صناعة التقنية العالية لا يمكن أن تبقى وتستمر في اقتصاد تنافسي غير مدعوم ويجب أن تكون الحكومة منقذها. بدون أن تكون منقذها سيصبح المقيمون مع غينغريتش من العمال (إن حالفهم الحظ). ولن يكون هناك مزيد من الحواسيب والالكترونيات عموما وصناعة الطيران والتعدين والأتمتة الخ.الخ مع بقية القائمة. يجب على الفوضويون من بين كل الناس أن لا ينخدعوا بهذه الحيل التقليدية.

الأفكار التحررية لازمة ومناسبة أكثر من أي وقت مضى والسكان منفتحون جدا عليها. رغم كل الدعاية الضخمة المشتركة لا يزال الناس خارج الدوائر المثقفة, يحافظون على الكثير من مواقفهم التقليدية. في الولايات المتحدة مثلا, أكثر من ٨٠٪ من الناس يعتبرون النظام الاقتصادي غير عادل بشكل متأصل فيه والنظام السياسي مجرد احتيال يخدم المصالح الخاصة وليس الشعب. تعتقد الأغلبية المسيطرة بأن العمال ليس لديهم سوى صوت قليل في المسائل العامة (المثل ينطبق على انكلترا), لذلك تقع على الحكومة مسؤولية مساعدة الناس بالفعل, ويجب أن تكون الأولية للإنفاق على التعليم وليس لتقليص الميزانية وتخفيض الضرائب, وإن الجمهوريين الحاليين يحبون في الكونغرس لخدمة مصلحة الأغنياء وإيذاء الفقراء وهكذا. يمكن للمفكرين أن يرووا قصة مختلفة لكن اكتشاف الحقائق ليس صعب.

المجلة: إلى حد ما لقد برر انهيار الاتحاد السوفييتي أفكار الفوضويين وثبتت صحة تنبؤات باكونين. هل تعتقد أن الفوضويين يجب أن يتشجعوا بهذا التطور العام وبآمال تحليل بكونين؟ هل يجب على الفوضويون أن يتطلعوا للأمام بثقة اكبر في أفكارهم وتاريخهم؟

تشومسكي: اعتقد وأتمنى أن ما قلته سابقا قد تضمن الجواب. اعتقد أن الفترة الحالية لها نذر شؤم وعلامات أمل عظيم وأي نتيجة تصدر ستعتمد على مدى استغلالنا للفرص.

المجلة: أخيرا، نعوم، سؤال من نوع مختلف. لدينا باينت من غينيس تحت الطلب من أجلك. متى ستأتي وتشربه؟

تشومسكي: ليبقى غينيس مستعدا أتمنى أن لا يطول الانتظار. ودون مزاح سأكون هناك غدا إن استطعت. نحن (زوجتي جاءت معي وهي غير معتادة على هذه الرحلات المستمرة) استمتعنا بوقت رائع في ايرلندا وسنشتاق كثيرا للعودة إليها. لما لا؟ أتمنى أن لا أكون قد أضجرتك بالتفاصيل المملة لكن الحاجات غريبة وتزداد وهي انعكاس للظروف التي حاولت وصفها.

نشرت هذه المقالة في مجلة ريد اند بلاك ريفولوشن عدد ٢.

أشياء لن تسمع بها أبدا

مقابلة مع نعوم تشومسكي

١٤ حزيران ٢٠٠٠ ./ ذا ايرانيان

يعتبر رامين جاهان بيغلو الأستاذ المساعد في العلوم السياسية في جامعة تورنتو نعوم تشومسكي واحدا من أهم المفكرين المثيرين للغضب في أمريكا وهو كما هو معروف أستاذ اللغويات في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا.. أجريت المقابلة في نيسان.

رج: سيرتك متعددة الوجوه كعالم لغوي ومحاضر جامعي وربما كناقد للسياسة والحكومة ووسائل الإعلام المشهورة. لكن لم يقتصر اهتمامك السياسي على حدود أمريكا الشمالية فأنت مهتم بما يحدث في أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط واسيا أيضا. سنتحدث اليوم عن الشرق الأوسط وأريد أن اعرف أكثر كيف أصبحت مهتما بالشرق الأوسط وبتحديد أكثر بالقضايا الإيرانية. هل هذا الاهتمام بالشرق الأوسط له علاقة بخلفيتك اليهودية أم هل هناك أسباب أخرى لهذا؟

نعوم تشومسكي: كبرت في جالية يهودية صغيرة هاجرت الى الولايات المتحدة وكانت منشغلة في إحياء اللغة العبرية وبالأشياء التي كانت تحدث في فلسطين وكنت طفلا آنذاك في ثلاثينات القرن العشرين حيث بداية اندماجي مع اهتماماتي السياسية العامة والتوجه

نحو الراديكالية السياسية وكل أنواع الروابط التي نتجت عنها. حين وصلت إلى الجامعة درست اللغة العربية وساعدتني على قراءتها معرفتي بالعبرية. ثم عشت في إسرائيل مدة وأصبحت منشغلا أكثر بقضايا الشرق الأوسط عموما لكنه يظل منطقة واحدة من المناطق الكثيرة وكما أخبرتك فقد كنت أتحدث هذا الصباح للإذاعة البرازيلية.

رج: هل استأنفت اهتمامك في الشرق الأوسط في الستينات والسبعينات فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية؟

نعوم تشومسكي: كلا, لقد كانت استمرار لاهتمامات اسبق تعود إلى الأربعينات حين كنت منشغلا به أكثر من أي شيء غيره.

رج: هل زرت إيران قط؟

نعوم تشومسكي: كلا

رج: هل ترغب في الذهاب إلى إيران؟

نعوم تشومسكي: نعم, لدي دعوات لم اقدر على تلبيتها. لدي جدول مواعيد مكثف جدا. أنا عادة اخطط لسنتين قادمتين, من الصعب إنجاح كل الأشياء.

رج: حين تفكر في دولة مثل إيران ما هي تصوراتك عنها اليوم بما انك لم تزرها بعد؟

نعوم تشومسكي: حسنا, لقد استحوذت إيران على اهتماماتي منذ خمسينات القرن العشرين حين أطاحت الولايات المتحدة وبريطانية بالحكومة الوطنية المحافظة وأعادتا الشاه. كنت أتابع إيران خلال كل تلك الفترة وانشغلت بالمنشقين الإيرانيين والطلاب الإيرانيين في فترة الاحتجاج ضد الشاه وطبعا أوليتها اهتماما اكبر بعد الإطاحة

بالشاه وتولى النظام الإسلامي السلطة. أكثر ما انظر إليه هو من وجهة نظر سياسة الولايات المتحدة. لهذا كانت اهتمامي بالدور الإيراني في حكم الشاه كجزء من نظام السيطرة على بترول الشرق الأوسط وفيما بعد كعدو متحيز. قرأت وتابعت ما يحدث. تصوري الآن مألوف جدا. من الواضح انه هناك إصلاح مهم الآن.

رج: أنا متأكد من انك تستمع إلى أخبار إيران يوميا. كيف تقييم انتخاب خاتمي وعملية الإصلاح في إيران؟

نعوم تشومسكي: حسنا, اعتقد أنها علامة مشجعة لانفتاح المجتمع الذي هو بأمس الحاجة إلى ذلك. إنها قصة مختلطة, مثلا إن انفتحت إيران بطريقة أخضعت فيها نفسها للنظام النيوليبرالي العام فسيضر ذلك كما اعتقد الكثير من الشعب الإيراني وربما للأغلبية. لهذا الانفتاح نعمة مشوشة ويعتمد على كيفية تنفيذه. على الصعيد الإيديولوجي والثقافي مفيد جدا بالتأكيد إذ يستأصل القيود ويسمح بحرية التعبير ويزيل الضوابط الدينية وغيرها ويسمح للناس بأن يعيشوا حياتهم بالطريقة التي يردون. بالمقابل هناك سؤال أيضا عن الكيفية التي تصبح فيها إيران جزء من النظام الاقتصادي العالمي, وهناك أسئلة كثيرة تطرح نفسها. ما يسمى بالانفتاح في الولايات المتحدة يعني فتح المجتمع على الرأسمال المركز الخاص. وهذا مختلف عن جعل المجتمع أكثر حرية وانفتاحا.

رج: هل ترى أي تشابه بين الثورة الإيرانية والثورة الأميركية أم لا؟ الجانب المتزمت.

نعوم تشومسكي: صدف أن كانت الولايات المتحدة بلد متعصب جدا وربما تكون أكثر تعصبا من إيران. لو قمت بتحليل مقارن

للمعتقد الديني المتطرف فلن يدهشني أبدا أن كانت الولايات المتحدة ابعد من إيران في ذلك. مثلا, يعتقد حوالي ٤٠ ـ ٥٠٪ من السكان بأن العالم خلق منذ ٦٠٠٠سنة. لا اعرف إن كان ذلك صحيح في إيران أيضا. اشك بذلك. ربما ٨٠ ـ ٩٠٪ من السكان يعتقدون بالمعجزات ويعتقد اغلبهم بأنهم رأوها. لهذا نعم إنها بلاد أصولية متطرفة. الأصول معقدة جدا. كان هناك عنصر بيوريتاني متزمت جدا؛ وفي المقابل هناك أيضا عنصر دنيوي(علماني) قوي مبني على أفكار التنوير انحدر منه جيفرسون وماديسون. لهذا هي خليط. في الحقيقة كان اغلب عناصر النخبة في زمن الثورة ممن يدعون بالربوبيين (الدائيين) وهم غير مؤمنين أساسا. ومن جانب آخر كانت النزعة البيوريتانية المتعصبة قوية جدا. البيوريتانيون الذين استقروا هنا وصفوا أنفسهم بأولاد إسرائيل الذي سيأتي إلى ارض الميعاد ليبيد المالكين؟ وذلك مستمر للآن, لهذا فهي بلاد غريبة. لكن هذه الأمور ليست من ضمن طيف المجتمعات الصناعية و هذه الصفات لا تجدها في مجتمعات صناعية أخرى.

رج: لقد تحدثت عن العلاقات الدبلوماسية الإيرانية الأمريكية التي كانت في أدنى مستوياتها في العشرين سنة الأخيرة الماضية. رغم ذلك خلال الأشهر الأخيرة كما قرأت, السياسة الأمريكية اتجاه إيران يبدو أنها عانت من انعكاس. خلال جل الثمانينات, ظلت إسرائيل ومؤيدوها الأمريكان تحرض على مواجهة عسكرية مع إيران. كيف تفسر عرض مادلين اولبرايت اتجاه إيران؟ ما الذي تغيير؟

نعوم تشومسكي: السياسة الإسرائيلية متناقضة, لهذا نعم هناك عناصر في إسرائيل ومؤيديها الأمريكان الذين دعوا إلى مواجهة

عسكرية. بالمقابل إسرائيل حسنت علاقاتها مع إيران ولم تعتبر إسرائيل إيران دولة إرهابية رسميا يجب مهاجمتها أبدا. في هذه الحالة، اعتقد أن ما يحدث في الولايات المتحدة هو الوضع المعتاد. المصالح التجارية في الولايات المتحدة لم تكن تفضل العقوبات والحصار. هناك إجراء قياسي يحدث حين تفرض الولايات المتحدة عقوبات أو حصار أو حظر أو هجمات إرهابية وغيره.. لم يجرؤ احد لفترة لاحظها اغلب العالم على تحدي مل تفرضه الولايات المتحدة لأنه خائف منها لكن بعد مدة بدأت تتآكل على الحدود. بعد بعض الوقت، لم ترغب التجارة الأمريكية من أن تحرم من الأسواق والموارد والفرص وهي تؤثر على سياسة الحكومة وغيرتها. هذا نموذجي جدا.

لهذا في قضية فيتنام مثلا، طالما كان العالم يرى العقوبات القاسية جدا المصممة لمعاقبة فيتنام لتجرؤها على الوقوف بوجه السيد، طالما استمر ذلك دون أي مشكلة. في الوقت الذي بدأت فيه اليابان وأوروبا بانتهاك العقوبات، لم تحب التجارة الأمريكية ذلك وفجأة اكتشفت الحكومة أن فيتنام تتحسن وأننا نستطيع أن ندخل في علاقات معها. ونرى نفس الحدث مع كوبا الآن وإيران نفس القصة أيضا. منافسونا الآخرون وشركات النفط والمنافسون الدوليون في اليابان وأوروبا لم يتقيدوا بالحظر الأمريكي بعد ولم تكن الشركات الأمريكية سعيدة بذلك. أرادت الشركات الأمريكية أن تدخل إيران لتستغل ثرواتها الغنية التي هي ليست بمستوى السعودية والعراق لكنها تظل هامة وفيها ثروات أخرى، إنها سوق كبيرة وبلاد غنية بإمكانياتها. لهذا بدأت سياسة الحكومة بالتبدل تحت هذه التأثيرات. لكنها قصة متضاربة جدا. اقصد أن مسألة خطوط نفط

أسيا الوسطى مثلا قضية متقدة جدا. أنا متأكد بأن الشركات الأمريكية تفضل أن تمتلك أنابيب نفط تمر من إيران لأنها ستكون ارخص وأسهل. لكن الحكومة لا تزال تصر على خطتها الإستراتيجية بتمريرها من خلال الدولة الصديقة تركيا.

من الممتع لو شاهدت الخبر البارز على الصفحة الأولى من نيويورك تايمز يوم الأحد وهو القصة البارزة التي كتبتها جوديث ميلر، المختصة بالشرق الأوسط على ما يفترض، حول احدث تقرير للإدارة عن الإرهاب. والممتع الطريقة التي تعاملوا بها مع إيران وسوريا وتركيا. إيران دولة إرهابية. سوريا دولة إرهابية لكنها لن تظل إرهابية لو أيدت عملية السلام الأمريكية في الشرق الأوسط. تركيا كالوا لها المدح وخرجوا عن أسلوبهم وذلك لخبراتها الايجابية في الانتصار على الإرهاب. هذا مميز جدا لأن لتركيا واحد من أسوأ سجلات الإرهاب في عالم إرهاب الدولة ضد الأكراد كما أنها تقوم بعمليات عسكرية في شمال العراق في المنطقة التي حظرت الولايات المتحدة الطيران فيها. لهذا تسمح الولايات المتحدة ب [الإرهاب] ضد الأكراد. وهاهي تنفذ عمليات عسكرية في توجالي في جنوب شرق تركيا التي تعتبر من أكثر المناطق التي دمرتها الهجمات. خلال تسعينات القرن العشرين نفذت عمليات تطهير عرقي ضخمة وأعمال وحشية كلها بدعم من الولايات المتحدة. في الحقيقة في عام ١٩٩٧ فقط كانت الأسلحة الأمريكية التي نقلت إلى تركيا أكثر من كل الفترة الممتدة منذ عام ١٩٥٠ إلى بداية عملية مكافحة التمرد في منتصف الثمانينات. خذ إحدى الدول الإرهابية البارزة التي يعتمد إرهابها كثيرا على دعم الولايات المتحدة العسكري. حوالي ٨٠ ٪ من

أسلحتها من الولايات المتحدة, ونختارها لخبراتها الايجابية في مقاومة الإرهاب, ذلك يستولي على كثير من الثقة عند أفراد الطبقات المثقفة لأنهم يخضعون أنفسهم لأي شيء. لا يهم السخط الذي سيواجه به من وسائط الإعلام أو الطبقات المثقفة عموما.

بالمقابل إيران دولة إرهابية لأنها لم تخضع نفسها للمصالح الأمريكية. وشيء ممتع أن نرى كيف اعتبرت إيران دولة إرهابية. اعتبرت دولة إرهابية لأنها تدعم حزب الله في لبنان الذي وصف كمنظمة إرهابية. الآن لماذا حزب الله منظمة إرهابية؟ حزب الله, مهما كان رأيك فيه, يقاتل ضد احتلال عسكري أجنبي أمرت برحيله الولايات المتحدة والأمم المتحدة ومجلس الأمن منذ ٢٢ سنة. والآن هذا ليس إرهابا. وفي الحقيقة هناك قرار رئيسي للأمم المتحدة حول هذه القضية لكنه لم ينقل في الولايات المتحدة إلا على الهوامش, أنا نقلته. هذا في تشرين الثاني عام ١٩٨٧, في ذروة القلق من الإرهاب في الشرق الأوسط. مررت الجمعية العامة قرارا يدين الإرهاب في كل أشكاله, طاعون العالم الحديث وهلم جر وصوت له بنتيجة ١٥٣الى ٢ وغياب ١ هندوراس.كانت الدولتان هما الولايات المتحدة وإسرائيل كالعادة. لماذا تعارض الولايات المتحدة وإسرائيل قرارا قويا يدين الإرهاب بشدة؟ حسنا لأن فيه فقرة واحدة تقول : (لا شيء في هذا القرار سوف يضر بحقوق الشعوب في النضال ضد الأنظمة العنصرية والاستعمارية والاحتلال العسكري الأجنبي) وان تنال الدعم من الآخرين في ذلك الصراع. طبعا ستعارض الولايات المتحدة ذلك. فهي لا تعتقد بحق الشعوب في النضال ضد الاحتلال العسكري الأجنبي والأنظمة العنصرية والاستعمارية كما يفعل حزب الله في لبنان, بالتأكيد لن

يحظى بالتأييد. لهذا صوتت الولايات المتحدة ضد القرار ولم ينقل هذا في وسائل الإعلام. إن كان هناك مجتمع دولي خارج الولايات المتحدة، فهذا بيان قوي لوضعه. لهذا يطرح السؤال لماذا حزب الله منظمة إرهابية ولماذا إيران دولة إرهابية لأنها تدعمه؟ هذه الأسئلة لا يمكن طرحها في النقاش في الولايات المتحدة. أنا متأكد بأنك لم تر هذا السؤال في وسائل الإعلام أو الصحف وغيرها لأن الأمر يعتبر بديهيا إن أيدت الولايات المتحدة الإرهاب فهذا رائع وإن دعمت الاحتلال العسكري فهذا دفاع دون الأخذ بأهمية الوقائع.

رج: لماذا خسر الإيرانيون الحرب الكلامية في العشرين سنة الماضية؟

نعوم تشومسكي: مع الولايات المتحدة؟

رج: نعم.

نعوم تشومسكي: هم لم يدخلوا في حرب كلامية ولم ينقل في الإعلام شيء عن الموقف الإيراني. في الواقع حتى ما قلته للتو ـ هذا عمليا ١٠٠٪ من الأمم المتحدة ـ لم يدخل النقاش. من الممكن للخبر البارز في نيويورك تايمز أن يتحدث عن خبرات تركيا الايجابية في مقاتلة الإرهاب لأن الإرهاب الذي تؤيده الولايات المتحدة في تركيا قلما ينقل في الأخبار. اقصد بعض أسوأ الأعمال الوحشية والتطهير العرقي في التسعينات أسوأ بكثير مما نسب لميلوسيفتش في كوسوفو حتى قصف النيتو، الذي لم ينقل عنه سوى كلمات قليلة هنا وهناك.

رج: ألا تجد من الغريب أن مادلين اولبرايت تأتي وتعتذر لإيران وبعد أسبوع تجد مقالة في نيويورك تايمز تقول إنهم اكتشفوا فجأة وثائق عن انقلاب ١٩٥٣ في إيران؟

نعوم تشومسكي: أولا وقبل كل شيء, قامت مادلين اولبرايت باعتذار واهن. من الواضح أن شركات النفط الأميركية غير سعيدة بتلك السياسة. لهذا هي خطوة ضعيفة واستجابة لإيماءة خاتمي. المقالة التي نشرت في نيويورك تايمز غير مشوقة جدا ولم يكن فيها شيئا. كل ما فيها معروف منذ سنين. القسم الوحيد الممتع فيها كان عمود جانبي للصحفي نفسه. كان هناك عمود واحد في ذلك القسم حيث وصف كيف خلقت وسائل الإعلام الانقلاب الذي قامت به السي أي ايه وبريطانية وكتب في العنوان(حاولت السي أي ايه استغلال وسائل الإعلام لكنها فشلت) والقصة كيف أن وسائل الإعلام لم تخضع لاستغلال السي أي ايه التي قدمت,كما قال, (رواية موضوعية وواقعية) والتي جاءت مباشرة من الدعاية الحكومية وكل الأكاذيب كما تشير بقية المقالة. نقطة ممتعة أن لا تكون هناك ضرورة لاستغلال وسائل الإعلام لأنها كانت سعيدة بأن تستغل نفسها. بدون الخضوع إلى سلطة الحكومة لفقت نفس الأكاذيب التي يسمونها الآن بالموضوعية والواقعية, حتى ولو كانت تراها أكاذيب.

في الواقع رد الفعل آنذاك لو انتبهت كان ممتعا تماما. بعد الانقلاب أنت تعرف ما حدث. تظاهروا بأنهم لم يقوموا به لكن ما حدث كان واضحا جدا. كتبت صحيفة نيويورك تايمز افتتاحية قالت فيها الإطاحة بحكومة مصدق (سيكون درسا هادفا لكل حكومة تصاب بسعار الوطنية الهستيرية) وتعني تصاب بسعار محاولة السيطرة على مواردها الذاتية. هذا درس تلقيني لما سيحدث لها. لقد فهمت بهذه الطريقة. تلقين الدرس لكل دولة تحاول السيطرة على مواردها. لقد مجد هذا العمل في نيويورك تايمز. بعدها جاء ـ ليس من الضروري أن

اصف لك كيف كان نظام الشاه ـ قبيحا جدا من أسوأ القتلة والمعذبين. لكن لم ينقل شيء عن ذلك. اقصد منظمة العفو الدولية ـ سنة وراء سنة تختار إيران كواحدة من أسوأ الدول الإجرامية في العالم لمعاملتها شعبها ـ عمليا لاشيء. هناك كتاب جيد جدا عن هذا كتباه فارهانغ ودورمان وانتقدا فيه التغطية وفظاعتها. إن حقيقة أنهم اخرجوا مادة وثائقية شيء جيد لأنه من الجميل أن يكون لديك وثائق لكن حين تقرأ التقارير لا تخبرك بشيء لم تكن تعرفه من قبل.

رج: كما قلت, لو كان هناك علاقات فهي بسبب عملية العولمة التي لا تعني لكثير من الناس داخل إيران وخارجها إلا الهيمنة الثقافية. في العولمة لدينا الاعتقاد لأن العالم أحادي القطب,بعدم وجود متسع للحوار بين الثقافات ماذا ستكون آثار العولمة برأيك على بلد تقليدي كإيران؟

نعوم تشومسكي: اعتقد بأننا يجب أن نميز أولا بين الأشكال الثقافية للعولمة التي لا تعني الكثير للولايات المتحدة, وبين العولمة الاقتصادية التي تختلف عنها تماما. لهذا على المستوى الثقافي تكامل المجتمعات الدولية أصبح سلاح ذو حدين. خذ أوروبا حيث توجد هناك درجة واسعة من التكامل في الاتحاد الأوروبي. فقد أدى ذلك إلى تجانس ثقافي اكبر لكنه بالمقابل أدى إلى كثير من الإقليمية. لهذا انتعشت الثقافات الإقليمية فوق قسم كبير من أوروبا : ويلز وكاتالونيا وأجزاء من ألمانيا, ردا على التماثل المفروض عليهم. مثلا, خذ اللغات. كثير من اللغات في أوروبا التي سميت بلهجات تختفي الآن ببساطة. لكن بالمقابل كثير منها انتعش. وأظن هذا صحيح في العالم كله

الأشكال الاقتصادية للعولمة أهم بكثير لمصالح السلطة وهنا يجب أن نكون حذرين. العولمة كلمة مشفرة. هناك طرق كثيرة يمكن أن يصبح فيها الاقتصاد متكاملا. لهذا إن رجعت للستينات والسبعينات حين التقت دول عدم الانحياز مع بعضها البعض وأصبحت قوة مهمة وطالبت بنظام اقتصادي عالمي جديد ـ بمعنى آخر عولمة ـ نظام يستجيب لحاجات الأغلبية في العالم. في الحقيقة وكالة الأمم المتحدة للتجارة والتطوير شكلت في عام ١٩٦٤ الترد على هذه المصالح. إنها الوكالة السياسة الأساسية التابعة للأمم المتحدة لتحليل السياسة الاقتصادية وقدمت مقترحات للنظام الاقتصادي العالمي ليستجيب لحاجات البلدان التي كانت تحاول تطوير الأغلبية الأكثر فقرا في العالم. وقد تم إسدال الستارة على ذلك فورا ولم يناقش واعتبر سخيفا وهمشت الوكالة بوظائفها التي لم تر النور. انظر إلى صحافة الولايات المتحدة فهي لا تعرف بوجودها حتى. والسبب أنها استجابت لحاجات ٨٠ ٪من سكان العالم أي دول عدم الانحياز.

كما تأسس شكل مختلف من العولمة في ذلك الوقت يهتم بمصالح مختلفة. يعني هؤلاء من أصحاب السلطة الخاصة المركزة جدا. وسميت تلك بالعولمة لكنها ليست أكثر عولمة من بديلتها التي كانت ستحل محلها أو غيرها من الأشكال التي يمكن التفكير بها. أنها شكل محدد من التكامل الدولي تقوده سلطة الشركات وتدعمه عدد قليل من الدول القوية المترابطة بتكتلات اقتصادية رئيسية. والآن هذا الشكل الخاص من العولمة التي بدأت منذ السبعينات له تأثيرات ضارة على الاقتصاد العالمي. لا شك في هذا. لو نظرت إلى معدلات النمو في الخمسينات والستينات فقد كانت أعلى

بكثير قبل أن تبدأ العولمة. وهذا ليس بالسر الكبير. اقصد كان لدى الولايات المتحدة لجنة بريتون وودز التي كان يرأسها بول فولكر، رئيس الاحتياط الفيدرالي، لا يمكنك أن تنال احتراما أكثر من ذلك، في عام ١٩٩٥، درست هذه الآثار وقدرت بأن معدلات النمو في البلدان الصناعية قد هبط إلى حوالي النصف بعد بداية ما سمي بالعولمة - التحرر المالي، تعطل نظام بريتون وودز في السبعينات. كما خرجت وكالة الأمم المتحدة بتقريرها عن التجارة والتطوير لعام ١٩٩٩، المتعلق بالبلدان الفقيرة أو ما سموها بالبلدان النامية ووصلت لنفس النتائج الأساسية. انحدرت معدلات النمو في البلدان الفقيرة في التسعينات إلى نصف ما كانت عليه في السبعينات. وينطبق ذلك على (مقاييس اقتصادية) نمو معدل الإنتاجية الكبيرة واستثمار الرأسمال وغيره.

علاوة على ذلك، حتى في البلدان الغنية ترى نفس الشيء. خذ الولايات المتحدة. هناك حديث كثير عن اقتصاد قصص الحواري لكنها غير صحيحة. اقصد أن الاقتصاد الآن بدأ يقترب عما كان عليه في الخمسينات والستينات وهذا هش جدا لأنه مؤسس على دين ثقيل جدا وعجز تجاري ضخم وفقاعات الأسهم المالية ولا يعرف احد إلى متى سيستمر ذلك. إضافة إلى ذلك، في العشرين سنة الأخيرة أكثر السكان تم إلغاءهم. لهذا معدل الأجور في الولايات المتحدة يقارب مستوى الأجور قبل عشرين سنة وهذا غير مسبوق منذ فترة طويلة. لو نظرت إلى المؤشرات الاجتماعية كالجوع مثلا والأمية ومعدل الوفيات وهذه الأنواع من القياسات، فقد انحدرت منذ منتصف السبعينات ووازت الناتج الإجمالي المحلي تقريبا، حين ينمو الاقتصاد تتحسن المؤشرات الاجتماعية. منذ منتصف السبعينات كانت المؤشرات

الاجتماعية في حالة انحدار في حين كان الاقتصاد مستمرا بالنمو غير السريع والآن هي في نفس مستوى الستينات تقريبا وفي البلدان الأفقر كانت الأمور أسوأ. هذا شكل خاص للعولمة. السبب في مدحها المفرط إنها كانت بالنسبة لقطاع معين من السكان أصبح فيها في ثراء فاحش... حسنا من هم الناس الذين يكتبون المقالات ويصفون ما يسمعونه من أصدقاءهم في المطاعم الراقية؟ بالنسبة لهم انه اقتصاد ممتاز، ليس لأكثر البقية، حتى في البلدان الغنية، مثل الولايات المتحدة وبالتأكيد ليس في البلدان الأفقر، ذلك شكل من تكامل العولمة.

للعولمة تأثيرات ممتعة أخرى. لهذا مثلا، الآن هناك كثير من الهستريا حول حرب المخدرات. احد أسباب حرب المخدرات - يوجد أشياء كثيرة يمكن قولها حول هذا - لكن يمكن أن نسأل أنفسنا لماذا يزرع الفلاحون الكاكو في منطقة الاندرين؟ القسم الكبير من السبب هو الطلب الاقتصادي العالمي الدائم. لهذا كان احد اقتراحات وكالة الأمم المتحدة للتجارة والتطوير، كجزء من النظام الاقتصادي الذي كانت تلح عليه دول عدم الانحياز، المحاولة لحفظ استقرار أسعار السلع. هذا مهم جدا. البلدان الأفقر هي المنتجة الأساسية للسلع. إن تذبذبت أسعار السلع بشكل كبير فلن يستطيع الفلاحون النجاة. اقصد أن التجارة الزراعية تستطيع البقاء إن ارتفعت الأسعار أو هبطت أما الفلاح فلا يستطيع أن يقول لأطفاله لا تقلقوا بأكل العام القادم فربما يكون لدينا غذاء في العام الذي يليه. لا يستطيعون ذلك. لهذا تقدم الولايات المتحدة إعانات مالية ضخمة للتجارة الزراعية لتبقي أسعار السلع الزراعية مستقرة تقريبا. وكذلك يفعل الاتحاد الأوروبي بل وأكثر. لكن حين حاولت البلدان الفقيرة فعل المثل أيضا أغلق ذلك

تماما. لم تسمح الولايات المتحدة والبلدان الغنية باستقرار أسعار السلع الزراعية . حسنا احد تأثيرات ذلك دفع الفادحين إلى زرع سلع تتوفر لها أسواق مستقرة. إن كنت فلاحا في بوليفيا فهي المخدرات.

إضافة إلى ذلك جاء بعدها الإصلاح النيوليبرالي الذي اجبر البلدان على فتح حدودها لصادرات السلع التجارية - الزراعية المدعومة المنتجة في الولايات المتحدة وأوروبا. حسنا, من الواضح أن الزراعة المحلية لن تقدر على النجاة من ذلك. لهذا طرد الفلاحون من إنتاج الاقتصاد المحلي وأمرهم البنك الدولي وصندوق النقد الدولي أن يصبحوا ما سمي ب(فلاحين عقلانيين) - أي يزرعوا من الصادرات الزراعية ويحاولوا مضاعفة الأرباح. جيد, هناك طريقة لفعل ذلك. طريق واحد هو أن تزرعوا الكاكاو والخشخاش... حسنا بعد أن تعلموا درسهم من الاقتصاديين الأمريكيين وصندوق النقد الدولي كوفئ الفلاحون. هاجمتهم الطائرات العسكرية الأمريكية ودمرت محاصيلهم في ما سمي بحرب المخدرات. يمكنك أن تسأل نفسك, اقصد بأنه هناك جدل كبير حول حرب المخدرات لكن إلى أي مدى نوقشت هذه القضايا؟ لا إطلاقا.

في الواقع هناك سؤال لم يتم طرحه بعد ويبين المدى الكبير للتلقين العقائدي في المجتمعات الصناعية - اقصد ما هو الحق الذي تملكه الولايات المتحدة بأن تشن حروب كيماوية وبيولوجية وهجمات عسكرية في بلدان الانديز؟؟ اقصد, مثلا هل للصين الحق في شن حرب كيماوية وبيولوجية في كارولاينا الشمالية؟ كارولاينا الشمالية تنتج مواد مميتة أكثر خطورة من الكاكاو أو الهيروين. إنهم يصنعون التبغ الذي وصفته المحكمة العليا بأسوأ مضر للصحة في الولايات

المتحدة. وتبلغ الوفيات الناتجة عن التبغ ٢٥ ضعف الوفيات الناتجة عن المخدرات في الولايات المتحدة فقط. البلدان الأسيوية ليست مجبرة على قبول المخدرات المميتة فقط وإنما مجبرة على قبول الإعلان عنها أيضا. اقصد أن الكارتل الكولومبي لا يسمح له في الوليات المتحدة بأن يعلن في تلفزيون الولايات المتحدة لأخبار الأطفال كم ممتع تدخين الكوكايين، حسنا يجب عمل ذلك في أسيا لو لم يتضارب مع قوانين تجارة الولايات المتحدة. لهذا الولايات المتحدة تفرض بالقوة مواد مميتة على بقية العالم وتجبرهم على قبول الإعلان الذي يستهدف السكان الهشين. هل لهم الحق أن يأتوا إلى كارلاينا الشمالية ويشنوا حربا كيماوية وبيولوجية أو أن يرسلوا المروحيات المسلحة لقتل المزارعين في كارولاينا الشمالية. لما ذا لا؟ ما الذي يعطي ذلك الحق للولايات المتحدة ولا يعطيه للبلدان الأخرى؟ هذا السؤال لا يمكن طرحه.

رج: هل هناك مكان في عالمنا اليوم، بما أننا نتحدث عن العولمة والنظام العالمي الجديد، لحوار بين الحضارات؟

نعوم تشومسكي: يجب أولا أن تنفتح المجتمعات إلى حد كافي لكي ترغب في حوار داخلي. تلك مشكلة واضحة في إيران وقد جرى التصدي لها لكنها مشكلة ضخمة هنا. اقصد هذا مجتمع حر جدا بمعنى أن لا يكون لها سوى قليل من السلطة على الإجبار. لهذا لا تستطيع الحكومة أن توقفني عما أقوله. لو أردت الكتابة في جريدة صغيرة يمكنني ذلك، ولا يستطيعون رمي في السجن، إنها ليست كإيران من هذه الناحية. ومن جانب آخر مستوى الحوار الفعلي هنا ضيق جدا. مثلا الأشياء التي ذكرتها واضحة جدا. حتى انه ليس هناك حاجة لتجشم عناء شرحها لأطفال المدارس لأنهم يفهمونها

لوضوحها. إنها ليست نقطة عميقة أو قضية فلسفية. هذه حقائق أولية. لم تناقش أبدا. النظام العقائدي ضيف جدا لدرجة لا يسمح فيها بطرح هذه الأسئلة. إذا لم تتفتح البلدان الأكثر تحررا إلى درجة تصبح فيها مستعدة لمواجهة هذه الحقيقة الأولية فلن يكون بالإمكان إجراء حوار بين البلدان.

دعني أعطيك مثالا آخرا. بلدان عدم الانحياز التي تشكل ٨٠٪ من سكان العالم لذلك فهي ليست تافهة. لقد عقدت اجتماعا على مستوى عال في كاثرينا، كولومبيا. لم تذكر كلمة عنه في صحافة الولايات المتحدة. لقد أجريت بحث بيانات لم يذكر عنه شيئا. لقد خرجوا ببيانات مشوقة تستطيع قراءتها. قرأتها في الصحافة المصرية مثلا. خرجت بشجب شديد لما دعي بالتدخل الإنساني وصفوه بأنه إحياء للأساليب الامبريالية التقليدية في استخدام القوة للسيطرة على البلدان الأخرى تحت ذريعة الإنسانية. تلك قضية مهمة وكبيرة في الولايات المتحدة. كل اليسار يتحدث عن التدخل الإنساني واليمين أيضا، وقد أجرت المجلة اليسارية نيشن ماغازين نقاشا واسعا حوله. كيف حصل أن لا نسمع بما قالته البلدان التي تمثل ٨٠ ٪ من سكان العالم في مناقشتها لذلك؟ كان ذلك حقيقي في عام ١٩٩٩. حين كتبت كتابا عما يحدث هناك اقتبست من الصحافة في الهند وإسرائيل وأميركا اللاتينية وغيرها. لم يذكر أي شيء هنا. وربما عرضيا لكن كيف يمكنك التحاور إن كنت ترفض الاستماع إلى ما تقوله الأغلبية من شعوب العالم. في عالم الأقوياء ليس هناك ضرورة للحوار. فأنت تقول ما تريد. الملوك والأمراء ليسوا مجبرين على التحاور مع الفلاحين. ليس للحديث حول حوار جدي عبر البلدان أي جدوى أن

لم تكن تملكه ضمن الثقافة.

رج: كيف تستطيع دول عدم الانحياز أن تصبح قوية مرة أخرى كما كانت أيام نهرو وعبد الناصر؟

نعوم تشومسكي: تظل دول عدم الانحياز موجودة طالما هناك قوتان عظميان. إن كان هناك قاطعا طريق يحكمان العالم فهناك متسع صغير للناس في تحريض واحد منهما ضد الآخر. لكن حالما يختفي احدهما فلن يبقى سوى واحدا ويختفي عدم الانحياز أيضا. لهذا في عام ١٩٩٠، لجنة الجنوب ـ اقصد الجماعات غير الراديكالية، ناس مثل وزير التطوير في اندونيسيا الخ ـ التي كان يرأسها يوليوس نيري من تنزانيا وكان ممثلا جيدا لحكومات الجنوب التي اغلبها حكومات قبيحة وأنا لا أحبها لكن هذا هو واقعها فهي بلدان عدم الانحياز، خرجت باقتراح للنظام العالمي الجديد كما فعلت في الستينات يستجيب لمصالح الجنوب. لم يكن غامضا وقد نشرته مطبعة جامعة أكسفورد. أنا لم اقل كلمة بشأنه. قرأت عنه لكن لم أر أي كلمة عنه في النقاش العام. ثم خرجوا بكتاب بعدها ـ لدي فصل منه، في الحقيقة ـ نشرته المطابع الغربية لا يمكنك تفحص أي شيء فيه. اقصد من يهتم بمصالح الجنوب؟

تراه في المساعدات الأجنبية. كانت المساعدة الأجنبية دائما ..... اقصد ما يسمى بمساعدة تعزيز للصادرات فهي مساعدة مشروطة. لكنها مهما كانت فقد اختفت وليس في الولايات المتحدة الآن أي برنامج للمساعدة وهي الأقل بين البلدان الصناعية ولو نظرت إلى بنيتها فإن اغلبها يذهب إلى الدول الغنية يعني إسرائيل. لو أخذت منها ذلك فلن يبقى سوى المساعدة العسكرية التي تذهب إلى دول مثل

تركيا وكولومبيا اللتان يجب عليهما تنفيذ عنف واسع ضد مواطنيها. لكن أنواع المساعدة الأخرى اختفت فعليا لأنه أمر الجنوب لا يهم احد. لا مجال هناك لدول عدم الانحياز. ومن النموذجي أن لا يذكر شيئا عن اجتماعات دول عدم الانحياز في كولومبيا. منذ سنة في عام ١٩٩٩ كان هناك اهتمام بإصلاح الهندسة المالية العالمية. لقد حدثت انهيارات اقتصادية رئيسية وقلقت البلدان الغنية لأن الشعوب الغنية تضررت وليس الفقيرة فقط التي لا تهم. لكن الشعوب الغنية تضررت لهذا كان هناك قلق كبير حول الهندسة المالية العالمية ونقاش موسع في الصحافة. دول الجي فيفتين، اكبر خمسة عشر دولة من الدول الفقيرة كالهند والصين واندونيسيا ودول رئيسية أخرى عقدت اجتماعا حول الهندسة المالية العالمية لم يكن صعبا إيجاده فقد كان في الجارة جامايكا لكن حتى نيويورك تايمز لم تكتب كلمة عنه. تقدموا باقتراح لتبديل الهندسة المالية العالمية لوقف النتائج المدمرة على بلدانهم التي كانت واضحة دائما، أزمة شرق أسيا وأزمة البرازيل الخ. لم يرد لذلك ذكر في الصحافة القومية، صدف أن ذكرت في صحف محلية صغيرة هنا وهناك ولم يعرف أحدا بما قالت لأنه يتعلق بغالبية سكان العالم غير المهمة، بمن سنهتم؟ كما قلت الملك لا يزعج نفسه بالسؤال. المرة الوحيدة التي يقلق الملك فيها حين يحدث الفلاحون اضطرابا. حينها يجب القلق بشأنهم. لكن طالما أنهم في حالة هادئة تقريبا ويمكن السيطرة عليهم بالقوة من يهتم بما يفكرون؟

رج: ما هي التغييرات القادمة التي ينتظرها العالم كله في القرن الحادي والعشرين مع كل هذه العولمة برأيك؟

نعوم تشومسكي: تغيرات خطيرة جدا. أولا لأن ما سمي بالعولمة

مضللة في شكلها الخاص بالتكامل. هناك الآن احتجاج واسع الانتشار ضدها في البلدان الغنية وأخذ شكل مظاهرات كبيرة في سياتل وواشنطن ولندن. بعبارة أخرى الفلاحون يثرون الاضطراب والملك يهتم. وفي واقع الأمر اخذ البنك الدولي مسبقا موقفا علنيا ارتكب فيه أخطاء سيئة في الماضي وطالب في الذهاب إلى توجه جديد. لكن كان هذا استجابة لمظاهرات الاحتجاج, يجب أن يستجيبوا لكن هذه مشكلة واحدة فقط. مشكلة أخرى تناقش الآن في هذا الوقت هي معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية. حسنا, القوى النووية لم تقبل تماما بمعاهدة حظر الانتشار. تحتاج تلك المعاهدة إلى جهود لإزالة الأسلحة النووية. لكن في الواقع ما يحدث هو العكس. إن خطر الأسلحة النووية اكبر الآن من أي وقت مضى. لو نصبت الولايات المتحدة صواريخها الدفاعية فان ذلك سيزيد تهديد الأسلحة النووية كما يرى اغلب الخبراء. تطور الأسلحة النووية في جنوب أسيا له أسباب كثيرة. لكن احدها هو الخوف وهذا ما يعرفه المحللين الاستراتيجيين. لو عززت الصين قواتها النووية ردا على تهديد الصواريخ الدفاعية فستفعل الهند ذلك أيضا ثم تليها إيران وإسرائيل كذلك.

في الواقع أن جنوب شرق تركيا الذي يجرى فيه تطهير عرقي للأكراد هو نفس المكان الذي تتواجد القواعد الجوية الأمريكية الضخمة في بعض مناطقه التي هي مركز مراقبة ورصد للشرق الأوسط كله وتنطلق الطائرات الأمريكية والإسرائيلية منها وقد تكون مزودة بالقنابل النووية. كما أن إيران كانت في الواقع جزء من هذا النظام حتى عام ١٩٧٩وظلت قاعدة نظام التحكم الأمريكي

الأساسية في إيران وإسرائيل وتركيا والعربية السعودية وباكستان.، العربية السعودية بسبب النفط والدول الأخرى لأنها تقوم بدور الدركي المحلي. في الحقيقة إن الموقف العدواني اتجاه إيران سببه انسحابها من هذا النظام وحين تتراجع وتعود للنظام ثانية ستصبح دولة غير إرهابية مرة اخرى.

لكن خطر الحرب النووية صارم تماما وان حدثت ستأخذنا إلى نهايتنا المؤكدة. خطر الكارثة البيئية أيضا كبير جدا. فمثلا هناك الآن فيضانات هائلة تهدد أجزاء من العالم لا احد يعرف سببها بالضبط لكن الكوارث البيئية يجبن أن لا تهمل فهي مسائل خطيرة جدا ولا احد يعرف تأثيراتها. لكننا عرفنا فوبال وتشرنوبيل. لقد شهد العالم أكثر مناخ حار في السنوات القليلة الأخيرة. يبدو الأمر خطير جدا كما أن هذا التبدل المفاجئ قد يؤدي إلى نتائج هائلة. هذه الكوارث البيئية متعلقة بالعولمة مباشرة. قسم من تحويل السلطة إلى الشركات الخاصة يعني بأننا لا ننتبه إلى أشياء محددة لهذا نستهين بتقدير الأزمة البيئية أو خطر الانصهار المالي. فكما تعرف الآن هناك دين يدعي بأن التجارة هي القيمة المثلى. إن التجارة ليست من القيم المثلى وهي ليست كذلك بالنسبة لبعض الناس الآخرين . إنها قيمة مساعدة مثل حقوق الإنسان. لكنها رفعت إلى مرتبة القيم المثلى. كثير من تأثيرات التجارة هي لنشر الأمراض وتسبب التجارة تلوثا هائلا أيضا. في الأدب الاقتصادي تدعى هذه (مخرجات سلبية) لكنها توضع جانبا لأنه يفترض بها أن تكون صغيرة لكنها ليست كذلك. بما أن تأثير التجارة اجبر فلاحي بوليفيا على زراعة الكوكا لذلك فهو من المخرجات السلبية. كما ترى للتجارة آثار ضخمة جدا

على العالم لكنها لم تلق الاهتمام لأن القوة المحركة للعولمة هي مجرد تركيز وتكثيف السلطة الخاصة.

رج: كيف نسوي بين الخاص والكوني؟ كيف يمكن للمرء أن يدافع عن هويته الثقافية و بنفس الوقت أن يناضل من اجل مبادئه الكونية؟

نعوم تشومسكي: اعتقد أن المبادئ الموجودة في البيان العالمي لحقوق الإنسان ليست مثالية لكن اعتقد بأنها تعبير جيد بشكل معقول عن المبادئ التي يقبلها الناس في كل أنحاء العالم. ينتسب الذين وضعوا البيان العالمي إلى ثقافات مختلفة كثيرة ولم يكونوا من الامبرياليين الغربيين بل كانت هناك مواد مدخلة من كل الأماكن وتمثل نوعا من الوفاق حول المعايير الدنيا من حقوق الإنسان. طبعا الآن، بلدان كثيرة لا تقبل بالبيان العالمي لحقوق الإنسان. لقد وقعوا عليه لكن لا يعني ذلك أنهم قبلوا به. يشمل البيان العالمي الحقوق الاجتماعية والاقتصادية وحقوق التنمية وحقوق العمل والصحة وغيره. الولايات المتحدة ترفضه بشكل مطلق ففي اجتماعات منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة صوتت الولايات المتحدة حقيقة ضد القرارات المنادية بحق التنمية الذي ينص ثانية على عدة بنود من البيان العالمي وفي عام ١٩٩٠ صوتت الولايات المتحدة ضد ها لأنها منافية للعقل والطبيعة كما أن بلدان أخرى لم توافق على البيان العالمي ولم تطبقه حتى لو كانت موقعة على المبدأ.

لو نظرت إلى المبادئ نفسها ستجدها مبادئ معقولة. اعتقد بأنها تعبر عن الوفاق الذي يتفق عليه غالبية الناس المنطقيين. قد تأتي من ثقافة قديمة ولكنك تعارض التعذيب. بعد ذلك تطرح أسئلة أخرى مثل

الأسئلة الدينية. مثلا, لا اعتقد أن تعليم نظرية التطور غير شرعية فقط في إيران فهي غير شرعية في كنساس أيضا. أنت تعرف بأن الهيئة التعليمية في كنساس منعت تعليم نظرية التطور. لو أراد الناس أن يصدقوا بأن داروين لم يكن مصيبا فهذا حقهم لكن إن أرادوا فرضها على الآخرين فلن يظل الأمر حقهم حتى لو كانوا أغلبية. مسألة أخرى هي التعليم. هل يجب أن يكون هناك نظام تعليمي حكومي مجاني أم هل يجب على الحكومي دعم المدارس الدينية؟ هذا مثار جدل في الولايات المتحدة. أنا شخصيا متأثر بعهد التنوير في القرن الثامن عشر. اعتقد بأن التعليم الحكومي المجاني يجب أن لا يدعم التوجيه الديني. لهذا إن أرادت مجموعات دينية هذا جيد لكن ليس على حساب النفقات الحكومية. خذ أيضا مثال الإجهاض وهو مسألة مهمة وصراع بين القيم كغيره من القضايا الأخلاقية. من حق المرأة أن يكون لها سلطة على جسدها وهناك أيضا حق الجنين في الحياة كما يعتقد الكاثوليك. لهذا مثل هذه القضايا ليست مثل قضية التعذيب التي يتفق عليها الكل. القضايا التي مثل قضية الإجهاض تعامل كقضايا لاهوتية, لكن اعتقد بأنها قضية للاستعراض فقط في الولايات المتحدة. اقصد لو أراد أعضاء الكونغرس المعارضين للقرار أن تجهض بناتهم فيمكنهن ذلك. انه جزء من تكنيك السيطرة على بقية العالم.

إحدى الطرق التي تقلص فيها الولايات المتحدة الاعتماد المالي للأمم المتحدة هي القول بأنها لا تقبل بأن تعمل الأمم المتحدة على تحديد النسل وهذا رياء تام. خذ مثلا حالة ايليان غونزاليز.وهي ظاهرة مشوقة لم تناقش. في غمار قضية ايليان غونزليز داهمت الشرطة في

ميامي بيتا لعائلة عربية في قضية وصاية وأبعدت طفلا عمره سنتان عن أمه وأرسلته إلى الأردن بما أن الأب كان أردنيا وقررت المحكمة الأمريكية أن الوصاية يجب أن تقرر في الأردن. حسنا كما تعرف أن حقوق النساء تعامل بشكل سيء في الأردن ولم تناقش وسائل الإعلام الأمريكية القضية أبدا. هذه الوقعة تبين كل الرياء حول حالة ايليان غونزاليز. كثير من التظاهر حول هذه الحقوق هو استخدام بشع للحقوق الآخرين ومهاجمتهم. وذلك كان المغزى من إعلان كارتاجينا لدول عدم الانحياز. إن ما قالته بنجاح بأن البلدان الغربية لا يجب أن تتظاهر بتلويح راية حقوق الإنسان في الوقت الذي تحمل فيه شعار التدخل الامبريالي القديم الطراز وهذا هو ما يحدث إلى حد كبير. لهذا الولايات المتحدة سعيدة بقصف يوغسلافيا لكنها غير سعيدة بقصف إحدى دول النيتو مثل تركيا التي ترتكب الكثير من الأعمال الوحشية ضد الأكراد.

رج: هل تعتقد أن احد أساليب النضال ضد هذا الرياء والظلم هو أن يجري حوار بين المثقفين من مختلف البلدان دون انتظار حكوماتنا حتى تأسس جسورا دبلوماسية؟

نعوم تشومسكي: أوافق، لأنني أنا شخصيا مشترك في حوار مستمر مع الناس الذين يعارضون حكوماتهم في كل أنحاء العالم وفي الحقيقة نعمل كلنا سوية. كيف أواصل مع الشرق الأوسط أو جنوب شرق أسيا أو أماكن أخرى كهذه؟ حسنا ينجح العمل حين يكوم هناك أناس يشبهونني كثيرا في بلدان أخرى كإسرائيل أو استراليا وهكذا لهم نفس الاهتمامات. كلنا منشقون، يعني أننا منفصلين عن التيار السائد. ليست لدينا موارد لذا يجب علينا أن نعمل

بأنفسنا ولوحدنا وهلم جر ويجب علينا أن نتعاون مع بعضنا بعض. اقصد لو أردت أن اعرف ما يدور في الهند أو الشرق الأوسط, هناك أشخاص أذكياء يعملون من اجلي وهم أذكى من الأشخاص الذين يعملون لصالح السي أي ايه. هذه الأعمال هي للمنشقين في بلدانهم. وأنا اعمل أشياء لهم ونتبادل ونحن في حوار مستمر حول القضايا التي تهمنا. هؤلاء ليسوا من المثقفين فقط. قد يكونوا من الأطباء أو العمال. إنني أتعلم من التحدث معهم أكثر مما أتعلمه من المثقفين. في الحقيقة هذا هو ما عليه سياتل. سياتل مكان لقاء لناس من خلفيات متنوعة جدا من طلاب وعمال صلب وناشطين بيئيين وغيرهم. هذا هو الحوار الحقيقي. ليس من الضروري أن يكون الحوار بين الحكومات فقط. انه بين الناس. إن الذين يصنعون التغييرات البناءة اغلبهم معارضين لحكوماتهم.

رج: شكرا لك أستاذ تشومسكي.

حول الفلسفة الإنسانية والمبادئ الأخلاقية

نعوم تشومسكي يقابله تور وينربيرغ

مونتريال سيراي كانون الأول ١٩٩٨ .

سؤال: إحدى الأفكار التي أجدها مشوقة جدا وساحرة تلك التي تقول بما أن قدراتنا اللغوية محددة وراثيا فإن قدرتنا ككائنات بشرية على الحكم الأخلاقي محددة كذلك. ماذا تفهم من مضمون الفكرة التي تلمح بأن قدرتنا الأخلاقية فطرية؟

نعوم تشومسكي: حسنا, لا اعتقد بأنها يمكن أن تكون مسألة مهمة لشيء واحد.(هذا لا يعني بأننا نفهم كل شيء عنها) لكن حقيقة الأمر إننا نصدر أحكاما أخلاقية باستمرار في الأوضاع الجديدة والى مدى مهم نقوم بذلك في شكل متقارب ـ لا نختلف عن بعضنا بشكل عشوائي ومتهور لكن الأكثر من ذلك أن الأطفال يفعلون ذلك بسرعة ويتقاربون أيضا.

طبعا, هناك مؤثرات ثقافية وتاريخية لكن حتى المؤثر منها يجب أن يكون مؤثرا على شيء. لو نظرت إلى مجال هذه الظاهرة تجد احتمالان اثنان فقط الأول أنها معجزة والثاني أنها متجذرة في طبيعتنا. إنها متأصلة في طبيعتنا كاللغة ولذلك تمتلك أرجل واذرع وتأخذ أشكالا مختلفة اعتمادا على الظروف كاعتماد الأرجل والأذرع على التغذية وتعتمد اللغة على عدم سماعي باللغة السويدية حيث كنت في عمر

الست أشهر وهكذا. لكنها يجب أن تكون شيئا ينبع من طبيعتنا ولا لما استطعنا أبدا أن نستخدمها بطريقة منظمة أبدا ماعدا تكرار ما حدث في السابق. لهذا يجب أن تكون هناك.

ما هي المضامين؟ احد المضامين يجب أن نهتم باكتشاف ماهيتها. لقد تعلمنا شيئا عن أنفسنا. لا يمكننا أن نأمل بأننا بدأنا نتعلم أي شيء عن علم الأحياء في هذه المرحلة. علم الأحياء لم يصل إلى هذا البعد بعد. من حيث المبدأ يجب لكنه يتعامل الآن مع مشاكل اصغر بكثير فقط ولا يزال يواجه صعوبة في فهم عمل النحل فما بالك بحال البشر.

لكن اعتقد بأننا نستطيع تعلم الأشياء من التاريخ والتجربة. خذ مثلا, النقاش حول قضايا كبيرة مثل العبودية أو حقوق المرأة وغيرها. لم يكن مجرد صراخ أناس بوجه بعضهم البعض وإنما كانت هناك حجج ممتعة من كل الأطراف المتحاورة. فلدى الطرف المؤيد للعبودية حجج قوية جدا يصعب الرد عليها. لكن كانت هناك أرضية أخلاقية مشتركة بني عليها قسم هام من الحوار الذي وصل إلى بعض الحلول وترى الآن انبعاث الوعي بما هو صحيح فعلا مما يعني انه يعكس مفهومنا الداخلي لما هو صحيح. ونتعلم المزيد عن ذلك بمرور الوقت وتزداد بصيرتنا لما يصدر عن طبيعتنا. المضامين مهمة جدا إلى الدرجة التي نستطيع فهمها. من الأفضل أن يكون لدينا فهما واعيا يرشدنا بقدر ما نستطيع بدلا من الاستجابة الحدسية الخالية من الفهم. وهذا صحيح إن كنت نجارا تستجيب لكيفية تشكيل مصنوعات خشبية أو كائن بشري أخلاقي يستجيب لكيفية التقرير بين سلوكيات اتجاه الآخرين.

سؤال: احد الأمثلة التي خطرت لي انه حتى أكثر النيوليبراليين

تطرفا لم يدافع أبدا عن اللامساواة في الدخل بحد ذاتها - لأن ذلك لمصلحة الفقراء دائما كما يفترض.

تشومسكي: هذا نوع من العالمية. كل اقتراح يتخذ على أنه يساعد الفقراء ولا يهم ما هو فعليا, لاحظ اقتصاديو التيار السائد مثل بول كروغمان ذلك فقد كتب في مقالة نقدية في الصحيفة المختصة انترناشينال افيرز, في إصدارها الخاص بالذكرى الخامسة والسبعين لإصدارها عن التطور الاقتصادي وأشار بأن الناس لديهم دائما أفكار مختلفة عن التطور الاقتصادي وكل مرة يتأكدون بأنهم على صواب وأن أفكارهم ستساعد الكل لكن يثبت بعد فترة قصيرة بأن أملهم بني على الرمال ويتحولون إلى فكرة أخرى بيقين مماثل بأنها ستساعد الجميع بما فيهم الفقراء رغم أن استعادة الأحداث السابقة تبين أن الفكرة السابقة كانت سيئة ويضيف بعدها بأن بعض الناس يدعون بأن الأفكار السيئة تزدهر لأنها نافعة للأشخاص الذين في السلطة. حسنا, نعم ربما ذلك هو ما يحدث - وربما دائما.

تسوغ عبارة (أنا على حق) بأنها من اجل الفقراء دائما . لا احد يقف ويقول أنا سأحصل على هذا لأنني أريده, وإنما أنا سوف أأخذ هذا لأنه لي وإن أخذته سيكون ذلك لمصلحة الجميع. هذا صحيح بالنسبة للأطفال الذين يتشاجرون على الدمى والألعاب وللحكومات الذاهبة للحرب. لم يتورط احد في حرب عدوانية أبدا بل تعتبرها دفاعية من كلا الجانبين دائما. يجب أن تقدم الأشياء بطريقة تتوافق مع فهم الناس للصحيح والخطأ. ويصل ذلك إلى مستويات مضحكة كما في حالة النازيين واليهود الذي قدم للناس على انه عمل دفاعي وأن الألمان يدافعون عن أنفسهم ضد الهجوم اليهودي.

سؤال: لو قمنا بتجربة نظرية بتوفير الفرصة لجيل كامل من الأطفال بأن يتربوا في بيئة محبة وصادقة ومحترمة بواسطة تربية تحررية ليطوروا قدراتهم الأخلاقية بشكل تام ألا يكون تأيدهم لنظام اجتماعي مؤسس على لامساواة هائلة وحكم النخب مستحيل؟

تشومسكي: لن أقول بأن ذلك مستحيل ولكن سوف تتولد مقاومة هامة. وستتولد أكثر من ذلك في تلك الحالة. إنها حقيقة ملفتة للنظر ولو نظرت إلى فكرة المساواة في تاريخنا مثلا من الإغريق إلى العصر الحالي تجد بأن كل شخصية بارزة فيه اعتبرت المساواة رغبة واضحة.

خذ أقدم عمل في علم السياسة، سياسة أرسطو. لقد أشار بأنه ليس نصيرا كبيرا للديمقراطية لكنها الأفضل في باقة من الأنظمة السيئة وقال بأن الديمقراطية لا تتقوم بوظيفتها إن كانت هناك درجات قصوى في الثروة. يجب أن يتساوى الكل تقريبا ـ يجب أن يكون الكل من الطبقة الوسطى كما قال. كما دعا في الحقيقة إلى دولة الرفاهية الكبيرة جدا وقال يجب أن تستخدم الثروات العامة في كل مجتمع ديمقراطي بطرق أوجزها، مثل وجبات الطعام المشاعية لتضمن بأن الفقراء في حال جيد ولا وجود لفروق كبيرة وإلا سيكون من المستحيل الحصول على ديمقراطية تعمل بشكل صحيح ومناسب.

أو لنستمر قدما ونأخذ ادم سميث. لقد تم تظليل حجته للأسواق وهي ليست متطرفة كما يدعي الناس. لقد جادل بأنه تحت ظروف من الحرية التامة ستؤدي الأسواق إلى مساواة تامة. هذه هي حجته الأساسية. قد تكون الإيديولوجية هي الثغرة الأساسية الأولى في هذا عدا الحالات المرضية. لهذا بعد ريكاردو بدأنا في الحصول على المفهوم الذي يقول : لو كنت غنيا فذلك أفضل للفقراء . حين أصبحت

الإيديولوجية الرأسمالية مسيطرة تغلب المفهوم الذي يقول بأنك ستؤذي الفقراء إن ساعدتهم ثم جاءت فكرة أننا لا نملك حقوقا جوهرية وأساسية. كانت الثورة الثقافية الرأسمالية الكبيرة كما اعتقد, المبدأ الذي يرى بأن الكائنات البشرية ليس لها أية حقوق غير تلك التي تستطيع كسبها في سوق العمل. لهذا قال مالتوس وريكاردو إن لم تستطع العيش بما تكسبه في سوق العمل فاذهب إلى مكان آخر وأن أية محاولة تبذل لمساعدتك سوف تضرك على المدى الطويل بسبب تدخل واضطراب السوق. كانت تلك ثورة ثقافية حقيقية تعكس الظهور الاقتصادي للرأسمالية وعلاقات الملكية بالإنتاج التي ناضل الناس ضدها. كان الجيش البريطاني يقمع الشعب في عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر لأن الناس لم يقبلوا حقيقة أن الحق في الحياة ليس من حقوقهم ولا أراضي المشاع.

انظر إلى ما يسمى بالحرية في انكلترا في القرنين السابع عشر فقد كانت تعني حرية الملكية أي انتزاع الحقوق التقليدية من الناس مثل حقوقهم في أراضي المشاع. ولم يكن ذلك شيء قليل الأهمية. إن الحق في أراضي المشاع يعني الغابات وحقول العشب والمراعي وغيرها التي كانت حافظ على بقاء الناس أحياء وتعتبر ملكية مشاعية لكنها لكن هذه الأراضي أخذت من الناس بعد توطيد حقوق الملكية الشخصية والحرية التي أعطيت للملاكين. بعد ذلك أصبح للناس حرية صورية وأدى تجريد الشعب من الملكية إلى بتلرة الطبقة العاملة البريطانية رغم المقاومة الكبيرة لذاك المستمرة لهذا اليوم. اعتقد أن هذا شعور عميق ومفهوم نعرفه كلنا في جوهر كينونتنا, بأن هناك شيء خطأ فادح حين يملك شخص الوفرة الكثيرة وشخص آخر يموت

من الجوع وقد تم التعبير عن ذلك في التراث وأعمال الناس وفي الأدب.

سؤال: والآن انظر إلى احدث تقرير للنمو الإنساني عن مجموع أرقام ثروة أغنى مئتان وخمسين فرد في العالم

تشومسكي: لكن لاحظ بأنهم انتقدوا تلك الأوضاع ولم يواصلوا القول: أليس هذا رائعا؟ وإنما قولون بأن هذا خطأ. الحجج الوحيدة الداعمة هي القول بأن الكل يستفيد لأنها تقطر. حجج سخيفة لكنها ممتعة لأن إعطاء الحجج ضرورة. ولا يساويها في سخافتها سوى حجج الحرب الدفاعية. خذ احدث قصف تقوم به الولايات المتحدة ضد المعمل السوداني فقد اعتبر دفاعا عن النفس. كل شيء يجب أن يكون دفاعا عن النفس.

سؤال: لو أخذنا في الاعتبار الاحتمال الذي يرى بأننا كائنات بشرية لدينا غريزة للإبداع وغريزة أخلاقية ما الذي يجعل نظامنا التعليمي يقوم في إفساد وكبح هذه الغرائز من تطوير نفسها بشكل كامل.

تشومسكي: ينبغي على النظام التعليمي أن يربى ويشجع هذه المظاهر من الحياة الإنسانية ويسمح لها بالازدهار لكن ذلك له مشاكل بالطبع إذ يشجع على استجواب المؤسسات الضخمة. إن الصدق والاستقامة والإبداع وكل هذه الأشياء التي يجب أن تثمن عاليا تواجه بشكل مفاجئ ومثير التركيب التراتبي الاستبدادي لبنية النظام المؤسساتي الذي نعيش فيه لأن هذه البنية هي التي تنصب الإطار الأساسي الذي تحدث فيه الأشياء التي تناقض عمليا تطبيق القيم التي نتحدث عنها في الكنيسة صباح الأحد. لهذا يجب أن توضع تلك القيم جانبا وتقتصر على صلوات الأحد الصباحية ونتعامل بالباقي في الوقت

المتبقي . لهذا الأحد هو الوقت الذي تقول فيه نعم للحب والعطف والإحسان والمساواة وكل هذا الهراء عن روح الحياة لكنك في الستة أيام الأخرى من الأسبوع أنت تعمل مع مؤسسات لها سلطة وسيطرة وهيمنة وإغناء الذات وغيره ويجب عليك أن تجبر نفسك أو تعاني من عواقب اخطر لعدم قيامك بذلك.

والمدارس هي مثل على ذلك. لماذا لا تقوم المدارس بوظيفتها مائة بالمائة؟ بسبب التناقض لهذا تبدو المظاهر بأنها تعتمد على المعلم وهكذا لكن عموما هناك ميل قوي يشق طريقه على المدى الطويل وبالمعدل لكي يكون للمدارس نوع من التأثير المصفى. أنهم يعزلون استقلالية الفكر والإبداع وملكة الخيال ويعززون بدلا من ذلك الطاعة والخضوع واعتقد بأن كل واحد منا يعرف هذا من حياته الخاصة. فأنا مثلا كيف وصلت إلى كلية جامعية جيدة ؟ كنت دائما منتقدا شديدا ومنشقا لكنني وصلتها بالسكوت! مررت بالمرحلة الثانوية وكنت اعتقد بأنها مخبلة واستبدادية ومملة لكنني كنت مطيعا وهادئا ولم أكن مشكلة سلوكية ولم اقل لمعلم بأن ما يعلمه سخيفا وبذلك وصلت إلى كلية جيدة في الجامعة.

هناك أشخاص لا يقبلون ذلك ولا ينصاعون لكن يتم التخلص منهم فمنهم من يسوقوا سيارات الأجرة الآن, إنهم مشاكل سلوكية. الأثر البعيد لهذا هو مكافأة وتعزيز الخضوع ويبدأ ذلك من الروضة ويستمر في كل سيرتك المهنية. إن تحديت السلطة فستتورط في نوع آخر من المشاكل.

نعم هناك قوى مضادة تعمل لكن لسوء الحظ الأثر الرئيسي هو الانضباط. وهذه النقطة مذكورة في أعمال اورويل التي لم تقرأ. قرأ

الجميع مزرعة الحيوان. وهي نقد ساخر للنظام في الاتحاد السوفييتي لكن قليل من قرأ مقدمة مزرعة الحيوان واحد أسباب عدم قراءتها كونها لم تنشر. لقد سميت مقدمة مزرعة الحيوان (رقابة المطبوعات الأدبية في انكلترا) ولم تنشر لكنها وجدت بين أوراقه بعد سنوات.

مغزى المقدمة المقصود هو أن الكتاب(الرواية) حول هذا المجتمع الديكتاتوري الوحشي لكني أريد أن أتحدث عن انكلترا هذا المجتمع المتحرر وكيف تقمع الآراء فيها بكفاءة استثنائية. لم يدخل في عمق الأسباب وفي الحقيقة كتب جملتين عن الأسباب. الأولى أن الصحافة يملكها الرجال الأثرياء الذين لديهم كل المبررات لرفضهم السماح بالتعبير عن بعض الأفكار المعينة. والثانية ـ السبب الأخر هو انك تمر بتعليم جيد –اكسفورد او كامبريدج ـ إن غرسته في نفسك وقبلت بوجود بعض الأشياء التي لن تقول رأيك فيها. وفي الحقيقة هي أعمق من ذلك : لن تفكر فيها. وتصبح مدركا بأن الناس الذين تعتقد بأنهم يفعلون هذه الأشياء ـ نتجاوز الآن اورويل ـ ويقولن رأيهم فيها يميلون إلى إحداث رد فعل سلبي فإما يتم التخلص منهم برميهم خارج النظام أو يتم تهميشهم أو معاقبتهم بطريقة ما. والأثر البعيد المدى هو أن ذلك النجاح مشروط إلى حد ما بالخضوع إلى مؤسسات السلطة وذلك النوع من العلاقات الاجتماعية ـ تعلم ما يجب أن لا تقوله لأن دور ذلك مهم في تعليمك.

سؤال: لقد قرأت ثانية فصل من كتابك *قارئ تشومسكي* بعنوان(علم النفس والايدولوجيا) الذي تنتقد فيه سكينر وترى بأن مبدأ السلوكية أصبح اقل تأثيرا في العصر الحالي لقد كتبت ذلك منذ عقدين أو ثلاثة...لكن أتساءل ما الذي حدث برأيك منذ زمن انتشار

نظرية التطويع البشري بالمعنى الواسع حتى الآن؟

تشومسكي: حسنا، السلوكية كانت مقبولة جدا وسط طبقات الإداريين لأسباب ليست مفاجئة. فهي أعطتهم أولا الحقا الأخلاقي للتحكم بالناس والسيطرة عليهم. إن لم يكن للناس طبيعة فليس هناك عوائق أخلاقية تمنع السيطرة عليهم أو استغلالهم ـ لمصلحتهم الخاصة طبعا. لكننا (نحن) المسيطرون محصنون ضد قابلية الطاعة غير المحدودة بطريقة ما. (نحن) نملك طبيعة و(نحن) نفهم ما هو مفيد، ذلك نوع يشبه المقدمة المخفية. لكن بخصوص السذج فهم مجرد أشياء كسولة ونحن نستطيع التحكم بهم وإدارتهم وتنظيمهم باستخدام احدث التقنيات السلوكية وسيكون حالهم أفضل لو قمنا بذلك.

إن هذه النزعة الفكرية تجري في عروق كل المثقفين والثقافة الإدارية من رجال الكهنوت مرورا بالمفوضين اللينيين إلى المنظرين الليبراليين المعاصرين كما أعطت السلوكية التبرير الثقافي التام لذلك ولمن غير المهم إن كانت المؤسسات الثقافية سخيفة فطالما تقوم بوظيفتها هي حية التي يحتاجها قسم من المجتمع ولا يزال يصدقها أكثر من أي وقت مضى في الواقع.

لذلك بدلا من التحدث عن الأكاديميات دعنا نذهب إلى المؤسسات الكبيرة مثل صناعة العلاقات العامة. تجاوزنا الآن عدة مراتب ذات سلطات وأهمية اكبر. لقد أسست منذ البداية على نفس الفكرة فكرة ضرورة التحكم بالعقل العام. في الواقع، كانت صناعة العلاقات العامة الحديثة في أشكال كثيرة ثمرة لزيادة الديمقراطية ـ بشكل مقصود. لقد قرأت الكتيبات، التي تحدثت عنها، في عشرينات القرن العشرين فمع توسع امتياز الشركات مع بداية دخول العمال وآخرون

غيرهم الملعب العام لم يظل التأكد بأن الأثرياء والقادرين والمتورين. أي نحن القوم الأخيار بأننا ندير كل شيء لذلك بات من الضروري استخدام تقنيات الدعاية التي برزت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة بشكل كبير جدا بسبب النجاح الهائل للدعاية الانكلوامركية أثناء الحرب وكان لها تأثير هائل على رأي الناس.

لهذا في انكلترا مثلا أدرك حزب المحافظين الانكليزي بأن هيمنته التقليدية على السياسية الانكليزية قد هدده توسع حق الاقتراع. لذلك استنتجوا ضرورة التحول إلى تقنيات الدعاية مقتربين من تجربة زمن الحرب حين شرعت وزارة الإعلام البريطانية في السيطرة على الفكر في العالم –خصوصا فكرة دخول الولايات المتحدة وإنقاذها لهم من هذه الفوضى. نظم حزب المحافظين نفسه حول موضوع الدعاية ليهزم خطر الديمقراطية. وحدث هنا شيء مماثل لكنه تجلى بنشوء العلاقات العامة التي أصبحت صناعة ضخمة مكرسة (للسيطرة على الفكر العام). يجب على الأقلية المثقفة أن (تخضع كل جزء صغير من العقل العام للنظام بقدر ما يخضع الجيش جماعات جنوده لذلك.)

أنا اقتبس كتيب كتبه مثقف ليبرالي جيد من مثقفي نيوديل(المعاملة الجديدة) وكان هذا طبيعة ثانية بالنسبة له ـ طبعا يجب تطويع العقل العام. لقد خرج من وزارة الدعاية في زمن الحرب في عهد ويدرو ويلسون التي حققت نجاحا باهرا. يجب أن تتذكر بأن الناس كانوا مسالمين هنا أثناء الحرب العالمية الأولى وكان العرف: لا تتورطوا في الأعمال الأوروبية الدامية الخرقاء وذلك ليس من شأننا نحن العالم الجديد. وبطريقة ما انتخب ودرو ويلسون عام ١٩١٦ تحت شعار (السلام بدون انتصار) وكان عليه أن يغير سكان البلاد كلها ليصبحوا

متعصبين تأكلهم النزعة القومية المتطرفة ويكرهون كل ما هو ألماني. وفعل وإدارته ذلك بنجاح استثنائي. لهذا ذهلوا بانجازهم. تأثر حزب المحافظين البريطاني وتأثر العالم التجاري كثيرا (بعدها جاء النمو الهائل لصناعة الدعاية). وتأثر شخص آخر وبالصدفة كان هتلر. كتب في كتابه كفاحي بأن ألمانيا خسرت الحرب بسبب الدعاية وفي المرة القادمة سوف نمتلكها أيضا.

دعمت تلك التجربة فكرة التحكم بالناس. لم يقرؤوا واتسون أو سكينر. يمكنك السيطرة على الناس ويجب عليك أن تسيطر عليهم لمصلحتك الذاتية طبعا, ودائما لمصلحتهم الذاتية. يمكنك قراءة ذلك في موسوعة العلوم الاجتماعية لهارولد لاسويل الذي يقول في مقالة عن الدعاية, أننا يجب أن لا نخضع (للآراء الديمقراطية بأن الناس هم أفضل حكام على مصالحهم الخاصة.) فهم ليسوا كذلك, إنهم (أغبياء جدا),و(جهلة) جدا. نحن أفضل حكام على مصالحهم. لكن رغم حقهم الرسمي في الاقتراع يجب أن نتأكد بأنهم لا يستغلونه بطريقة غير عاقلة. نقوم بذلك من خلال التحكم بالعقل العام بواسطة الدعاية. كان هذا قبل الحرب العالمية الثانية. بعد الحرب العالمية الثانية اخذ مصطلح (دعاية) دلالات سيئة ولم يرغب الناس في استخدام الكلمة بعد. لكن كان ذلك قبل الحرب العالمية الثانية لهذا كان من المسموح استعمالها.

واستمر ذلك. ارتعب عالم التجارة والأعمال, خصوصا في الولايات المتحدة وفي العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية من فكرة أن أكثر العالم والعالم الصناعي كانت تكتسحه الأفكار الديمقراطية – من استيلاء على المصانع وكل أنواع النشاطات التي شملت الولايات المتحدة

عرضيا وارتعدت فرائص العالم التجاري. يمكنك قراءة كتيباتهم وإعلاناتهم التي قالوا فيها لم يبقى لدينا سوى سنوات قليلة نحاول فيها أن نعكس هذا المد ويجب أن نخوض(المعركة النهائية من اجل عقول البشر) و(نلقن المواطنين الحكاية الرأسمالية) حتى(يكونوا قادرين على تكرار القصة بدقة وإخلاص غير عاديين.) وشنت حملات غطت كل شيء يمكنك تخيله. وكان في المصانع كثير من المستمعين المفتونين لهذا طبقوا ما سموه بمحاضرات اقتصادية حول مبادئ (المشروع التجاري الحر) ومحاضرات الأمركة التي بثت في محطات الإذاعة والتلفزيون. استهدفوا الكنائس والمدارس وحتى الاتحادات الرياضية. كانت هناك حملة ضخمة منسقة ذات أغراض كثيرة. فقد شيطنت النقابات وغرست فكرة أن الحكومة لا تستطيع فعل أي شيء لك ـ إنها ليست حكومتك على أي حال فهي شيء خارجي يأخذ مالك. الحكومة ليست أي شيء تملكه وما تقوم به يضرك فهي تسرق أموالك وتفرض عليك الضرائب وغير ذلك والنوع الوحيد الحقيقي من الحرية هو الحرية التي تعمل في اقتصاد السوق. يجب أن تكون مستهلكا ولا تقلق حول أي شيء آخر ماعدا اللهو والتسلية والرياضة الخ.

صممت هذه الحملات الخجولة لضبط الناس والتأكد من تعطيل الآلية الديمقراطية الشكلية. في بلدان العالم الثالث يمكنك أن تقوم بنفس الشيء ببساطة اكبر: ازرع ديكتاتورية عسكرية وأرسل فرق الموت. في المجتمعات التي نال فيها الشعب درجة من التحرر من قسر الدولة يجب التحول إلى تقنيات الدعاية والسيطرة على الفكر طبعا بناء على الافتراض بأن الشعب ليس قابلا للتطويع فقط بل يكون في حال

أفضل إن تقولب. هناك تشابه كبير بين اللينينية والعقيدة الليبرالية الغربية في هذا الخصوص فهما متطابقان تقريبا. أقارن أحيانا فقرات واضعها جنبا إلى جنب ولو بدلت أسماء قليلة فيها لزالت كل الفروق. اعتقد أن ذلك يساعد على فهم جاذبية المذهب السلوكي فهو يعطي أساسا أخلاقيا لكل هذا.

سؤال: ألهذا السبب هي تعيش خارج نطاق العالم الأكاديمي وخارج نطاق العلم؟

تشومسكي: بما أن طلب المثقف معرفة الوضع الحقيقي للناس إذا يصعب أخذه على محمل الجد في العلوم بعد الآن.

سؤال: مع استفحال الأزمة الاقتصادية وتعمقها أكثر فأكثر منذ الصيف الماضي، قال كثير من اقتصاديي التيار السائد أخيرا بأننا على وشك أن نشاهد تكرارا للكساد الكبير. حتى كلينتون وبلير يتحدثان عن ضرورة تنظيم الأسواق وضبطها في خطبهما وطرحت بزن سويك القضية وتميل إلى السيطرة على الرأسمال. ماذا يحدث وماذا يخبرنا هذا عن العقد الماضي، عقد الانتصار الرأسمالي؟

تشومسكي: كان الانتصار تعبيرا عن حقيقة أن شريحة صغيرة من السكان اغتنت. لكن ألازمة وصلت الآن إلى درجة أصابت الأغنياء ولهذا السبب هي أزمة. في الحقيقة الأزمة مستمرة منذ خمس وعشرين عاما. كانت هناك فترة بعد الحرب العالمية الثانية كانت تدعى أحيانا بالعصر الذهبي للرأسمالية حدثت فيه مستويات من النمو غير مسبوقة في كل العالم الصناعي تقريبا ورافق ذلك نمو في العقد الاجتماعي وإصلاحات في أماكن العمل بالإضافة إلى نمو في الإنتاجية والاقتصاد واستمر ذلك حتى أواخر الستينات تقريبا.

منذ أوائل السبعينات دخل العالم الصناعي في مرحلة انكماش طويلة. ومنذ بداية السبعينات انخفضت معدلات النمو في الاقتصاد والإنتاجية وركدت أجور ودخول غالبية السكان بشكل أساسي وانخفضت أرباح الشركات, لكنها في التسعينات - وهو عقد انتصار الرأسمالية عادت للارتفاع بشكل كبير جدا. اقرأ صحافة التجارة والأعمال في الولايات المتحدة لتجد : (مبهر),(مذهل) لقد نفذت منهم الصفات منذ زمن بعيد. ذلك هو انتصار الرأسمالية. لقد أدى هذا الانحسار إلى زيادة ثروة شريحة صغيرة من الناس من خلال إعادة التوزيع في الأعلى. لهذا السبب ازدادت اللامساواة.

خذ مثلا, التحسن في الولايات المتحدة, فقد أحدث مرحلة من دورة التجارة في الولايات المتحدة من عام ١٩٩١ حتى الآن لكنه في الواقع أبطأ تحسن بعد الحرب. وهو المرة الأولى في التاريخ الأمريكي التي تحذف فيها غالبية السكان. تراجعت الأجور والدخول إلى مستوياتها في عام ١٩٨٩, ناهيك عن مستواها في السبعينات ولم يزدهر إلا قطاع سوق الأسهم. حين تقرأ القصص عن الاقتصاد (الرائع) وعن كون الأمريكيين(معتدين بأنفسهم وناجحين) طبعا قبل شهر آب فالمثال الذي يقدمونه واحد فقط : سوق الأسهم. لكن ٥٠٪ من الأسهم بيد ١٪ من السكان وأكثر الباقي بيد ١٠٪ من الذين في القمة لهذا ٩٠٪ من الأسهم بيد ١٠٪من السكان. ولو دققت عن قرب ستجد أن ١٪ من السكان يملكون ٤٠٪ من الأسهم. وبالنسبة لهذا القطاع الاقتصاد رائع. لكن ثلثي السكان و٧٠٪ من الطبقة العاملة, جمدت أجورهم أو انحدرت وساءت ظروف العمل وزادت ساعاته وأصبح من الضروري أن يعمل الزوج والزوجة للحصول على الكفاف. لقد كان هناك تباطؤ

طويل في العالم الصناعي كله الذي أصاب بلدان العالم الثالث بطرق أقسى بكثير.

لا يمكن أن تحدد تاريخا دقيقا لحدوث ذلك انه منذ بدايات السبعينات. وهناك حدث واحد حاسم وقع في أوائل السبعينات وهو تفكيك نظام بريتون ودز. نظام بريتون ودز نظام اقتصاد ما بعد الحرب ـ بني على محاولة تحرير التجارة من العوائق (اعتبرت حرية التجارة شيء يستحق العمل من اجله) لكن بالترافق مع تنظيم وضبط التمويل في نفس الوقت أيضا. لهذا لم يكن نظام بريتون ودز مجرد نظام تحرير فقط ـ وإنما دعا إلى تحرير التجارة وتنظيم التمويل وتثبيت معدلات الصرف. كانت السيطرة على رؤوس الأموال مسموح بها وكان هناك شيء يشبه المعيار الذهبي، معيار بواسطة الدولار المرتبط بالذهب. كان على قوانين صندوق النقد الدولي أن تحافظ على استقرار معدلات الصرف وتخفض هروب رؤوس الأموال. مثلا قوانين صندوق النقد الدولي تمنع إعطاء ائتمان لتغطية هروب رؤوس الأموال. القوانين لم يقبل بها أو تنفذ حتى الآن لكنها موجودة.

جرى تفكيك هذا النظام منذ السبعينات. أخذت الولايات المتحدة الخطوة الأولى في ايقافه، تبعتها بريطانية أيضا ثم القوى المالية الأخرى بالتدريج واجبرت بقية دول العالم على القيام بالمثل. بعض الدول امتنعت مثل كوريا الجنوبية واحتفظت بنظام السيطرة خلال الثمانينات لكنها أجبرت بعد ها بشكل أو آخر على الاستسلام. كان ذلك شرط للدخول في او أي سي دي. مارست الولايات المتحدة ضغطا هائلا عليها لكي ترفع قيمة عملتها وتأخذ كميات اكبر من الواردات الأمريكية وتلغي ضبط أسواقها وهكذا. تلا ذلك فشل الأسواق الهائل أو ما يعرف الآن

على نطاق واسع بالأزمة الأسيوية.

أولا تحدث النقاد عن الرأسمالية الصديقة وهذا النوع من اللغو، كتعليل -اقصد بأنها هناك طبعا وهي هنا أيضا وفي كل مكان، وكانت موجودة أثناء فترة النمو أيضا. لكن الفترة الأخيرة من الانحدار شهدت فشلا نموذجيا للأسواق المالية وتدفق هائل لرؤوس الأموال و اقتراض هائل واقتراض خاص وإقراض خاصة وتدفق غير عادي بسلوك قطيعي ثم سحبها كلها بطريقة غير عاقلة قطيعية أخرى. وهذا مألوف وقد حذر كينز منه منذ ستين عاما حين اثبت انه ينبغي أن يتم ضبط التمويل بإحكام والتحكم به، لأنه نوع داخلي. داخلي بالنسبة للولايات المتحدة، تريد البنوك أن تبقى تحت السيطرة وإلا سينفجر كل شيء.

لكن أثناء هذا العمل الطائش لأغنياء الليبراليين الجدد بتفكيك نظام بريتون ودز، واستيلاءهم على الكرة وكان ذلك مكسب عظيم لكبار الأغنياء بينما عانت غالبية السكان. لقد نشروا هذه الشروط إلى ابعد حد داعمين هذا النوع من الانتصار. والآن الأزمة تضرب الوطن وتضربهم أيضا لذلك سميت بالأزمة.

لاحظ بأنه لا يوجد أي شيء عن التطاير (التقلب) ـ منذ أوائل السبعينات، أصبحت الأسواق أكثر تطايرا على عكس تنبؤات كثير من الاقتصاديين المشهورين. ميلتون فريدمان تنبأ واثقا بأن معدلات الصرف الحرة وترك الأسواق سوف تتحكم بالأمور وسيستقر كل شيء ويتوازن. لكن الأمور جرت بعكس ذلك تماما. مع تقليل القيود على الرأسمال وكيفية انتقال رؤوس الأموال أصبحت الأسواق أكثر تطايرا جراء التقلبات الحادة. اصدر صندوق النقد الدولي مؤخرا تقريرا يقول فيه أن حوالي ٢٠٪ من أعضاءه المئة والثمانين عانوا من أزمات

مالية قاسية وحوالي ٦٠٪ منهم عانوا من أزمات خطيرة في الفترة الواقعة بين عام ١٩٨٠وعام ١٩٩٥. هذه هي الطريقة التي تعمل بها الأسواق المالية. لا توجد نظرية للأسواق المالية بل مجرد علم نفس هواة تقريبا. حين تقرأ اقتصاديين مثل آلان غرينزيان وغيره ـ وهم يتحدثون عن السياسة الاقتصادية وأنها ستخلق الثقة وستحسن أحوال الناس أو شيء من هذا القبيل. ويمكنك تصنيفه في صيغ إن شئت لكنه يبقى نوع من علم نفس هواة ينقصه البراعة وليس تطبيق لنظرية حقيقية.

من المعروف وصفيا أن السلوك غير العقلاني جدا, حتى من وجهة نظر مبدأ السوق, يحدث طول الوقت. لهذا في السوق العاقلة من المفترض أن يبحث المستثمرون عن أساسيات اقتصادية, من المفترض أن يقدروا مقدرة التصنيع الصلب والتقشف المالي وكل هذه الأشياء. ليس المفروض بهم أن يقوموا بما يسمى بالتجارة التقنية, البحث عن نماذج قصيرة الأمد وترى إن كان بإمكانك تحقيق ربح صغير بلعب تلك اللعبة وغيرها على مدى أسابيع أو أيام أو حتى ساعات. لكنهم قاموا بالخيار الأخير. حوالي ٨٠٪ من رأسمال التبادل الأجنبي كانت دورته اقل من أسبوع واحد وأكثره ليوم واحد أو اقل. لكن من هم هؤلاء؟ إنهم فتيان أذكياء, يحمل كثير منهم شهادات الدكتوراة في الرياضيات ويعملون لشركات وول ستريت بتقنيات متطورة لاستقراء التغيرات الصغيرة في تذبذب العملات وغيره وبهذا يمكنك جمع كثير من المال بسرعة.

وأخيرا ضربت هذه الأزمة الحقيقة الوطن حين انهار احد السياجات المالية الكبيرة, الذي يفترض بأن لا يحدث لكن تلك هي اللعبة التي يلعبونها التي لا تكتفي بعدم مساهمتها المفيدة في الاقتصاد بل تضره.

سؤال: والآن دافعو الضرائب يدفعون الفاتورة.

تشومسكي: بطريقة ما على الشعب أن يكفلهم هذا هو اسم اللعبة. تقصد الرأسمالية بالقول نحن لم نجازف وإنما الشعب هو الذي جازف ونحن نأخذ الأرباح. يجب أشركة المجازفة والكلفة وخصخصة الأرباح بقدر المستطاع. هذه هو المبدأ الرئيسي. لكن أصبح الأمر خطير جدا الآن حتى أن المؤسسات الكبيرة باتت قلقة.

لهذا يتحدثون الآن عن جي سفن(الدول السبع الكبرى) ووزراء المالية وبزنس ويك وغيرهم ويقول النقاد إذا لم يكن هناك بعض التنظيم والضبط الدقيق للتدفق المالي وبعض العقوبات بسبب المضاربات القصيرة الأجل سوف تكون هناك مشاكل خطيرة. وفي الوقع حصلت مشاكل خطيرة تجلت في حوادث إفلاس متتالية. وأصبحوا يتحدثون الآن عن أشياء ظلت محرمة بالنسبة لهم مثل ضريبة توبين.

اقترحت ضريبة توبين قبل عشرين عاما اقتصادي حاز على جائزة نوبل حين قال إذا لم يتم فعل شيء لرمي الرمل في تروس تدفق رؤوس أموال المضاربات قصيرة الآجل فإنها سوف تسبب ضررا فادحا بالاقتصاد العالمي كله. لم يرغب احد بسماع ذلك لأنه كان تحديا للأرثوذوكسية التي ترى بأن السوق رائعة وكنت أرثوذوكسية لأنها تفيد الأغنياء وليس لأنها تحمل بعض المنطق. القصة المعتادة. هناك دراسة رئيسية عن ضريبة توبين قامت بها مجموعة من الاقتصاديين المعروفين منذ خمس سنوات كما اعتقد ورغب برنامج الأمم المتحدة للتمية في نشرها وتوزيعها لكن يبدو بأنهم وضعوا تحت ضغط إدارة كلينتون بأن لا يفعلوا ذلك لهذا لم يكن الكتاب معروفا إلا للاقتصاديين التقنيين. ليس كل فكر المؤلفين جيدا. ويشمل ذلك أشخاصا مثل الاقتصادي الأول في صندوق النقد الدولي الذي لم يحب

الكتاب. لكنه كان نقاش جدي لإمكانيتها ومثل هذه النموذج من النقاش يجب أن لا يكون على الأجندة. في جرائد العصر الحاضر، يتحدثون عنها. ما هو الاختلاف؟ حسنا، الأغنياء الآن هم في ورطة. لهذا هي أزمة طارئة - أزمة على الأثرياء وأصحاب النفوذ حتى الآن لكنها أزمة الجميع في الواقع.

سؤال: بسبب خطر فقدان السيطرة تماما على الاقتصاد العالمي الآن وباعتبار أن المرة الأخيرة لانفلاته في ثلاثينات القرن العشرين تطلب الأمر حربا عالمية للتغلب على الكساد إلى أي حد يجب أن يكون قلقنا من حرب متوقعة برأيك؟

تشومسكي: مشهد الحرب اقل بكثير لكن لأسباب أخرى. إن أوروبا هي اعنف قسم في العالم على الأقل في التاريخ الحديث. احد الأسباب التي هزمت فيها أوروبا العالم هو خلقها لثقافة الحرب التي أسست على مذابح ومجازر متبادلة - ثقافة الحرب وتكنولوجيا الحرب معا. لكن ذلك انتهى في عام ١٩٤٥ولسبب بسيط جدا، ففي المرة القادمة التي سنلعب فيها هذا اللعبة سنموت كلنا. تقنية الدمار وصلت إلى درجة أصبحت فيها الحرب ليست خيارا للدول الغنية والقوية. إن جربتها مرة أخرى فستكون النهاية. الآن قد يكون احد ما غير عقلاني ويفعلها لكن ضمن شيء من العقلانية تستطيع فيه التنبؤ بعدم نشوب حرب بين البلدان القوية. وهذا مفهوم.

مثلا في منتصف حرب الخليج تماما، سرب شخص ما من البنتاغون وثيقة مهمة إلى الصحافة - التي طمرتها - حين تأتي أي إدارة جديدة، تعطيها وكالة الاستخبارات المركزية ووكالة الاستخبارات التابعة لوزارة الدفاع نوعا من التقييم للعالم، تحليل استراتيجي للعالم. شخص

سرب جزء من تحليل إستراتيجية إدارة بوش (يجب أن يكون هذا في بداية ١٩٨٩) التي يتناول قسما منها الحرب. هذا هو ما قالته تقريبا: قالت في حالة الصراع مع (الأعداء الضعفاء جدا) يعني: النوع الوحيد من الصراع الذي سوف ندخله، يجب هزمهم (بشكل حاسم وسريع) لأن أي شيء آخر سوف (يقلل التأييد السياسي). لهذا لم يعد هناك قصف مثل ما حدث في فيتنام الجنوبية واستمر خمسة عشر عاما وبالتأكيد لن ندخل في حرب مع أي قوة رئيسية.

كان ذلك جيدا قبل حرب الخليج. في الحقيقة في الوقت الذي كان فيه صدام حسين صديق كبير لهذا لم يظن احد بأنه كان المستهدف ـ لكن هذا ما يمكن القيام به. يمكن غزو باناما وخطف نورييغا والخروج منها بعد أسبوعين وقصف ليبيا وقصف العراق عن بعد وبسرعة كبيرة دون التورط في قتال يدوم أكثر من أيام قليلة. ذلك النوع من الأشياء التي يمكن فعلها مع عدو ضعيف جدا وبشكل سريع وحاسم فقط. لذلك طالما أنك في نطاق العقلانية فإن فرصة التورط في حرب مع قوى رئيسية ضعيفة جدا كما اعتقد كما أن القتال ضد عدو اضعف لم يعد بهذه البساطة.

لكن نعود إلى نقطتك الأخرى، الحرب لم تهزم الكساد بقدر ما هزمتها الاقتصادات شبه المنقادة. بدأ الاقتصاد البريطاني في الارتفاع بعد ثلاثينات القرن العشرين حين قلص تحرره وأصبح شبه منقاد. الولايات المتحدة لم تكن في حرب ولم يكن قتال هنا. لكن اقتصاد الحرب لم يهزم الكساد فقط بل ضاعف الإنتاج الصناعي ثلاث مرات. لكن ذلك كان اقتصاد شبه منقاد وكان ينظم بدقة عالية من واشنطن وتديره هيئات إدارية مشتركة مع ضبط للأجور والأسعار

وسياسة اقتصادية تحدد ما يجب إنتاجه. وكان لذلك قوة سحرية مثلما نجح في انكلترا ـ في الحقيقة انكلترا تفوقت بإنتاجها على ألمانيا واقتربت من الولايات المتحدة.

لهذا هزمت تعبئة الاقتصاد الكساد. كانت الحرب قائمة وكان ذلك تبرير لها. لكن الحرب لم تكن هي التي قهرت الكساد بحد ذاتها. كان ذلك مفهوما جيدا.كان إجماع الاقتصاديين الأمريكيين ورجال الأعمال وغيرهم في منتصف الأربعينات يرى بأن تراجع الاقتصاد الحكومي المنظم ,بعد الحرب, سيعيدهم مباشرة إلى الكساد بسبب إخفاقات السوق. لهذا كان هناك نقاش ممتع في أواخر الأربعينات وصريحا تماما في الصحافة التجارية واقتبست قسما منه في ذلك الوقت. كان هناك اعتراف بأننا يجب أن نعمل شيء لندفع الحكومة بأن تحفز الاقتصاد مرة أخرى وإلا سنعود إلى الكساد.

كان مفهوما ـ ليس عليك أن تقرأ كينز لتكتشف ذلك ـ أي يمكنك أن تحفز الاقتصاد في بطرق مختلفة كثيرة. يمكنك تحفيزه بالإنفاق الاجتماعي أو بالإنفاق العسكري. كان هناك نقاشا معقولا تماما في بيزنس ويك. وكانت النتيجة: الإنفاق الاجتماعي ليس فكرة جيدة والإنفاق العسكري ليس فكرة عظيمة. السبب أن الإنفاق الاجتماعي له جانب سلبي. نعم يمكنه أن يحرك الاقتصاد ويقويه لكن له تأثير على عملية التحول الديمقراطي أيضا لأن الناس مهتمون في الإنفاق الاجتماعي ويريدون أن يعرفوا أين ستبني مستشفى أو طريق مثلا وسيتدخلون في ذلك. لكن لا رأي لهم بنوع الطائرة النفاثة التي ستصنع. كما أن الإنفاق الاجتماعي سيعطي الناس ضمانا أكثر وظروفا أفضل ووسائل اتصال أكثر وقدرة اكبر لمقاومة تهديدات

البطالة. انه يجعل الناس والعمال أكثر قوة أي الحصول على أجور أفضل وظروف أفضل.

لهذا للإنفاق الاجتماعي تأثير في عملية التحول الديمقراطي، فله تأثير في إعادة توزيع الثروة وهو ليس هبة مباشرة للشركات. الإنفاق العسكري ليس له أي من هذه العيوب؛ فليس له تأثير على عملية التحول الديمقراطي بل على العكس، الناس مرعوبين ويلجئون إلى الاحتماء تحت مظلة السلطة. فهو يساعد الشركات لكنه لا يحسن مباشرة حصة العمال كما انه يميل إلى تعزيز انضباط أماكن العمل. لهذا هو هبة مباشرة للشركات ويعيد التوزيع في الأعلى فقط ومن السهل البيع إن أرعبت الشعب. لهذا ظهر برنامج السياسة الصناعية المؤسسة على البنتاغون التي تعاني من انبعاج قليل الآن بسبب الحرية الزائدة لحركة رؤوس الأموال التي يجب أن تصحح وهكذا هي في مصلحة الأغنياء مرة اهرى كما خطط لذلك.

قائمة المطلوبين الارهابيين العالميين الاولى

نعوم تشومسكي

توم ديسباتش ٢٦ شباط ٢٠٠٨

في ١٣ شباط اغتيل القائد الكبير في حزب الله عماد مغنية في دمشق.(سيكون العالم مكانا افضل من دون هذا الرجل) قال الناطق بلسان الخرجية شون مكورماك (بطريقة او اخرى لقد نال جزاءه.) واضاف مدير المخابرات القومية مايك مكونيل ان مغنية كان (اكثرارهابي مسؤول عن موت امريكيين واسرائيليين بعد ابن لادن.

عم الابتهاج في اسرائيل ايضا لأن (واحد من اشد المطلوبين من قبل الولايات المتحدة واسرائيل قد نال عقابه) ونقلت فايننشال تايمز اللندنية تحت عنوان (المحارب المطلوب في كل العالم) ونقلت خبرا آخرا انه قد (حل محله في قائمة أكثر المطلوبين أسامة بن لادن بعد ٩/١١ لهذا اصبح ترتيبه الثاني وسط اكثر المحاربين المطلوبين في العالم).

المصطلح دقيق بشكل كافي حسب قواعد الخطاب الانغلوامريكي الذي يعرف (العالم) كما تعرفه الطبقة السياسية في واشنطن ولندن واي اخر يتفق معهما في قضايا محددة.) من الشائع مثلا ان نقرأ ان (العالم) بأجمعه ايد جورج بوش عندما امر بقصف افغانستان. قد يكون ذلك صحيحا في (العالم) لكن فقط العالم

كما يكشفه استطلاعات غالوب بعد اعلان القصف. كان التأييد العالمي قليل جدا في امريكا اللاتينية التي لها تجارب بسلوك الولايات المتحدة فقد تدرج من ٢٪ في المكسيك الى ١٦٪ في بناما وكان التأييد مشروط على المتهمين المعروفين (الذين ظلوا غير معرفين بعد ثمانية اشهر من بدء القصف, حسب تقرير الاستخبارات الفيدرالية) وتحاشي الاهداف المدنية (التي هوجمت منذا البداية).كان هناك تفضيل ساحق في العالم للاجراءات الدبلوماسية والقضائية التي رفضها (العالم) فورا ودون التفكير فيها واتبع طريق الارهاب.

في القضية الحالية,لو شمل (العالم) العالم,لوجدنا بعض المرشحين الاخرين لشرف المجرم الرئيسي الاكثر كرها.من المنور ان نسأل لماذا قد يكون هذا صحيحا. نقلت فايننشال تايمز ان اغلب التهم ضد مغنية غير مثبتة لكن (مرة واحدة من المرات القليلة جدا عندما تورطه يمكن ان يؤكد باليقين في خطف طائرة ت دبليو ا في عام ١٩٨٥ التي قتل فيها سائق من البحرية الامريكية. هذه واحدة من الفعلين الوحشيين التي ادت الى استطلاع راي لمحرري الجرائد لاختيار الارهاب في الشرق الاوسط كخبر اول عام ١٩٨٥ ؛ولاخر كان خطف سفينة الركاب اكيل لورو التي قتل فيها المعاق الامريكي ليون كلينغهوفر بوحشية. ذلك يعكس حكمة(العالم).يمكن ان العالم رأى المسائل بطريقة مختلفة. كان خطف السفينة اكيلي لارو ردا على قصف تونس الذي امر به رئيس الوزراء لاسرائيلي شيمون بيريز قبل اسبوع .قتلت قواته الجوية خمس وسبعين تونسيا وفلسطينيا بقصف شديد مزقهم الى قطع صغيرة من بين الاعمال الوحشية الاخرى, التي

نقلت بحيوية من المشهد بواسطة الصحفي الاسرائيلي البارز عامون كابليوك. تعاونت واشنطن بفشلها في تحذير حليفتها تونس بأن القاذفات في الطريق، رغم ان مخابرات الاسطول السادس لايمكن ان تكون جاهلة بالهجوم الوشيك. اخبر وزير الخارجية جورج شولتز وزير خارجية اسرائيل اسحاق شامير ان (واشنطن تتعاطق جدا مع العمل العسكري الاسرائيلي،) الذي وصفه (رد مشروع) على (هجمات ارهابية) على الإستحسان العام. بعد ايام قليلة شجب مجلس الامن الدولي بالاجماع القصف واعتبره(اعتداء مسلح) مع امتناع الولايات المتحدة عن التصويت.(العدوان) انه جريمة اكبر بكثير من الارهاب الدولي. لكن دعنا نكتفي بالتهم البسيطة ضد قيادتهم.

بعد بضعة ايام ذهب بيريز الى واشنطن ليستشير قائد الارهاب الدولي في العصر الحالي، رونالد ريغان الذي شجب (الوباء الخبيث الارهاب)مرة اخرى مع الموافقة العامة من قبل (العالم).

الهجمات الارهابية التي قدماها شولتز وبيريز ذريعة لقصف تونس كانت قتل ثلاثة اسرائيليين في لارناكا في قبرص. القتلة لا علاقة لهم بتونس كما سلمت اسرائيل لكن قد يكون لهم ارتباطات بالسوريين. لكن كانت تونس الهدف المفضل. كانت بلا دفاعات بخلاف دمشق وكان هناك متعة اضافية؛ يمكن قتل المزيد من الفلسطينيين المنفيين هناك.

حادثة القتا في لارناكا بدورها اعتبرت ردامن قبل مرتكبيها : كانت ردا على عمليات الخطف الاسرائيلية المتكررة في المياه الدولية التي راح جراءها ضحايا كثر واكثر خطفوا وارسلوا الى السجون

الاسـرائيلية واعتقلـوا فيهـا مـددا طويلـة دون تهـم. واسـوأ هـذه سمعـة السجن السـري/ ادوات غـرفة التعذيب ١٣٩١ .ويمكـن معـرفة الكـثير عنها من الصحافة الاسـرائيلية والاجنبية. مثل هذه الجرائم الاسـرائيلية معروفة طبعا من قبل محرري الصحافة القومية في الولايات المتحدة لكن لا يرد ذكرها الا في المناسبات.

قتل كلينغهوفر نظر اليه برعب وكان مشهورا. وكـان موضـوع اوبرا مستحسنة وفيلم تلفزيوني بالاضافة الى تعليق صاعق يستنكر وحشية الفلسطينيين (الوحـوش ذوو الرأسـين) [رئيس الـوزراء مناحيم بيغن]، (صراصير مخدرة تلف بسـرعة داخل قارورة) [رئيس الاركـان رافول ايتان]، (مثل الجراد مقارنة بنا)، (الذين يجب ان تسحق رؤوسهم على الجلاميد والجدران)[رئيس الـوزراء اسحاق شـامير). والاكـثر شيوعيا(عربوشيم) وهي المرداف ل(كيكي او نيغر).

وهكـذا،بعـد عـرض فاسـق لارهـاب الاسـتيطاني العسـكري والاذلال المتعمد في بلدة حالول في الضفة الغربية في كانون الاول ١٩٨٢ الذي اصاب بالغثيان حتى الصقور الاسـرائيلية وكتب المحلل العسكري والسياسي المشهور يورام بيري في رعب ان (المهمة الوحيدة للجيش اليوم هي دك حقوق الناس الابرياء لانهم عربوشيم يعيشون في الاراضي التي وعدنا بها الرب) المهمة التي اصبحت ملحة جدا ونفذت بوحشية كبيرة، عندما بدأ عربوشيم (برفع رؤوسهم) قبل بضع سنوات.

ويمكننا تقييم صدق الاستياء المعبر عنه من قتل كلينغهوفر. من الضروري فقط ان نحقق في رد الفعل مقارنة بالجرائم الاسـرائيلية التي تدعمها امريكا.خذ مثلا جريمة نيسان ٢٠٠٢ بقتل معاقين فلسطينيين

كمل زغيير وجمال رشيد اللذان قتلتهما القوات الاسرائيلية التي اجتاحت مخيم جنين في الضفة الغربية. وجد المراسلون البريطانيون بقايا جسد زغيير وكرسيه المتحرك مع بقايا الراية البيضاء التي كان يحملها عندما اردي قتيلا وهو يسعى للهرب وبعدها دهسته الدبابات الاسرائيلية ممزقة وجهه الى نصفين وقاطعة ساقيه وذراعيه. وسحق جمال رشيد في كرسيه المتحرك عندما هدم احد بلدوزرات كاتربيلار الضخمة التي تقدمها الولايات المتحدة بيته على رأسه رؤوس عائلته داخل منزلهم في جنين. رد الفعل المتفاوت او عدم رد الفعل اصبح روتينيا وسهل جدا تفسيره بحيث لا يحتاج الى تعليق اضافي. من الواضح ان تفجير سيارة، قصف تونس عام ١٩٨٥ كان اشد بكثير من جريمة ارهابية ضد خطف السفينة اكيلي لورو او الجريمة التي تأكد على وجه اليقين من تورط مغنية فيها) في نفس السنة. لكن حتى قصف تونس كان له منافسين من اجل اسوأ عمل ارهابي في الشرق الاوسط في ذروة عام ١٩٨٥ .

احد التحديات كان تفجير سيارة في بيروت خارج مسجد مباشرة، موقوتة لتنفجر عند مغادرة المصلين في يوم الجمعة. قتلت ٨٠ شخصا وجرحت ٢٥٦ .اكثر القتلى من النساء والفتيات الصغيرات اللواتي كن يغادرن المسجد اثناء شدة الانفجار الذي (حرق اطفالا في اسرتهم وقتل عروسا تشتري جهاز عرسها ونسف ثلاثة اولاد كانوا ذاهبين من المسجد الى بيوتهم) ودمر ايضا الشارع الرئيسي في منطقة مأهولة ذات كثافة عالية (ضاحية بيروت الغربية،كما كتبت المراسلة نورا بستاني بعد ثلاث سنوات في تقرير الى الواشنطن بوست. كان الهدف المبيت

قتل الشيخ محمد حسين فضل الله الذي نجا. نفذ التفجير وكالة استخبارات ريغان وعملائه السعوديين ومساعدة بريطانية واجازه بالتحديد مدير وكالة الاستخبارات الاميريكية من عام ١٩٨١ الى ١٩٨٧ . لا يعرف سوى القليل مما هو موجود خلف الحقائق الواضحة.شكرا للتقيد الصارم بمبدأ بعدم التحقيق في جرائمنا(الا اذا اصبح من الصعب اخماد بروزها ويكون الاستعلام محدودا بدرجته الدنيا (تفاح فاسد) كان خاج سيطرة ارهابيين قرويين بشكل طبيعي.

والمتباري الثالث من اجل جائزة الارهاب في الشرق الاوسط كان عمليات القبضة الحديدية لرئيس الوزراء الاسرائيلي بيريز في مناطق الجنوب اللبناني ثم احتلاله من قبل اسرائيل في انتهاك لأوامر مجلس الأمن. كانت الأهداف (القرويين الإرهابيين) كم سماهم القائد الأعلى الإسرائيلي. تغوص جرائم بيريز في هذه القضية الى اعماق جديدة من (الوحشية المقصودو والقتل الاعتباطي) حسب ماجاء على لسان احد الدبلوماسيين الغربيين المألوفين في المنطقة.تقييما تدعمه التغطية المباشرة بقوة. لكنها غير مهمة بالنسبة (للعالم) ولذلك تبقى دون تفحص بما يتوافق مع التقاليد المعتادة. ويمكننا ان نسأل ان كانت تلك الجرائم تصنف ضمن جرائم الارهاب الدولي او بجرائم العدوان الاكثر شدة. كن دعنا مرة اخرى نعطي فائدة الشك لاسرائيل ومسانديها في واشنطن ونكتفي بالتهم الاقل.قد تمر بعض الافكار القليلة في اذهان اخرين في مكان اخر في العالم, حتى ات لم يحث ذلك عند اهل (العالم). عند اعتبار (واحدة من المرات اقليلة) التي تورط فيها عماد مغنية بشكل واضح في جريمة ارهابية. تتهمه

ايضا الولايات المتحدة بمسؤولية هجومين تفجيرين انتحاريين بشاحنتين دمرتا ثكنات قوات البحرية الامريكية و مظلي القوات الفرنسية في لبنان عام ١٩٨٣ وقتل ٢٤١ من المارينز و٨٥ من المظليين بالاضافة الى هجوم سابق على السفارة الامريكية في بيروت التي قتل فيها ٦٣ التي كانت ضربة خطيرة خصوصا لانها حدثت اثناء انعقاد اجتماع لضباط وكالة الاستخبارات الاميركية.

لكن فايننشال تايمز نسبت العملية الهجوم على ثكنات البحرية الى الجهاد الاسلامي وليس حزب الله.فواز جرجيس احد الباحثين البارزين للحركات الجهادية ولبنان كتب ان (مجموعة غير معروفة من الجهاد الاسلامي تبنت المسؤولية.) صوت تكلم بعربية فصيحة داعيا الاميركان الى الرحيل عن بيروت او مواجهة الموت. ادعي ايضا ان مغنية كان رئيس الجهاد الاسلامي انذاك لكن حسب معرفتي الدليل هزيل.

لم يتم اختبار الراي العام العالمي بشأنذلك الموضوع لكن من المحتمل ان يكون هناك بعض التردد في تسمية الهجوم على قاعدة عسكرية في دولة اجنبية (هجوم ارهابي) خصوصا حين كانت قوات الولايات المتحدة والفرنسية تنفذ قصفا بحريا قويا وضربات جوية في لبنان, وبعد وقت قصير من تقديم الولايات المتحدة الدعم الحاسم لغزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ الذي قتل فيه ٢٠,٠٠٠ شخص ودمر فيه الجنوب وترك قسما كبيرا من بيروت انقاضا.وسحبها اخيرا الرئيس ريغان عندما اصبح الاحتجاج العالمي مركزا جدا ويصعب تجاهله بعد مذابح صبرا وشاتيلا.

في الولايات المتحدة، وصف الغزو الاسرائيلي للبنان دائما على انه رد فعل على هجمات منظمة التحرير الفلسطينية الارهابية على الشمال الاسرائيلي من قواعدها اللبنانية، وجعل مساهمتنا الحاسمة في هذه الحروب الرئيسية مفهوما. في العالم الحقيقي، كانت منطقة الحدود اللبنانية هادئة منذ سنة، بغض النضر عن الهجمات الاسرائيلية المتكررة التي كثيرا منها اجرامية، في محاولة لجر المنظمة الى الرد كي يستخدم كذريعة للغزو المخطط مسبقا. الذي لم يخفي القادة والمعلقون الاسرائيليون غرضه الفعلي في ذلك الوقت: ضمان استيلاء اسرائيل على الضفة الغربية المحتلة. ومن المهم نوعا ما بأن الخطأ الوحيد في كتاب جيمي كارتر فلسطين : السلام وليس سياسة التمييز العنصري هو تكرار هذه الدعاية الملفقة حول هجمات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان كانت حافز الغزو الاسرائيلي. هوجم الكتاب بقسوة وبذلت محاولات يائسة لايجاد بعض العبارات التي يمكن ان اسيء فهمها،لكن هذا الخطأ الفاضح ـ الوحيد فقط ـ تم تجاهله. منطقيا،بما انه يرضي معيار الالتزام بالتلفيق العقائدي المفيد.

القتل غير المتعمد هو ادعاء اخر بأن مغنية (العقل المدبر) لقصف السفارة الاسرائيلية في بوينس ايرس في ١٧ اذار ١٩٩٢ وقتل ٢٩ شخصا ،ردا،كما اوضحت فايننشال تايمز، على (اغتيال اسرائيل لزعيم حزب الله السابق عباس الموسوي في غارة جوية في جنوب لبنان).بشأن الاغتيال لا حاجة للاثبات : لذ اعلنت اسرائيل مسؤوليتها عنها بفخر.وقد يكون هناك بعض الاهتمام العالمي في بقية القصة. قتل الموسوي بحوامة مقدمة من الولايات المتحدة،شمال (المنطقة الامنية)

اللاشرعية الاسرائيلية في الجنوب اللبناني. كان في طريقه الى صيدا قادما من قريته جب شيط حيث القى خطابا بذكرى مقتل امام اخر قتلته القوات الاسرائيلية. وقتل في هجوم الحوامة أيضا زوجته وطفله ذو الخمس سنوات. بعدها استخدمت إسرائيل الحوامة في مهاجمة سيارة تحمل الناجين من الهجوم الأول إلى المستشفى.

بعد قتل العائلة,(بدل حزب الله قواعد اللعبة)كما اخبر رئيس الوزراء رابين الكنيست الإسرائيلي. سابقا لم تكن تطلق أي صواريخ على شمال إسرائيل. حتى ذلك الحين كانت قواعد اللعبة أن إسرائيل قادرة أن تشن هجمات إجرامية في أي مكان في لبنان متما ما أرادت وحزب الله يرد فقط ضمن الأراضي اللبنانية الإسرائيلية المحتلة.

بعد مقتل قائده وعائلته بدأ حزب الله بالرد على الجرائم الاسرائلية في لبنان بقصف شمال اسرائيل بالصواريخ. انهاية طبعا رعبا لا يطاق لهذا شن رابين غزوا شرد حوالي ٥٠٠,٠٠٠ شخص من بيوتهم وقتل اكثر من مئة. وصلت الهجمات الاسرائيلية الوحشية الى الشمال اللبناني. في الجنوب, ٨٠٪ من أهالي مدينة صور فروا وتركت النبطية (مدينة اشباح),جبشيت دمر ٧٠٪منها حسب ما جاء عن الناطق العسكري الاسرائيلي الذي اوضح ان النية كانت(تدمير القرية تدمير تاما بسبب اهميتها للسكان الشيعة في جنوب لبنان. كان الهدف (مسح القرى من وجه الارض وزرع الدمار حولها,) كم قال ضابط كبير من قيادة شمال اسرائيل واصفا العملية.

قد تكون جبشيت هدفا خاصا لانها كانت موطن الشيخ عبد الكريم عبيد الذي خطف واحضر الى اسرائيل قبل سنوات. منزل

عبيد تلقى تلقى ضربة مباشرة بقذيفة كما افاد الصحفي البريطاني روبرت فيسك في تقريره.(رغم أن الاسرائيليين أطلقوا النار على زوجته وأولاده الثلاثة) هؤلاء اللذين لم يفلتوا في اخفاء رعبهم.كتب مارك ويلسون في فاينشال تايمز.(لأن أي حركة مرئية داخل او خارج بيوتهم قد تجذب انتباه راصدي المدفعية الاسرائيلية الذين كانوا يضربون بقذائفهم الاهداف المختارة بشكل متكرر ومدمر) كانت قذائف المدفعية تقصف بعض القرى بمعدل اكثر من عشر جولات في الدقيقة.

كل هذا لاقى الدعم الثابت من الرئيس بيل كلينتون الذي فهم الحاجة الى تلقين عربوشيم درسا قاسيا عن (قواعد اللعبة.) وظهر ريغان كبطل كبير ورجل سلام ومختلف جدا عن البهائم ذوات الساقين والجراد والصراصير المخدرة.

هذا فقط نموذج بسيط من الحقائق التي قد تجد اهتماما عالميا فيما يتعلق بالمسؤولية المزعومة لمغنية عن العمل الارهابي الانتقامي في بوينس ايريس.

التهم الاخرى ان مغنية ساعد حزب الله في تحضير دفاع ضد الغزو الإسرائيلي للبنان عام التي تعتبر جريمة ارهابية لا تطاق ٢٠٠٦ بمقاييس (العالم). الذي يدرك أن الولايات المتحدة وعملائها يجب ان لا يواجهوا أي عائق أمام إرهابهم العادل وعدوانهم.

اكثر المدافعين السوقيين عن الجرائم الاسرائيلية فسروا باجلال انه بينما كان العرب يقتلون الناس عمدا. الولايات المتحدة واسرائيل بكونهما مجتمعات ديمقراطية لا يقصدان فعل هذا.عمليات القتل التي يقومان بها مجرد أفعال غير مقصودة. لهذا السبب ليست على مستوى

فساد خصومهم الأخلاقي. كان ذلك مثلا موقف المحكمة العليا الاسرائيلية عندما اجازت حديثا العقاب الجماعي القاسي لاهالي غزة بحرمانهم من الكهرباء والماء والصرف الصحي واساسيات اخرى من الحياة المتمدنة.

نفس الخط من الدفاع شائعا فيما يتعلق ببعض زلات واشنطن الماضية, مثل تدمير معمل شفاء للادوية في السودان. ادى الهجوم الى وفاة عشرات الالاف من الناس, لكن دون القصد لقتلهم لذلك هي ليست جريمة بحسب طراز القتل العالمي – لهذا نحن نتلقى بواسطة اساتذة في الاخلاق الذين يكبتون باستمرار الرد الذي اعطي مسبقا لتلك المحولات المبتذلة للتبرير الذاتي.

دعنا نكرر مرة اخرى,يمكننا ان نميز ثلاثة اصناف من الجرائم: القتل مع توفر النية والقتل العرضي والقتل مع المعرفة المسبقة لكن دون نية محددة. توضع اعمال اسرائيل والولايات المتحدة ضمن التصنيف الثالث .لهذا عندما تدمر اسرائيل مزود محطة الطاقة في غزة او تنصب الحواجز أمام التنقل في الضفة الغربية, فهي لا تقصد بالتحديد قتل الناس الذين يموتون من الماء الملوث او في سيارات الاسعاف التي لا تستطيع الوصول الى المستشفيات.وعندما امر بيل كلينتون بقصف معما الشفاء كان من الواضح انه سيؤدي الى كارثة انسانية. مراقبة حقوق الانسان اخبروه بذلك مباشرة ,وقدموا التفاصيل ومع ذلك لم يقصد هو ومستشاريه قتل أي ناس محددين من هؤلاء الذين سيموتون بالتأكيد عندما تدمر نصف مواردهم الدوائية في بلد افريقي فقير لا يستطيع تعويضهم عنها.

هـم والمدافعين عنهم لا يعيرون الافارقة اهميـة اكـثـر مـن النمـل الذي نسـحقه اثنـاء مشـينا في الشـارع.نحـن نـدرك انـه مـن امحتمـل ان يحدث (ان اهتممنا بالتفكير به) لكن لا نقصد ان نقتلهم لأنهم لا يستحقون هذا الاهتمام. غني عن القول، هجمات مقارنة لعربوشيم في المناطق المأهولة بالكائنات البشرية سينظر اليه بشكل مختلف.لو، لدقيقة، استطعنا تبني منظور العالم، (قد نسأل انفسنا أي مجرمين يريدون انهاء العالم.

الأزمة الاقتصادية العالمية والرعاية الصحية وسياسة الولايات المتحدة الخارجية ومقاومة الإمبراطورية الأمريكية

نعوم تشومسكي تقابله ايمي غودمان/

ديموكراسي ناو! ١٣ نيسان ٢٠٠٩.

ايمي غودمان: حديثنا اليوم مع أحد أهم المثقفين المنشقين في عصرنا نعوم تشومسكي وسيدور حول الأزمة الاقتصادية العالمية والرعاية الصحية ووسائل الإعلام وسياسة الولايات المتحدة الخارجية وتوسيع الحروب في أفغانستان وباكستان ومقاومة الإمبراطورية الأمريكية. نعوم تشومسكي عالم لغوي مشهور عالميا وفيلسوف وناقد اجتماعي وأستاذ فخري في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا.

من بين كتبه الكثيرة في العقود السابقة *السيطرة أم البقاء*: سعي أميركا لسيطرة عالمية، *تصنيع الوفاق*: الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام الجماهيرية، *الربح قبل الناس*: النيوليبرالية والنظام العالمي، وحقوق الإنسان وسياسة أميركا الخارجية. وهناك مجموعة كبيرة من أعماله يحررها ويعدها للنشر انثوني ارنوف وتدعى تشومسكي الكامل.

تحدثت مع تشومسكي في وقت مبكر من هذا الشهر حين كنا في الطريق إلى بوسطن. هذا هو القسم الثاني من حديثنا. بدأت بسؤاله

كي يتحدث لنا عن الانهيار الاقتصادي الراهن.

نعوم تشومسكي: حسنا دعينا نبدأ ب جي تونتي (الدول العشرين الكبرى).لو نظرت إلى فايننشال تايمز وهي صحيفة التجارة والأعمال الأولى في العالم في اليوم الذي سبق اجتماع جي تونتي، ستجدين بأنها أخذت قسما فيها وأشارت كما اعتقد بشكل صحيح بأن الغرض الرئيسي هو تقديم صورة عن الانسجام والاتفاق. ليس مهما ما نفعل لكن لنجعل الأمر يبدو بأننا مع بعض وهذا جل ما يحدث.

في البيان الرسمي الذي قرأته من قبل كانت الكلمة المهمة (تطوعي). لذلك يفترض بالدول أن تختار كي تفعل ألف أو باء أو جيم. حسنا هذا يعني أننا لن ننجح في الوصول إلى اتفاق. والآن اتفقوا على نقطة واحدة وهي إعادة رسملة صندوق النقد الدولي وضخ الكثير من الأموال فيه. وهذه حركة مشكوك فيها. اقصد، أن للصندوق سجل ودوره السابق كان هداما جدا وهو بشكل أو آخر فرع من الخزينة الأمريكية رغم أن مديره أوروبي.. في الحقيقة، ووصفت مديره التنفيذي الأمريكي السابق ب(منفذ ائتمان المجتمع) الذي يعني إذا أراد احد حكام العالم الثالث المستبدين أن يجلب على نفسه دينا ضخما لا يريده الشعب لكن يريده الديكتاتور ولنقل سوهارتو في اندونيسيا ـ ومن ثم يحدث تقصير في سداد الدين، لذلك يجب أن تتوفر الحماية للمقرضين الذين ربحوا أموالا كثيرة من قرض محفوف بالمخاطر وحصلوا على فائدة عالية ليس من الديكتاتور بل من الشعب الاندونيسي الذي يخضع لبرامج تعديل هيكلية قاسية لضمان سداد الدين الذي لم يتسبب به، لذلك يمكن أن يعوض الأغنياء الغربيين.

لهذا منفذ ائتمان المجتمع الذي له دور مدمر في العالم الثالث يعاد رسملته الآن.

هناك نقاش مشوق حوله الآن يمكنك قراءته في الصفحات المالية. مؤيدو إعادة الرسملة يقولون(حسنا لقد بدل الصندوق مواقفه وسيكون مختلفا من الآن فصاعدا. أدركنا دوره الفظيع لكن الأمور ستختلف الآن) حسنا هل هناك أي سبب ليكون مختلفا؟ في الحقيقة لو نظرنا اليوم سنجد بأن المشورة والبرامج التي تتبعها القوى الغربية ملفتة للنظر مقارنة بالتعليمات التي أعطيت للعالم الثالث.

لذلك سنأخذ اندونيسيا مرة أخرى. تعاني اندونيسيا من أزمة مالية منذ عشر سنوات وكانت التعليمات هي التعليمات القياسية: (هذا ما يجب عليكم فعله. أولا سددوا ديونكم لنا. ثانيا خصخصوا لكي نستطيع قطف أصولكم بسعر رخيص. ثالثا ارفعوا معدلات الفائدة لتبطئوا الاقتصاد وتجبروا السكان على المعاناة) هذه هي التوصيات المعتادة التي لا يزال صندوق النقد الدولي يقدمها لهم.

ماذا سنفعل؟ العكس تماما. نهمل الدين فليذهب إلى الجحيم. نقلل معدلات الفائدة إلى الصفر لنحفز الاقتصاد. نضخ أموال في الاقتصاد للحصول على ديون عادلة. لا نخصخص بل نؤمم لكننا لن نسميه تأميما. نعطيها اسما آخرا مثل (الإنقاذ) أو غيره لكنه في الجوهر تأميم دون ضبط. لذلك نضخ الأموال في المؤسسات. ونحاضر في العالم الثالث بأن يجب أن يقبل بالتجارة الحرة بينما نقبل نحن بالحمائية.

خذ مبدأ (كبير على الإفلاس) الذي تناقشه لجنة مجلس النواب

اليوم. لكن ماذا تعني عبارة (كبير على الإفلاس)؟ إنها وثيقة تأمين، وثيقة تأمين حكومية. وحكومية يعني أن الشعب سيدفع (تستطيع أن تخاطر وتجني ربحا وفيرا وإن حدث أي خطأ نحن نكفلك وننقذك.) هذا هو معنى كبير على الإفلاس وهو أقصى درجات الحمائية. ذلك توفر لشركات الولايات المتحدة مثل سيتي غروب أفضلية هائلة على الشركات الأخرى مثل أي نوع آخر من الحمائية.

لكن لا تسمحوا للعالم الثالث بالقيام بذلك. اعني أنهم يجب أن يخصخصوا لكي نقطف أصولهم. هذا هو ما يحدث جنبا إلى جنب الآن. هذه التعليمات لكم انتم الفقراء وهذه السياسات لنا نحن الأغنياء.

عمليتان متعاكستان تماما. هل هناك إذا أي سبب للاعتقاد بأن صندوق النقد الدولي سيغير ذلك؟

ايمي غودمان: هل تعتقد بأن الرئيس اوباما يختلف عن الرئيس بوش فيما يتعلق بالاقتصاد؟ ولو كنت في الكونغرس هل ستصوت للإنقاذ والرزم (الصفقات) المحفزة؟

نعوم تشومسكي: هو مختلف. اقصد هناك فرق شكلي أولا. لكن علينا أن نميز بين فترة بوش الأولى والثانية فهما مختلفتان. اقصد فترة بوش الأول كانت متغطرسة وقاسية وذات نزعة عسكرية نابذة لكل من أذنبوا بحقه وخاصم الحلفاء المقربين وهبطت هيبة الولايات المتحدة إلى الحضيض في العالم أما فترة بوش الثانية فقد انتقلت أكثر إلى المركز في ذلك الخصوص ليس بشكل كلي لكن أكثر لهذا تم رمي بعض المذنبين السيئين مثل رامسفيلد وولفوتز وغيرهم لكن لم

يكن بالإمكان رمي ديك تشيني والتخلص من لأنه كان الإدارة لكن انتقل الكثير من الآخرين غيره إلى وضع عادي جدا.

يدفع اوباما بذلك للأمام وهو ديمقراطي وسطي ولم يتظاهر أبدا بغير ذلك. انه يتحرك للانتقال إلى نوع من الموقف الوسطي وله شعبية كبيرة في أوروبا ليس لنفسه كل الفضل فيها وإنما لأنه ليس بوش. لهذا هناك حديث بأن القادة الأوروبيين وشعوبهم يميلون للقبول به وحتى في الشرق الأوسط حيث يقبل الناس فيه بالأوهام. وهي أوهام لأنها ليس هناك من يدعمها لهذا نعم هو مختلف عن بوش.

وبالمثل الاقتصاد, فكما تعرفين أن خطة اوباما ـ غيثنر الحالية لا تختلف كثيرا عن خطة بوش ـ بولسن. اقصد مختلفة قليلا, فقد تبدلت الظروف لهذا ستكون مختلفة طبعا لكنها لا تزال معتمدة على المبدأ الذي يجب فيه ـ بطريقة ما ـ على دافع الضرائب أن ينقذ سلامة المؤسسة التي تشمل الناس الذين دمروا الاقتصاد وفي الحقيقة هم الذين اختارهم اوباما لإصلاحه.

ايمي غودمان: اشرح.

نعوم تشومسكي: مثلا لاري سومرز مستشاره الاقتصادي الأول الآن كان وزير الخزانة في عهد كلينتون وكان انجازه الكبير منع الكونغرس من تعديل الاشتقاقات وهي السندات المالية الدخيلة التي كانت احد العوامل الرئيسية المسببة للأزمة. شبيهه من المستشارين الكبار روبرت روبين الذي كان وزير الخزانة قبل سومرز مباشرة. انجازاته كثيرة, مثل ما فعله باندونيسيا والعالم الثالث, لكن انجازه الرئيسي هنا, تمهيد الطريق لإلغاء قانون غلاس ـ ستيغال من (نيوديل)

الذي كان يحمى المصارف التجارية من الاستثمارات الخطرة.

بعد قيامه بتحطيم تلك العوائق ترك الحكومة مباشرة وانضم إلى سيتيغروب كمدير وبدؤوا بجني الأرباح الضخمة من شركات التأمين وإجراء قروض خطرة تعتمد على مبدأ(كبير جدا على الإفلاس) بمعنى إن وقعنا في ورطة فإن دافعي الضرائب سينقذوننا(سيكفلوننا) وهو ما حدث فعليا. هاهم الآن دافعوا الضرائب يضخون عشرات مليارات الدولارات لإنقاذ سيتيغروب.

حسنا هؤلاء المستشارون هم الذين يفترض بهم أن يصلحوا النظام و تيم غيشر كان من بينهم وعمل كرئيس نيويورك للاحتياط الفيدرالي، نعم لهذا كان يراقب كل هذه الأفعال. والآن كما تعرفين يمكنك النقاش إن كانوا يقومون بما هو صواب أم خطأ. لكن هل هؤلاء هم من سيصلح النظام؟

لدى صحافة المال والأعمال ما تقوله بخصوص بعض الأشياء المشوقة حيث نشرت مقالة في بلومبيرغ نيوز -مؤسسة صحفية رئيسية- راجعت فيها سجلات الناس الذين دعاهم اوباما إلى القمة الاقتصادية في تشرين الثاني الماضي أو كانون الأول. راجعت السجلات التي اعتقد بوجود العشرات منها. لم يسمح لأشخاص مثل ستيغليتز وكروغمان حتى من الاقتراب منهم إضافة إلى غياب اليسار أو العمال إلا بتمثيل رمزي. لهذا درسوا السجلات واستنتجوا بأن هؤلاء الناس يجب أن لا يستدعوا لإصلاح الاقتصاد وإنما يجب أن يعطى لأغلبهم مذكرات استدعاء للمثول أمام القضاء بسبب سجلات احتيالهم في الحسابات وسوء التصرف وغيره والمساعدة على التسبب بالأزمة.

ايمي غودمان: بروفيسور نعوم تشومسكي. سنكمل الحديث بعد قليل إن كنت تود نسخة من برنامج اليوم يمكنك الذهاب إلى موقعنا على الشبكة. ابقوا معنا[فاصل]

ايمي غودمان: نعود إلى حديثنا مع نعوم تشومسكي عن الأزمة الاقتصادية وكيف ستعالجها إدارة اوباما.

ايمي غودمان: لماذا اختار اوباما بأن يطوق نفسه برأيك ؟

نعوم تشومسكي: لأن هذه هي معتقداته. اقصد أن دعمه جاء من جمهور ناخبيه الذين هم بالأساس المؤسسات المالية. لنلقي نظرة على تمويل حملته السياسية. اقصد الأرقام المالية النهائية لم تظهر لكنا لدينا الأرقام الأولية التي اغلبها مؤسسات مالية. اقصد بأن المؤسسات المالية فضلته على مكين وهي ممولة للاثنين ـ تعرفين أنها الممولة الأساسية لكلا الحزبين لكنها مالت نحو اوباما أكثر من مكين.

يمكنك تعلم الكثير من تبرعات الحملة. في الحقيقة احد أفضل المتنبئين بالسياسة هي نظرية توماس فيرغوسن في استثمار السياسة كما يسميها ـ احد علماء الاقتصاد السياسي البارزين ـ الذي صف فيها الانتخابات كمناسبة تندمج فيها مجموعة من المستثمرين ليوظفوا أموالهم للتحكم بالدولة. ويلقي نظرة على تشكيل المتبرعين في الحملة مما يعطيك تنبؤا مدهشا لما ستكون عليه السياسات. ويعود ذلك إلى زمن نيوديل وغيرها, نعم يمكنها التنبؤ جيدا بما سيفعله اوباما. ليس هناك ما يفاجئ فيها إنها القاعدة فيما يسمى بالديمقراطية السياسية.

ايمي غودمان: هل ستدع سيتيبانك وسيتيغروب, وايه أي جي

تفلس؟

نعوم تشومسكي: حسنا، هناك إمكانيات أخرى. تستطيع الحكومة أن تستولي على الأقسام القابلة للحياة. أقسام منها ناجحة وأقسام أخرى عاطلة مثل السم ـ ماذا يسمون أجزاء الأصول السامة الأرقام المالية التلاعب المالي.

حسنا يمكنك عمل شيء واحد وهو ما اقترحه عدد من الاقتصاديين مثل دين بيكر، فقط الاستيلاء على الأقسام الجيدة جوهريا بتأميمها ووضعها تحت سيطرة الشعب. والتأميم يعني سيطرة الشعب على الأقل إن كان هناك ديمقراطية. ليس هنا لكن إن كان لديك ديمقراطية فاعلة سيعني ذلك أنها تكون تحت سيطرة الشعب والأقسام المسؤولة عن الخسائر الضخمة دعها تفجر نفسها. في الحقيقة، كما أشار بيكر وزع أسهم الأقسام التي تورطت في التلاعب المالي وسببت الأزمة فقط، دعها تفلس ودع المدراء يحاولون الحصول على علاوات من شركة الإفلاس، حسنا دون الحاجة إلى قوانين. ذلك ما كان يجب فعله مع سيتيغروب.

وفي الواقع، من الممتع أن هذا هو ما يحدث الآن. تعرفين، بعد انهيار غلاس ـ ستيغال التي ربحوا منها واستغلوها تحت إدارة روبين واستفادوا من شركات التأمين والاستثمارات الأخرى الخطرة هاهم الآن يسلبونها وفي طريقهم أن يصبحوا مصرفا تجاريا.

وهذه ليست المرة الأولى التي يحدث فيها هذا. بول فولكر على الأخبار اليوم يقول(دعنا نبطئ). حسنا، انه هو من ساعد على إنقاذ سيتيغروب في آخر انهيار لها تحت حكم ريغان حين كانت تدعى

سيتيبانك. لقد اتبعت تعليمات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وأقرضت أموالا هائلة لأمريكا اللاتينية وأكد لها البنك الدولي بأن كل شيء على ما يرام وأن الأسواق ستهتم بالموضوع الخ. حسنا تدخل بول فولكر عند الإفلاس. رفع معدلات الفائدة بشكل حاد. لكن بلدان العالم الثالث التي ترتبط ديونه بمعدلات الفائدة في الولايات المتحدة لم تستطع دفع ديونها. تدخل صندوق النقد الدولي واهتم بها وأعاد رسملة سيتيبنك بشكل جوهري. تلك هي الطريقة التي يعمل بها النظام: اجروا قروض خطرة تجنون أرباحا طائلة وان وقعتم في ورطة نحنا هنا لننقذكم.

ايمي غودمان: كيف يختلف الديمقراطيون عن الجمهوريين في هذا؟ما الذي تجده ــ هل ما تراه مجرد ملاحظة هامشية بأن الجمهوريين أو بعض حكام الولايات مثل بالين وجيندال

نعوم تشومسكي: هناك اختلاف.

امي غودمان: هل تقول بأنهم لن يأخذوا أموالا محفزة؟

نعوم تشومسكي: هناك اختلاف. اقصد,نحن أساسا دولة الحزب الواحد. اعتقد أن سي رايت كان يجب أن يشير إلى هذا منذ خمسين سنة. انه حزب رجال الأعمال لكن فيه زمر مختلفة للديمقراطيين وللجمهوريين. لهم جمهور ناخبين مختلف وسياسات مختلفة. ولو نظرت إلى السنين سترى بأن غالبية الناس مالت إلى العمل بشكل أفضل تحت قيادة الديمقراطيين ؛ أما الأثرياء جدا فقد رغبوا العمل بشكل أفضل تحت قيادة الجمهوريين. لهذا هما حزبان للتجار لكنهما يختلفان بشكل ما والاختلافات يمكن أن يكون لها نتيجة لكنهما

يتشابهان كثيرا من حيث الأساس.

لهذا خذي الأزمة المالية الحالية التي بدأت عمليا في ظل حكم كارتر. إدارة كارتر الأخيرة هي التي بدأت بالدفع نحو رسملة الاقتصاد، نمو كبير في رأس المال المالي محفوف بالمخاطر وإلغاء قيود التنظيم وغيرها حمل ريغان تلك السياسة إلى ابعد من ذلك بكثير وواصلها كلينتون ثم كانت مع بوش نوع من الخروج عن السكة.

لذلك هناك اختلافات لكنها في طيف ضيق جدا وكل من يبعد قليلا عن الطيف مثل الحائزين على جائزة نوبل في علم الاقتصاد الذين لا يبعدون أكثر من مليمترين عن الطيف فهم أساسا في الجزء الخارجي. يمكنك إجراء مقابلة معهم لكنهم لا يظهرون في المؤتمرات الاقتصادية.

ايمي غودمان: كيف يتعلق الاقتصاد العالمي واقتصادنا بقضية الحرب وسياسة الولايات المتحدة الخارجية؟

نعوم تشومسكي: حسنا، لقد أجريت مقابلة ناجحة مع جوزيف ستيغليتز حول ذلك منذ شهرين، ناقش فيها العلاقة –كان يتحدث عن حرب العراق. وكما تتذكرين فقد أشار بشكل صحيح إلى أن حرب العراق التي ستكلف ترليونات الدولارات ساهمت أيضا في رفع حاد لأسعار النفط كما هو متوقع وكما أشار نستطيع أن نغطي تقريبا ذلك لمدة قصيرة بفقاعة السكن لذلك كانت هناك فقاعة سكنية ضخمة استطاع أن يراها كل من له عيون مفتوحة. اقصد، منذ قرن وأسعار البيوت تقتفي أثر الاقتصاد بشكل ما، الناتج القومي الإجمالي؛ ثم فجأة تجاوزت بحدة وبسرعة الحد المعتاد، مما يعنى وجود

فقاعة وأنها ستتفجر وتورط الجميع. لكن المشكلة السكنية التي رآها الان غرينسبان والديمقراطيون بدأت فعليا في عهد كلينتون وهي التي حلت محل الفقاعة التكنولوجية وأعطت وهما بالازدهار لذلك لم تظهر تأثيرات ارتفاع أسعار النفط التي صعدت عاليا جدا. لكن لو تعقبت كل الروابط ستجد بأن هناك رابط واضح كما أشار بين الحرب والأزمة الاقتصادية.

وهي في الواقع اكبر من ذلك. تتفوق الولايات المتحدة على الآخرين في النفقات العسكرية التي تعادل ما تنفقه كل دول العالم الأخرى وتتقدم عيها كثيرا. حسنا تلك الأموال مسحوبة من مكان آخر ويفترض أن تصرف على تطوير الاقتصاد.

في الحقيقة يجب أن تضيفي ملاحظة هامشية هنا بأن الجزء الأهم من انتهاك الولايات المتحدة لمبادئ التجارة الحرة هو أن اقتصادها نفسه مبني على النفقات العسكرية إلى درجة كبيرة. لهذا الثورة المعلوماتية الحديثة ـ الكمبيوتر والانترنت وبرامج الخيال وغيرها ـ اغلبها جاء من البنتاغون. جامعتي ام أي تي، كانت احد الأماكن التي يجري تطوير كل هذه الأشياء فيها تحت عقود البنتاغون في خمسينات وستينات الفرن العشرين.

في الحقيقة، يوجد جزء خطير آخر جراء الطريقة التي يعمل بها الاقتصاد. يدفع الشعب تكاليف التطور الاقتصادي ويتعرض للأخطار، وان نجح أي شيء، ربما بعد عقود، يسلم إلى شركة خاصة ما لجني الأرباح. وذلك عامل جوهري في الاقتصاد. طبعا نحن لا نسمح للعالم الثالث بذلك. يعتبر ذلك انتهاك للتجارة الحرة حين يقومن به. لكن

تلك هي الطريقة التي يعمل فيها اقتصادنا. انه نوع متمم لمبدأ (كبير جدا على الإفلاس) من حمائية المؤسسات المالية. لكن الشعب ـ نحن لا نملك اقتصادا رأسماليا. لدينا نوع من اقتصاد رأسمالية الدولة ودور افراد عامة الشعب فيه هو الآتي : ادفعوا التكاليف وتحملوا المخاطر وأنقذوهم إن وقعوا في مأزق. ودور القطاع الخاص هو: اجنوا الأرباح والجئوا إلى الشعب إن تورطتم بشيء.

ايمي غودمان: هل تشمل بذلك الرعاية الصحية؟

نعوم تشومسكي: حسنا, الرعاية الصحية مشكلة مثيرة. اقصد بأنها منذ عقود وهي على رأس الاهتمامات المحلية لأسباب بليغة جدا. الولايات المتحدة لديها افشل نظام صحي في العالم الصناعي كلفة الشخص الواحد فيه مضاعفة مع وأسوأ النتائج. وهو أيضا القطاع الوحيد المخصخص. ولو نظرت من قرب فسترى أن هذين الاثنين مترابطين. كما أن هذا النظام المخصخص غير فعال جدا: مقادير ضخمة من الإدارة والبيروقراطية والمراقبة وكل الأنواع الأخرى. لقد درس بعناية كبيرة.

الآن, الشعب له رأي حول هذا من عقود. تريد الأغلبية الكبيرة نظام رعاية صحية قومي مثل الذي تملكه بقية الدول الصناعية الأخرى. يقولون عادة نموذج النظام الكندي ليس لأن كندا هي الأفضل بل لمعرفة الناس بكندا على الأقل. لا احد يقول نموذج النظام الاسترالي الذي هو أفضل من نظيره الكندي بكثير لكن الذين يعرفون عنه قليلين. انه شيء يشبه ما سمي ميديكير بلس,أي توسيع الرعاية الطبية لتشمل الشعب.

حسنا حتى الآن الأمر مشوق. حتى العام ٢٠٠٤، كانت هذه الفكرة توصف في نيويورك تايمز مثلا بالقضية المستحيلة سياسيا والتي يعوزها الدعم السياسي. ان الشعب يريدها لكنه لا يعتبر دعما سياسيا. المؤسسات المالية والدوائية تعارضها وهي بدون دعم سياسي. حسنا في عام ٢٠٠٨، وللمرة الأولى بدأ المرشح الديمقراطي ادواردز أولا ثم آخرون بعده في التحرك في الاتجاه الذي أراده الشعب، ليس هناك بل في ذاك الاتجاه.

لهذا ماذا حدث بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٨؟ حسنا، لم يتبدل الرأي العام فقد ظل عقود بذلك الطريق. ما تبدل هو صناعة السلع وهي قطاع اقتصادي كبير أدرك تضرره الشديد من النظام الصحي العاجز جدا. لهذا قالت جنرال موتورز أن كل سيارة واحدة تصنعها في ديترويت تكلفها أكثر من ألف دولار زيادة عن تلك التي تصنع وراء الحدود في وندسور في كندا.

وكما تعرفين حين تصبح صناعة السلع قلقة عندها تصبح الأشياء ممكنة وتحصل على تأييد سياسي لهذا كان هناك بعض الحديث عنها في عام ٢٠٠٨.

والآن تعرفين هذه هي البصيرة الكاشفة التي تعمل بها الديمقراطية الأمريكية وما معنى مصطلح (تأييد سياسي) و(ممكن سياسيا). مرة أخرى، يجب أن يكون هذا عنوانا. هل يحدث أن يقترب اقتراح مما يريده الشعب؟ حسنا، لقد حصلنا على ردة الفعل مسبقا وردة فعل قوية وادعت أنظمة الرعاية الصحية الخاصة بأن هذا غير عادل. الحكومة أكفأ من أن تجبر على ذلك —لن تكون هناك ساحة

لعب مستوية إن تدخلت الحكومة وهذه حقيقة.

ايمي غودمان: حتى لو كان لديك خطة عامة وخاصة؟

نعوم تشومسكي: نعم

ايمي غودمان: ولو كانت مثل ميديكير؟

نعوم تشومسكي: لو كانتا جنبا إلى جنب

ايمي غودمان: هل سيختار أغلب الناس ميديكير؟

نعوم تشومسكي: نعم سيفعلون ذلك

ايمي غودمان: لكن إن أرادوا الذهاب إلى الخطة الخاصة هل يمكن ذلك ؟

نعوم تشومسكي: نعم إن استطعت. لكنهم لن يفعلوا ذلك - يقولون (حسنا, لا نستطيع أن ننافس) لأسباب وجيهة. اقصد في كل دولة صناعية ما عدا الولايات المتحدة. تستخدم الحكومة قوتها الشرائية الهائلة لتفاوض على أسعار الدواء. ذلك واحد من الأسباب التي تجعل الأسعار أعلى بكثير مما هي عليه في البلدان الأخرى. حسنا, يستطيعون - يستطيع البنتاغون أن يستخدم القوة الشرائية للتفاوض على أسعار مشابك الورق أو شيء ما لكن بالقانون لا يسمح للحكومة بفعل ذلك في قضية الرعاية الصحية. حسنا, لو كان لديك ميديكير بلس سوف تخفض أسعار الأدوية ولن تستطيع الصناعات الخاصة أن تنافس.

ايمي غودمان: تميزت الشبكات الإعلامية بالعدل والدقة في نقلها لدراسة في الأسبوع الذي سبق قمة البيت الأبيض حول الرعاية الصحية وكيف كانت تغطي دافع ضريبة واحد في قضية مثل ميديكير بلس

ووجدت بأنه لم يكن هناك أي تمثيل في وسائط الإعلام لمؤيد واحد من دافعي الضرائب تقريبا.

نعوم تشومسكي: نعم

ايمي غودمان: والمذكور الوحيد تقريبا دافع ضريبة واحد

نعوم تشومسكي: نعم, السبب عدم وجود تأييد سياسي ألا من الأغلبية الشعبية. انه نفس تعليق وسائل الإعلام في عام ٢٠٠٤. وفي الحقيقة لو عدت للوراء ونظرت إلى نهاية الحملة الانتخابية الأخيرة, حملة كيري ـ بوش في تشرين الأول ٢٠٠٤,قبل الانتخابات مباشرة كانت هناك مناظرة حول قضايا محلية. ربما كان ذلك في ٢٨ تشرين الأول. انظري ـ اقرئي تأييد نيويرك تايمز لها في اليوم التالي. كان مثيرا جدا. قالت أن كيري لم يعرض أي فكرة لاشتراك الحكومة في الرعاية الصحية وليس ميديكيربلس كما ترين وذلك لأنها مستحيلة سياسيا ويعوزها الدعم السياسي ـ إلا من السكان. حسنا.

ايمي غودمان: ما هي الدراسات التي أظهرت لك بأن السكان يريدون هذا؟

نعوم تشومسكي: اقصد إنها استفتاءات الرأي المتتالية, ارجعي للوراء و...

ايمي غودمان: إذا ما الجديد الذي ستكشف عنه كما تعتقد؟

نعوم تشومسكي: مشكلة الخلل الوظيفي للديمقراطية الصورية. اقصد أن هناك فجوة كبيرة بين الرأي العام والسياسة العامة في عدد هائل من القضايا الرئيسية. ويقف كلا الحزبين على يمين الشعب في كثير من هذه القضايا المحلية والعالمية

لهذا السبب تجري الانتخابات كما هي عليه بهذا الشكل أو ذاك. تجري الانتخابات مثل تسويق وسائل الترفيه المكلفة جدا وهذا لم يعد سرا. لهذا تعطي صناعة الإعلان جائزة كل سنة لأفضل حملة تسويقية سنوية. عام ٢٠٠٨ أعطيت لاوباما الذي تقدم على شركة ابل للكومبيوتر. ولو نظرت إلى تعليقات المدراء التنفيذيين الماليين في مجال الإعلان والعلاقات العامة فقد كانت مبتهجة وقالوا يمكنك أن تقرئي ذلك في فايننشال تايمز, صحافة البزنس (نحن نسوق مرشحي الرئاسة كما نسوق السلع منذ ريغان وهذا أفضل ما نفعل وسوف يغير ذلك جو غرف المدراء ولدينا أسلوب جديد لبيع الأشياء, كما تعرفين أسلوب اوباما, الخطاب السامي والأمل والتغيير وهكذا) نعم ذلك صحيح.

ولو نظرت إلى المشتركين بالحملات أنفسهم, لقد صممتهم صناعة الإعلان على شكل سلع للبيع بصورة متقنة تجعلك تركز على ما سمي ب(الصفات) وتهمش القضايا. في حالة اوباما المنطق السامي وغيره؛ في حالة بوش الفتى الطيب الذي تودين أن تشربي البيرة معه.هذا هو نوع الأشياء التي تركزي عليها. أين يقفون من القضايا؟ لا يخبرون الشعب بذلك. لم أر استطلاع للآراء حديث في عام ٢٠٠٨, لكن بعد انتخابات عام ٢٠٠٤مباشرة كان هناك استطلاع أظهر بأن الشعب ليس لديه أي فكرة عن موقف بوش. وفي الحقيقة أن اغلب المصوتين لبوش كانوا يعتقدون بأنه يؤيد بروتوكول كيوتو لأنهم يؤيدونه وهو فتى طيب لهذا يجب عليه أن يؤيده.

والانتخابات مصممة بتلك الطريقة أيضا وكانت معقولة جدا.

اقصد أن الذين يديرون الانتخابات يقرؤون استطلاعات الرأي بانتباه شديد وفي الحقيقة هم الذين يصممونها لمصالحهم الخاصة ويعرفون بأن كلا الحزبين على يمين الشعب, لذلك من الأفضل –في عدد كبير من القضايا ـ إدراج قضايا حاسمة مثل إيران وغيرها ـ وإبعاد القضايا عن الطاولة وهو ما يحدث لذا لا يهم إن كانت الرعاية الصحية منها فهي ليست أكثر من مجرد مثال.

ايمي غودمان: اللغوي المشهور نعوم تشومسكي تحدث لي في بوسطن الأسبوع الماضي. سنعود إلى القسم الأخير من الحديث بعد الإعلان ابقوا معنا(فاصل)

ايمي غودمان: نعود الآن إلى القسم الأخير من حديثنا مع المفكر البارز المعادي للامبريالية والناقد نعوم تشومسكي

ايمي غودمان: قضية الغضب الشعبي الشديد, نعوم تشومسكي, هل تعتقد فعليا بأن هذا الغضب سيظل يغلي ويزداد باستمرار ارتفاع أعداد العاطلين عن العمل؟

نعوم تشومسكي: من الصعب التنبؤ بتلك الأشياء. اقصد أن له جانب ايجابي محتمل, وقد يكون مثل مذهب الفعالية في ثلاثينات وستينات القرن العشرين, الذي أدى إلى جعل المجتمع أكثر تمدنا بأشكال كثيرة أو قد يكون مثل سابقه مشؤوم يخطر سريعا على البال. لقد كتبت عنه.

انظري إلى ألمانيا, لقد كانت في عشرينات القرن العشرين قمة الحضارة الغربية في الفنون والعلوم و نموذجا في الديمقراطية. اقصد بعد عشر سنوات من ذلك أصبحت منتهى البربرية وذلك انتقال سريع

أو (الهبوط إلى البربرية) كما يسمى أحيانا في الأدب المدرسي.

لو استمعت الآن إلى الدعاية النازية في نهاية جمهورية ويمار وسمعت حديث إذاعي في الولايات المتحدة ستجدين تشابها في اغلب الأحيان. ستجدين مثلا كثير من الديماغوجيين الذين يناشدون الناس ذوي الشكاوي والمظالم الحقيقية.

المظالم ليست ابتداعا. اقصد من الشعب الأمريكي، لقد كانت السنوات الثلاثين الأخيرة هي الأسوأ في كل التاريخ الاقتصادي. الدولة غنية لكن الأجور الحقيقية جمدت أو انخفضت وزادت ساعات العمل بسرعة وهبطت الإعانات والناس في ورطة حقيقية بعد انفجار الفقاعات. الناس غاضبون ويريدون أن يعرفوا السبب.(ماذا حدث لي؟ أنا أمريكي ابيض واعمل بجد وأخشى الرب. كيف حصل ولماذا حدث لي هذا؟)

هذه مناشدة تشبه مناشدة النازية كثيرا. المظالم حقيقية. وقد اخبرنا روش ليبماو بأحد الأسباب المحتملة التي: (حسنا، لقد حدث ذلك لكم بسبب هؤلاء الفتيان الطيبين هناك.) حسنا، في الحالة النازية كان السبب اليهود والبلاشفة وهنا في (الولايات المتحدة) أغنياء الديمقراطيين الذين يديرون وولستريت ووسائط الإعلام ويعطون كل شيء للمهاجرين غير الشرعيين وهلم جر. وهو نوع بارز أثناء عهد ساره بالين ومشوق نوعا ما. إن ساره بالين هي الوحيدة من بين كل المرشحين التي استخدمت عبارة(الطبقة العاملة). لقد خاطبت الطبقة العاملة لأن أفرادها هم الذين يعانون. لهذا هناك نماذج ليست جذابة جدا.

ايمي غودمان: ولقد جرى الحديث عنها كزعيمة حقيقية للحزب الجمهوري

نعوم تشومسكي: حسنا كانت نموذجا.تعرفين لقد أغرمت بها الأحاديث الإذاعية الغوغائية التي لا يجب أن نحط من قدرها. تعرفين أن هؤلاء الغوغائيون يصفون أنفسهم ـ فعلا الأمر يستحق الإصغاء: (نحن ذباب البلاد. لا يهتمون بنا. هؤلاء الديمقراطيون الأغنياء على الشاطئ الغربي والشاطئ الشرقي الذين لا يهمهم كلهم سوى حقوق المثليين ويعطون الأشياء للمهاجرين غير الشرعيين وهكذا. إنهم لا يكترثون بنا. نحن العمال المجدون الذين يخشون الرب لهذا يجب أن ننتفض ونتولى الأمور وننتخب ساره بالين أو روش ليمباو أو أمثالهما)

كما قلت. السوابق ليست جذابة. لو لم يبدأ الاقتصاد في الشفاء قبل الرئاسة القادمة أو في انتخابات الكونغرس القادمة فسيغلي هذا النوع من الغضب الشعبي وستكون نتائجه خطيرة جدا. هذه البلاد تاريخها طويل في الخوف وهي بلاد مرعوبة جدا ويعود هذا الرعب إلى العصور الاستعمارية.

اقصد أننا محظوظون بأنه ليس لدينا أي ديماغوجي صادق. الديماغوجيون الذين لدينا فاسدون ولم يصلوا إلى أي مكان مثل نيكسون ومكارثي وجيمي سواغارت وغيرهم لذلك دمرهم فسادهم.

لكن بفرض وجود ديماغوجي صادق وغير فاسد من نموذج هتلر فسيكون ذلك مزعجا. توجد أرضية للقلق والخوف. خوف مروع ويبحث عن جواب لن يصدر عن المؤسسة.(من هو المسؤول عن ورطتي؟) ويمكن استغلال هذا كما تعرفين. وإذا لم يكن هناك تنظيم وتعليم

فعال وفاعل سيظل هذا الغضب خطيرا.

ايمي غودمان: ما هو تقييمك للرئيس اوباما حتى الآن؟

نعوم تشومسكي: بصراحة، ليس لدي أي توقعات. كتبت عن هذا منذ أكثر من سنة. اعتقدت وقتها وثبت الآن، بأنه ديمقراطي وسطي في الجوهر. انه يتراجع ـ اقصد لقد خرجت إدارة بوش عن حدود الطيف وخصوصا في فترته الأولى. اوباما يعيد الأشياء نحو الوسط بنوع من الموقف الشعبي الذي أقرته صناعة الإعلان لهذا أعطوه جائزة أفضل حملة تسويقية. إذا لم يكن تحت ضغط كبير من القطاعات الناشطة فإنه لن يتعدى الحدود التي قدم نفسه فيها من خلال تصريحاته السياسية الفعلية أو في اختياراته الوزارية: ديمقراطي وسطي، سيواصل سياسات بوش بشكل أساسي لكن ربما بطريقة معدلة.

ايمي غودمان: هل ترى أفغانستان حربا طويلة قد تمتد إلى عقد قادم؟ نحن نتحدث الآن عن مضاعفة القوات فهناك.

نعوم تشومسكي: كلا، تلك هي الطريقة التي يراها اوباما والبنتاغون. في الواقع، هم يقولون هكذا: إن الحرب ستكون طويلة ستمتد، ستتولى الولايات المتحدة الجانب العسكري وسوف توسعها إلى باكستان. واقصد سوف نتحدث عن التطوير لكن التركيز سيكون على الجيش. اوباما حتى الآن يحاول أن يحصل على مشاركة الناتو لكنه يدرك بأن الناتو لن يرسل قواته المسلحة لأن السكان معارضين.

ايمي غودمان: كندا تنسحب

نعوم تشومسكي: نعم كندا تنسحب وآخرون ـ ربما هولندا قد

حددت موعدا نهائيا, لكننا على الأقل سنطلب منهم أن يأتوا ويساعدوننا على الصعيد المدني تلك هي وظيفتهم. انه البيت المشهور لروبرت كاغان كما اعتقد : (هم فينوس ونحن مارس) لهذا نحن سنهاجم مثل مارس ونهتم بالجانب العسكري. وكما تعرفين فنحن ماهرون في قتل الناس بينما يستطيعون هم أن يدخلوا ويضعوا الضمادات ويجعلون الأمر يبدو كأنه أمر جيد. انه ليس الاتجاه الصحيح.

ايمي غودمان: الطائرات التي بدون طيارين تقصف باكستان

نعوم تشومسكي: نعم طائرات بدون طيار. وذلك له تأثيره. لقد دار أشنع القتال في إقليم باجور الحدودي على الجانب الباكستاني. وأفاد رجال الميليشيات في المنطقة إلى الصحافة بأن جزء من السبب هو الطائرات الهجومية الأمريكية التي قصفت مدرسة وقتلت ثمانين شخصا وكما تعرفين هم برابرة غير متحضرين, وقال احد أفراد الميليشيات(حسنا سنفجر البيت الأبيض) واعتبر قوله شنيعا جدا. لكن تعرفين إن قتلنا الناس كما نحب فسيكون هناك رد فعل.

ايمي غودمان: أين ترى الإمبراطورية الأمريكية بعد عشر أو عشرين أو ثلاثين سنة من الآن؟

نعوم تشومسكي: نجاح التنبؤ بالمسائل الإنسانية منخفض بسبب التعقيدات الكثيرة. اعتقد أن الاحتمال الأكبر للولايات المتحدة خروجها من الأزمة الاقتصادية كقوة عظمى مسيطرة. هناك حديث كثير صحيح عن الصين والهند اللتين تتغيران بسرعة لكنهما ليستا في نفس العصبة. اقصد كل من الصين والهند تعاني من مشاكل

داخلية كثيرة لا يواجهها الغرب.

لو نظرت من خلال مؤشر التطور الإنساني في الأمم المتحدة ستحصلين على صورة عن هذا. آخر مرة نظرت إليه كانت الهند بالمرتبة ١٢٥ والصين في الثمانينات. ويمكن أن تكون الصين أسوأ لو لم تكن مجتمعا مغلقا. في الهند يمكن الحصول على معلومات أفضل ويمكن أن تري ما يحدث في حين أن الصين مغلقة ولا يمكن أن تري ما يحدث في المناطق الفلاحية التي هي في حالة اضطراب ولديهم مشكلات بيئية ولديهم مئات الملايين على حافة المجاعة أيضا.

نحن ليس لدينا ذلك وكما تعرفين لدينا مشاكل لكن ليس تلك المشاكل. وحتى النمو الصناعي الذي هناك لقسم من السكان فقط وهناك تحسن. لكن حين تأخذين الهند مثلا التي نعرف أكثر عنها، في المناطق التي تطورت فيها صناعات التقنية العالية ـ وأثرها الجميل لقد زرت بعض المختبرات في حيدراباد. إنها مختبرات جيدة بل أفضل من ام أي تي لكن بجوارها تماما تزداد معدلات انتحار الفلاحين بحدة كبيرة في الواقع وسبب ذلك هو السياسات النيوليبرالية التي تعطي الامتيازات لقطاع محدد ـ وتترك الباقي وشأنهم.

ايمي غودمان: وماذا عن نهوض أمريكا اللاتينية؟

نعوم تشومسكي: ذلك أمر هام. اقصد، أمريكا اللاتينية للمرة الأولى منذ ٥٠٠عام تتجه نحو درجة من الاستقلالية ونوع من التكامل وذلك شرط لازم للاستقلال وعلى الأقل بداية لمواجهة بعض المشاكل الداخلية الضخمة. اقصد أن في أمريكا اللاتينية أسوأ أشكال عدم المساواة في العالم. هناك قطاع ثري صغير فاحش الغنى لكن لهم

تقاليدهم التي لا يشعرون فيها بأي مسؤولية اتجاه بلدانهم لهذا يرسلون رساميلهم إلى زيوريخ ويملكون بيوتا أخرى في الريفيرا ويدرس أولادهم في أكسفورد. هذه بداية المواجهة بطرق مختلفة لكنها تحدث في كل أرجاء القارة وبدأت دولها في التكامل أيضا. من الواضح أن الولايات المتحدة لا تحبهم وقلما تنقل أخبارهم في الحقيقة.

لذلك كانت هناك قضية مشوقة جدا في أيلول الماضي عندما موراليس رئيس بوليفيا ـ بوليفيا التي هي في رأي أكثر بلد ديمقراطي في العالم. لا احد يقول ذلك, لكن لو نظرت إلى ما حدث في السنتين الأخيرتين, كانت هناك منظمات شعبية وجماهيرية ضخمة لأكثر الناس المضطهدين في نصف الكرة الأرضية, السكان الأصليين, الذي دخلوا المعترك السياسي لأول مرة بشكل مهم واستطاعوا أن ينتخبوا رئيسا من صفوفهم لا يعطي الأوامر لجيشه وإنما يتبع السياسة التي أقرتها غالبية السكان لهذا هو ممثلهم بالمعنى الذي يفترض بالديمقراطية أن تعمل فيه.

كما أنهم يعرفون القضايا. إنها ليست كانتخاباتنا. يعرفون القضايا وهي قضايا هامة: السيطرة على الموارد والعدالة الاقتصادية والحقوق الثقافية وغيرها. يمكنك أن تقول إنهم على صواب أو خطأ لكنهم يقومون بدورهم على الأقل.

لم تحب النخب التي كانت تحكم البلاد بشكل تقليدي ذلك طبعا وهددت بانسحاب فعلي ودعمتها الولايات المتحدة طبعا ووسائل الإعلام أيضا ووصلت إلى غايتها الصيف الماضي حيث سببت عنفا حقيقيا.

حسنا، كان هناك اجتماع لاتحاد جمهوريات أميركا الجنوبية - يعني كل أمريكا الجنوبية - اجتماع في تشيلي، سانتياغو وخرجت ببيان هام أيدت فيه الرئيس موراليس ورفضت وشجبت العنف الذي سببته شبه القوات الانفصالية. ورد موراليس بشكره على تأييدها لكنه قال أيضا وهو مصيب أن هذه هي المرة الأولى منذ ٥٠٠عام التي تتناول فيها أمريكا اللاتينية شؤونها بأيديها دون تدخل قوى خارجية أولها الولايات المتحدة.

حسنا، هذا هو المهم الذي اعتقد بأنه لم ينقل هنا. اقصد الاجتماع كان معروفا، لذلك ترين مراجع غامضة عنه. لكنه دلالة على تطورات تحصل في أماكن مختلفة.

ايمي غودمان: نعوم تشومسكي أنت تجاوزت الثمانين ما هي مشاعرك بخصوص ذلك؟ لم يبق إلا دقائق معدودة وينتهي حديثنا معك.

نعوم تشومسكي: بقي لدي سنوات قليلة ولا أفكر بها كثيرا.

ايمي غودمان: لكن حين تتأمل، الحديث عن تلك الحركات الاجتماعية الضخمة والأوقات المرعبة والمفاجئة في العالم وتجربتك الحياتية، أي أمل تعطيك؟

نعوم تشومسكي: حسنا هناك أمل وخوف معا. اقصد بأني عمرت كثيرا لدرجة أنني كبرت في الكساد الاقتصادي الكبير ومن بعض ذكرياتي - ذكريات الطفولة أنني كنت استمع إلى خطابات هتلر التي لم افهمها في ذلك الوقت لكنني كنت أحس برد فعل والدي ووالدتي حين كان ينتابهما شعور بالخوف. في الحقيقة أول مقالة

كتبتها كانت في عام ١٩٣٩، وأنا في الصف الرابع عن توسع الفاشية في أوروبا كغيمة سوداء تبتلع كل شيء وكما ذكرت من قبل لا أزال أعاني من نفس المخاوف للآن.

من الجانب الأخر، لقد حصل تقدم هائل. أصبحت البلاد أكثر تمدنا مما كانت عليه سابقا، قل منذ أربعين عاما، ففي الستينات كان الفضل لمذهب الفعالية وبعدها حدثت بعض أهم التطورات مثل حركة المساواة بين الجنسين التي كان لها اثر اكبر على هذا المجتمع من غيرها وفي الثمانينات حركات التضامن الفريدة في تاريخ الامبريالية التي لم يحدث مثلها أبدا وفي التسعينات حركات العدالة العالمية أو ما يسمى بمعاداة العولمة. هذه كلها تطورات ايجابية جدا.

لم تستطع هذه الحركات تغيير المؤسسات التي ردت بفعل أقسى في الواقع ولم يكن ذلك مفاجئا لكنها استطاعت تغيير الثقافة. اقصد خذي مثلا، انتخابات عام ٢٠٠٨. اقصد، أنا لا أحب المرشحين كما أوضحت من قبل. على الجانب الأخر، قبل أربعين سنة أو ربما عشر سنوات لم يتخيل احد قط بأن مرشحي الحزب الديمقراطي سيكونان أمريكي أفريقي وامرأة. حسنا، هذا علامة من التأثير المتمدن لمذهب الفعالية في الستينات وكل ما تلاها.

حسنا ذلك يمكن أن تعبئته. في الحقيقة انه كذلك مسبقا. لو أحصيت عدد الناشطين في البلاد، فسيكون أعلى من الستينات كما أتوقع ما عدا لحظة قصيرة في ذروة الحركة المعادية للحرب. حسنا ذلك يمكن أن يكون أساسا للمواصلة قدما. لذلك هذا سبب يدعو للأمل.

ايمي غودمان: وأخيرا عزائنا على فقدان كارول.

نعوم تشومسكي: شكرا.

ايمي غودمان: شريكة حياتك, شخصا تعرفه منذ ـ حسنا أنت في الثمانين ـ سبع وسبعين عاما

نعوم تشومسكي: نعم مواجهة ليست سهلة فعلا.

ايمي غودمان: ما الذي يمدك بالقوة للاستمرار بعد كارول؟

نعوم تشومسكي: حسنا, نفس الشيء الذي تقومين به.الشيء الذي يحدث فرقا.

امي غودمان: ولديك عائلة رائعة أيضا

نعوم تشومسكي: نعم

ايمي غودمان: لهذا عزائنا لك.

نعوم تشومسكي: شكرا

ايمي غودمان: وصغارك(أحفادك). نعوم تسومسكي شكرا جزيلا لك.

نعوم تشومسكي: شكرا.

أخبار طيبة للعراق وما بعده

نعوم تشومسكي

زد نيت ١٦ شباط ٢٠٠٨

ظل العراق حتى وقت قريب قضية مركزية في الحملة الرئاسية كما كان في الانتخابات النصفية عام ٢٠٠٦ لكنه اختفاءه العملي الآن أثار بعض الحيرة.

يبقى العراق مهما للسكان لكن للحظة صغيرة في الديمقراطية الحديثة. العمل المهم في العالم هو مجال - ملكية (الرجال المسؤولين) الذين يجب (أن يعيشوا بمعزل عن وقع أقدام وضجيج القطيع المرتبك) عامة الشعب (الجهلة والفضوليين) الذي يجب أن يكون (دورهم)(متفرجين) وليسوا (مشاركين) وعليهم أن لا يزعجوا رؤوسهم في القضايا. اقتربت صحيفة وول ستريت من تلك النقطة بمقالة في صفحتها الرئيسية الأولى في الثلاثاء العظيم تحت عنوان (تراجع القضايا في السباق الرئاسي لعام ٢٠٠٨ لأن المقترعون يركزون على الشخصية) لنوضح الأمر بدقة اكبر, تتراجع القضايا لأن المرشحين ومدراء الأحزاب ووكالات العلاقات العامة ركزوا على الشخصية كالعادة ولأسباب وجيهة بالإضافة إلى عدم لزوم السكان فقد يكونون خطرين. يدرك المشاركون في الفعل بالتأكيد كثير من القضايا فكلا الحزبين على السواء على يمين عموم الشعب ومواقفه

المتينة تماما على مر الزمن. تفحص تلك القضية بينجامين بيج ومارشال بوتون بدراسة مفيدة بعنوان *السياسة الخارجية تنقسم* وهذا يصح بخصوص السياسة المحلية - راجع كتابي *الدول المارقة*) من المهم إذا أن يتحول انتباه القطيع إلى مكان آخر.

أخذ هذا التحذير المقتبس من مقالات محترمة جدا للمفكر المعروف والبارز في القرن العشرين ولتر ليبمان الذي كشف بجدارة عن رأي المفكرين التقدميين المشترك بشكل واسع عبر طيف النخبة الضيقة وأظهر الفهم المشترك مرة أخرى بالممارسة وليس بالكلام رغم تلفظ البعض به مثل ليبمان : الرئيس ويلسون مثلا الذي تمسك بأن نخبة السادة ذوي (المثل السامية) يجب أن تمكن للحفاظ على (الاستقرار والاستقامة) وهي وجهة نظر الأجداد المؤسسين الجوهرية. في السنوات الحديثة الأخيرة تحول السادة إلى (نخبة من التكنوقراط) و(ومفكري الفعل) في كاملوت، شتراوسيين او نيكسونيين أو تشكيلات أخرى لكن من خلال سيطرة واحد أو آخر من المختلفين مع المذهب اللينيني.

لقد كلف الرواد الذين رفعوا المثل السامية بإدارة المجتمع والعالم وأسباب انحراف العراق عن شاشة الرادار لا يجب أن تكون غامضة. وقد شرح المؤرخ المميز ارثر شليزنغر هذه الأسباب بشكل مقنع مبينا موقف الحمائم في الأربعين سنة الماضية حين كان الغزو الأمريكي لفيتنام الجنوبية في عامه الرابع وكانت واشنطن تستعد لإرسال مئة ألف جندي لينضموا إلى المئة والخمس وسبعين ألف جندي الذين مزقوا البلاد شر تمزيق. بعد ذلك واجه الغزو الذي أطلقه كندي صعوبات

وفرض تكاليف باهظة على الولايات المتحدة لهذا بدأ شليزنغر والليبراليون الآخرون في إدارة كندي على مضض بالانتقال من الصقور إلى الحمائم بما فيهم روبرت كندي أيضا الذي كان قبل سنة من التكثيف السريع للغزو والعمليات القتالية في الجنوب وأول قصف منظم للشمال يشجب الانسحاب (ورفض الوعد الذي تعهدت به ثلاث إدارات وصادقت عليه) الذي قد يضعف الوضع الديمقراطي بشكل لا يمكن إصلاحه في أسيا. لكن في الوقت الذي كان شليزنغر يكتب فيه عام ١٩٦٦, بدأ اف ار كي وكاملوت آخر من الصقور بالدعوة إلى مفوضات تسوية ـ وليس انسحابا, لم يكن خيار أبدا لكن قلما كان الانسحاب دون نصر ليس خيارا أبدا على النقيض من أوهام كثيرة.

كتب شليزنغر ا (سنصلي) طبعا بأن يكون الصقور على صواب في التفكير بأن اندفاع القوة سيتمكن من (قمع المقاومة) وفي حال انجاز ذلك (فقد نحيي كلنا حكمة الحكومة الأميركية وفطنتها السياسية) بفوزها بالنصر بينما تترك (البلاد المفجوعة التي دمرتها القنابل ومزقت أحشاءها وحرقتها قذائف النابالم وحولتها المواد الكيميائية النازعة لأوراق الأشجار إلى ارض قاحلة, ارض خراب ودمار) والتي سحقت الحرب بنيتها السياسية والمؤسساتية لكن قد لا ينجح التصعيد لهذا ربما يجب إعادة التفكير بالإستراتيجية.

لقد اتضحت مواقف المتطرفين الليبراليين من الحرب جيدا من خلال المخاوف التي أطلقها فرع ماساشوسيتس للأميركيين من اجل العمل الديمقراطي في كامبريدج قلعة الليبراليين. في أواخر عام ١٩٦٧,

شرعت قيادة دي أي دي (أميركيون من اجل العمل الديمقراطي) بجهود هامة(وهزلية) لرفض طلبات عضوية الأشخاص الذين اعتقدوا بأنهم سيتكلمون ضد قرار الحرب تحت رعاية جماعة محلية خرجت عن السيطرة (أنا وهوارد زين المتقدين بالطلب المرعبين). بعد شهور قليلة جاء عدوان تيت الذي دفع العالم التجاري لينقلب ضد الحرب بسبب تكاليفها الباهظة علينا وبدأ الأذكياء ذوي البصيرة الحادة بادراك أن واشنطن قد أنجزت أهدافها وانكشف فورا بأن الكل كان خصما قويا للحرب لكن (في صمت مطبق). راجع كتّاب المذكرات حساباتهم لتناسب الادعاء الجديد بأن جي اف كي كان من الحمائم بالسر, وأودعوا السجل الوثائقي الغني(بما فيها روايتهم للأحداث في ذلك الوقت) إلى مزبلة التاريخ, حيث تتلاشى الحقائق الباطلة. فضل الآخرون الصمت مفترضين بشكل صحيح بأن الحقيقة ستختفي. وسادت الرواية المفضلة: حركة المعادين للحرب الراديكاليين المنغمسين بالملذات عطلوا جهود المعادين الأوائل للحرب الرزينة الهادفة إلى وضع نهاية لها.

في نهاية الحرب عام ١٩٧٥, بيّن انثوني لويس وهو اشد صوت ناقد في نيويورك تايمز موقف الحمائم المتطرفين ولاحظ أن الحرب بدأت (بمحاولات متخبطة لفعل الخير) ـ الذي هو قريب من الحشو داخل النظام العقائدي ـ لكن في عام ١٩٦٩اصبح (من الواضح لأكثر العالم ـ ولأكثر الأميركيين ـ أن التدخل كان خطأ كارثيا.) كانت الحجة ضد الحرب كما فسرها لويس (أن الولايات المتحدة قد أساءت فهم القوى الثقافية والسياسية العاملة في الهند الصينية ـ بأنها كانت

في وضع لا يمكنها فيه فرض حل ألا بتكلفة غالية جدا على نفسها.)

خلال عام ١٩٦٩,كان ل(اغلب الأميركيين) آراء مختلفة في الجوهر. حوالي ٧٠٪ اعتبروا الحرب (باطلة وغير أخلاقية بالأساس) وليست مجرد خطأ. (لكنهم ليسوا سوى غرباء جهلة وفضوليين ويمكن التغاضي عن أصواتهم ـ أو في المناسبات النادرة التي يلاحظوا فيها تتضح بأن آراءهم دون دليل فتنسب إلى دوافع أنانية ليس لها أي أساس أخلاقي.)

تغيرت حجج النخبة والمواقف الملازمة لها بشكل بسيط وتحولت إلى التعليق النقدي على غزو الولايات المتحدة للعراق اليوم. لكن رغم أن انتقاد حرب العراق كان أعظم وأوسع من الحالة الفيتنامية بكل درجات المقارنة, ظلت مع ذلك المبادئ التي عبر عنها شليزنغر سارية في وسائط الإعلام وتسجيل الأحداث. من المشوق أن شليزنغر نفسه اخذ موقفا مختلفا جدا من غزو العراق وكان الوحيد في دوائره عمليا. حين بدأت القنابل تتساقط فوق بغداد كتب بأن سياسات بوش (مشابهة بشكل مرعب للسياسة التي استخدمتها اليابان الامبريالية في بيرل هاربور) والتي كانت على موعد قال عنه رئيس أمريكي سابق بأنها ستعيش في خزي. كان فرانكلين دي روزفلت على صواب لكن الأميركيون هم من يعيش في خزي اليوم. (من المفيد أن نحدد كيف تحولت معارضة شليزنغر المبدئية لجرائم حرب الولايات المتحدة إلى إجلال لها اتضحت حين مات وفي التحاليل الكثيرة في صحفه (التي لم تذكر فيتنام إلى سنوات جونسون متمسكا بروايته السابقة في مذكراته عن كاملوت)

العراق (ارض خراب ودمار) مسألة لا خلاف حولها وليس هناك حاجة لمراجعة الحقائق بأي تفصيل. حدثت وكالة استطلاع الآراء البريطانية لمكتب بحوث أكسفورد مؤخرا تقديراتها للوفيات الإضافية الناتجة عن الحرب ب١,٣مليون ـ هذا يستثني كربلاء والأنبار أسوأ منطقتين تعرضتا للعنف. إن كان ذلك صحيح أو كانت الأعداد الحقيقية اقل بكثير كما يزعم البعض فلا شك بأن عدد الضحايا رهيب إضافة إلى الملايين الذين شردوا في الداخل وبفضل كرم الضيافة السورية والأردنية تم إنقاذ ملايين اللاجئين الفارين من حطام العراق وبينهم أفضل الأصناف المهنية لكن ذلك الترحيب اضمحل لسبب واحد لأن سوريا والأردن لم تتلقيا الدعم المهم من مرتكبي الجرائم في واشنطن ولندن لأنهما تمنحان حق الدخول لهؤلاء الضحايا لأوهى سبب وهي فكرة لا تؤخذ بعين الاعتبار لغرابتها الشديدة. دمرت الحرب الطائفية البلاد وخضعت بغداد ومناطق أخرى للتطهير العرقي الوحشي وتركت بأيدي الميليشيات والجنرالات, القوة الرئيسية للإستراتيجية الراهنة لمكافحة المتمردين التي طورها الجنرال بيترايوس وكسب سمعته بتهدئة الموصل التي تشهد الآن بعض من أكثر أشكال العنف تطرفا.

نير روزن وهو واحد من أكثر الصحفيين المطلعين والمختصين الذي انغمس في المأساة المروعة نشر مؤخرا كلمة لإحياء ذكرى الأموات بعنوان (*موت العراق*), في التاريخ المعاصر. كتب بأن (العراق قد قتل ولن ينبعث ثانية. كان الاحتلال الأمريكي أكثر شؤما من المغول الذين نهبوا بغداد في القرن الثالث عشر) وهذه رؤية مشتركة

بين كل العراقيين أيضا.(لا يتكلم عن الحلول سوى الحمقى الآن. ليس هناك حلول. الأمل الوحيد قد يكون احتواء الضرر)

رغم أن دمار العراق اليوم واضح جدا ولا يمكن إخفاءه فإن الهجوم البربري يرسم بعناية في النظام العقائدي لكي يستثني الآثار الرهيبة لعقوبات كلينتون ـ بما فيها دورها الحاسم في منع التهديد بأن يرسل العراقيون صدام حسين إلى نفس مصير شاوشيسكو وماركوس وسوهارتو وشون وكثير من الوحوش الآخرين الذين دعمتهم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة حتى تنتهي إمكانية المحافظة عليهم. إن المعلومات عن نتائج العقوبات ناقصة جدا وخصوصا ما يتعلق بالطور الإنساني من نظام العقوبات. لقد بدأ برنامج النفط مقابل السلام عندما أصبح التأثير المبكر فظيع جدا لذلك غمغمت سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة مادلين اولبرايت على التلفزيون بأن الثمن كان عادلا مهما اعتقد أباء مئات آلاف الأطفال العراقيين الموتى. كان يدير البرنامج الإنساني الذي تكرم وسمح للعراق باستخدام عائدات نفطه من اجل السكان المدمرين فريق محترم جدا وخبير على مستوى عال من دبلوماسيي الأمم المتحدة ولهم فرق من المحققين في كل أرجاء البلاد ويعرفون بالتأكيد عن الوضع في العراق أكثر من أي غربي آخر. الأول هو دينيس هاسلي الذي استقال احتجاجا لأن السياسات كانت سياسات (إبادة) أما الثاني فهو خلفه هانس فون سبونيك الذي استقال بعد سنتين حين استنتج بأن العقوبات تنتهك معاهدة الإبادة الجماعية لكن إدارة كلينتون منعته من تقديم معلوماته لمجلس الأمن الذي كان

المسؤول الفني. وكما شرح الناطق باسم اولبرايت جيمس روبين (هذا الرجل الذي في بغداد يقبض المال لكي يعمل وليس ليتكلم)

لكن فون سبونيك تكلم وبتفصيل واسع في كتابه/ *خرس لكنه مرعب* (نوع مختلف من الحروب). لكن سيطرة وزارة الخارجية تنتصر ويجب على المرء أن يبحث باجتهاد ليجد ذكر لما أفشاه. لكونهما يعرفان الكثير منع هاليداي وفون سبونيك من وسائط الإعلام أثناء التحضير لغزو العراق.

صحيح أن العراق الآن قضية هامشية في الحملة الرئاسية. هذا طبيعي بسبب تنوع طيف رأي نخبة الحمائم ـ الصقور. ليبراليوا الحمائم متمسكون بتفكيرهم ومواقفهم التقليدية ويتمنون أن يكون الصقور على حق وتفوز الولايات المتحدة بالنصر في ارض الخرائب والحطام ويوطدون (الاستقرار) الذي يعني الخضوع لإرادة واشنطن وعموما أخبار العراق تشجع الصقور وتسكت الحمائم.

وهناك أخبار جيدة. جيش الاحتلال الأميركي في العراق (سمي للتلطيف القوات المتعددة الجنسية في العراق) ينفذ دراسات دورية للمواقف الشعبية وهي عنصر حاسم من إجراءات السيطرة على السكان. في كانون الأول ٢٠٠٧, نشرت دراسة متفائلة لمجموعات الاهتمام وقدم المسح دليلا قويا جدا بأن المصالحة الوطنية ممكنة ومتوقعة على نقيض أصوات اليأس وفقدان الأمل السائدة ووجد المسح أن شعور التفاؤل موجود في كل مجموعات الاهتمام... كما وجدوا نقاطا مشتركة بين تلك المجوعات العراقية التي تبدو مختلفة أكثر من نقاط الخلاف.) هذا (الإيمان المشترك)عند العراقيين في كل أنحاء

البلاد خبر جيد حسب تحليل عسكري للنتائج) كما أفادت كارن يونغ في واشنطن بوست في ١٩ كانون الأول.

لقد حدد الإيمان المشترك في التقرير. لنقتبس من يونغ(تعتقد كل الطوائف العراقية والجماعات العرقية بأن الغزو العسكري الأمريكي أصل الخلافات العنيفة بينهم وترى أن مفتاح المصالحة الوطنية هو رحيل قوات الاحتلال. لهذا بالنسبة للعراقيين هنالك أمل في المصالحة الوطنية إن انسحب الغزاة المسؤولون عن العنف الداخلي وتركوا العراق للعراقيين.

الاستنتاجات موثوقة وتتسق مع استفتاءات سابقة وأيضا مع النقص الواضح في العنف حين انسحب البريطانيون أخيرا من البصرة منذ شهور قليلة.(وخسروا نهائيا الجنوب الذي ينتج ٧٠٪ من الاحتياطات النفطية المثبتة خلال عام ٢٠٠٥, حسب انثوني كوردسمان ابرز المختصين الأميركيين بالشؤون العسكرية في الشرق الأوسط. لم يذكر تقرير ٢٠٠٧اخبارا جيدة أخرى: يبدو أن العراقيون يتقبلون المثل العليا الأميركية التي يجب أن تكون مرضية جدا ويقبلون بالتحديد مبادئ محكمة نورنبيرغ التي حكمت على مجرمي الحرب النازيين بالشنق بسبب هذه الجرائم مثل تأييد العدوان والحرب الاستباقية - التهمة الرئيسية ضد وزير الخارجية فون ريبنتروب الذي يشبه منصبه في النظام النازي كولن باول وكوندليزارايس. وحددت المحكمة العدوان بشكل واضح: (غزو القوات العسكرية لدولة أراضي دولة أخرى). يعتبر غزو العراق وأفغانستان نموذجان مدرسيان إن كان للكلمات معنى. استمرت المحكمة بتعريف العدوان ب(الجريمة

الدولية الكبرى التي تختلف عن جرائم الحرب الأخرى فقط بكونها تشتمل بداخلها كل الشرور المتراكمة في الجميع): في حالة العراق العنف الإجرامي الطائفي والتطهير العرقي وتدمير الحضارة الوطنية والكنوز التي لا تعوض لأصول الحضارة الغربية تحت عيون رامسفيلد ورفاقه وكل جريمة وعمل وحشي أخر حين مشى ورثة المغول على خطى اليابان الامبريالية.

بما أن العراق يعزو كل الشر المتراكم إلى الغزو أولا هذا يؤدي إلى انه يقبل بالمبدأ الجوهري لنورينبيرغ. ومن الواضح أنهم لم يسألوا إن كان قبولهم بالمثل الأميركية امتد إلى استنتاج المدعي العام الرئيسي في الولايات المتحدة ورئيس المحكمة العليا روبرت جاكسون الذي أصر بقوة بأن المحكمة ستكون مجرد مسرحية هزلية إذا لم نطبق المبادئ على أنفسنا.

لا حاجة للقول بأن رأي نخبة الولايات المتحدة المشترك في الغرب عموما يرفض تماما المثل الأميركية المعلنة في نورينبيرغ ويعتبرها في الحقيقة شيئا اقرب إلى الفاحشة. كل هذا يقدم صورة تعليمية لبعض الحقيقة (التي تكمن وراء تصادم الحضارات الشهير.)

وجد استطلاع للآراء أجراه معهد ورلد ليرننغ/اسبن في كانون الثاني (أن ٧٥٪ من الأميركيين يعتقدون بأن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تثير الاستياء من أميركا في الخارج وأكثر من ٦٠٪ يعتقدون بأنها تثير كره المثل الأميركية و (٣٩٪) كره الشعب الأميركي و٢٦٪ يجب أن يقع اللوم على الأمريكيين.) الملاحظة غير دقيقة، تغذيها الدعاية. هنالك كره قليل للأميركيين والاستياء في

الخارج غير ناتج عن كره القيم الأميركية بل من قبول هذه القيم والإدراك بأنها مرفوضة من قبل الحكومة الأمريكية ورأي النخب.

أخبار جيدة أخرى نقلها سفير الجنرال بيترايوس رايان كروكر أثناء الحفل الموسيقي الذي قدم في ٩/١١. ربما يجب أن ننادي القائد لورد بترايوس على ضوء التبجيل الذي أظهرته وسائط الإعلام ومعلقي الأنباء في هذه المناسبة. بين هلالين، فقط الساخر قد يتخيل أن التوقيت كان متعمدا للإشارة بأن مزاعم بوش ـ تشيني بوجود روابط بين صدام حسين وأسامة بن لادن لتبرير(الجريمة الدولية الكبرى) التي ارتكباها على أنهما كانا يدافعان عن العالم ضد الإرهاب ـ الذي زاد أضعافا مضاعفة نتيجة للغزو، حسب تحليل اثنين من المختصين بالإرهاب بيتر بيرغن وبول كوكشانك، اللذان استخدما بيانات شركة راند المرتبطة بالحكومة.

قدم بيتريوس وكروكر أرقاما ليظهرا بأن الحكومة العراقية سارعت بقوة في الإنفاق على إعادة البناء ووصلت إلى ربع التمويل المخصص لذلك الغرض. أخبار جيدة فعلا ـ إلى أن حقق فيها مكتب المسؤولية الحكومية وكشف بأن الرقم الفعلي كان سدس ما نقله تقرير بيترايوس وكروكر وأقل ب٥٠٪ من السنة السابقة.

خبر جيد آخر هو انحدار العنف الطائفي الذي عزي لنجاح التطهير العرقي الذي ألقى العراقيون سببه على الغزو، لقد قلت أعداد الناس في مناطق التطهير العرقي لذلك قل عدد القتلى. لكنه نسب أيضا إلى قرار واشنطن لدعم الجماعات القبلية التي نظمت لطرد عراقيو القاعدة وزيادة الجنود الأميركيين وقرار جيش المهدي التخلي

عن مهامه لتقوية مكاسبه - أو ما سمته الصحافة (إنهاء العدوان). يستطيع العراقيون في التعريف فقط ارتكاب العدوان في العراق (أو الإيرانيون طبعا)

ليس من المستحيل أن تقترب إستراتيجية بيترايوس في نجاحها من الخطة الروسية في الشيشان حيث القتال هناك الآن (محدود ومتقطع وغروزني في وسط الازدهار العمراني) بعد أن حولتها الهجمات الروسية إلى أكوام من الحجارة. كتب سي جي شيفرز في تقرير له في نيويورك تايمز في١١ ايلول. (ربما تنعم بغداد والفلوجة يوما ما بالكهرباء التي عادت إلى مناطق مجاورة كثيرة وتفتح مشاريع تجارية جديدة ويعاد تعبيد الشوارع الرئيسية فيهما) كما في غروزني المزدهرة. ذلك ممكن لكن مشكوك فيه على ضوء النتيجة المحتملة لإنشاء جيوش الجنرالات التي قد تكون بذور عنف طائفي اكبر. وإضافته إلى (الشر المتراكم) للعدوان.

إذا ارتفع الروس إلى مستوى المفكرين الليبراليين في الغرب يجب أن يحيوا بوتين لحكمته وفطنته القيادية بسبب انجازاته في الشيشان.

بعد أسابيع قليلة من أخبار البنتاغون الجيدة من العراق كتب الخبير في نيويورك تايمز مراجعة مقنعة شاملة عن خيارات سياسة العراق التي تواجه مرشحي الرئاسة لكن بحقيقة لم تلحظ وهي غياب صوت العراقيين الذين لم يرفض حقهم في الاختيار وإنما هو غير جدير بالذكر. هذا يعطي انطباعا عن الافتراض الضمني المعتاد في كل المداولات التي تتعلق بالشؤون الدولية تقريبا : نحن نملك العالم لهذا هل

ما يفكر به الآخرون مهما؟ هم (ليسوا من البشر) لنستعير المصطلح الذي استخدمه المؤرخ الدبلوماسي البريطاني مارك كورتيس في عمله حول جرائم بريطانية في الأعمال التنويرية جدا التي أخفيت كثيرا. بشكل روتيني يضم الأميركيون العراقيين إلى (فئة غير البشر). أفضلياتهم كثيرة ولا توفر حقوق الاختيار.

لنورد مثالا تعليميا أخرا. تأمل أفكار جيرالد سيب في وول ستريت جيرنال في (آن الأوان للتطلع إلى الأمام في العراق). يخشى سيب من أن النقاش حول العراق بدأ أخيرا بتجاوز (خصائص الصور المتحركة) الذي جاء من قبل والآن بدأ بمواجهة (القضية الصحيحة). الأسئلة الأكثر عمقا:

الأسئلة الأكثر عمقا هي الأسئلة الطويلة المدى. بغض النظر عن كيفية تطور الأشياء في السنة الأولى للرئاسة. يجب على الولايات المتحدة أن تقرر ماذا يجب أن يكون دورها الدائم في العراق. هل سيظل العراق قاعدة عسكرية دائمة وهل سيظل الجنود الأميركيون متوفرون بطريقة ما للمساعدة في الدفاع عن الحدود العراقية لعقد من السنين أو أكثر كما اقترح بعض المسؤولون العراقيون؟ هل ترى الولايات المتحدة العراق اكبر من قاعدة لممارسة تأثيرها السياسي والدبلوماسي في الشرق الأوسط الأوسع أم ذلك خطأ؟ هل من الأفضل إبقاء القوات الأميركية في الأفق تماما في الكويت أو سفننا في الخليج العربي؟ تحقيق تلك الاعتبارات العسكرية في المسألة السياسية هو الذي يحدد نوع الحكومة التي تستطيع الولايات المتحدة قبولها في العراق.

ليس هنا هراء حمقى حول أن يكون للعراقيين رأي في الدور الأميركي الدائم في العراق أو بنوع الحكومة التي يفضلونها.

يجب أن لا يربك سيب أعمدة الرأي في صحيفة جيرنال فهو محلل منطقي وسطي ويستطيع الكتابة في وسائط الإعلام الليبرالية أو صحف الحزب الديمقراطي مثل ذا ريببلك. ويفهم بدقة المبادئ الأساسية التي ترشد الطبقة السياسية.

مثل هذه الأفكار للعقلية الامبريالية متجذرة بعمق. لنأخذ أمثلة بشكل عشوائي. في كانون الأول عام ٢٠٠٧ أعلنت بانما يوم حداد للاحتفال بذكرى الغزو الأمريكي عام ١٩٨٩، الذي قتل فيه آلاف الفقراء حين قصف بوش الأول أحياء آل شوريللو الفقيرة وأهداف مدنية أخرى حسب ما جاء عن مجموعات حقوق الإنسان البنامية.. يوم الحداد لغير البشر لا يستحق حتى رفة جفن هنا وغزو بوش لبناما ليس مهما وغير نموذج تعليمي آخر عن العدوان رغم انه يبدو أكثر فداحة من غزو صدام للكويت بعد بضعة شهور. مقارنة غير عادلة طبعا، لكن أولا وأخيرا نحن نملك العالم وهو لا. ولا يهم أيضا أن يكون خوف واشنطن الكبير من أن يقلد صدام سلوكها في بناما بتنصيب حكومة عميلة ثم يرحل وهو السبب الرئيسي الذي دعا واشنطن إلى رفض الحلول الدبلوماسية مع تعاون شبه تام من وساءل الإعلام؛ وكان الاستثناء الوحيد الذي اعرفه كنوت رويس من لونغ ايلاند نيوزدي. لكن يوم الحداد في أيلول مر بملاحظة بسيطة، كان هناك خبرا رئيسيا حين افتتح الرئيس بيدرو غونزاليس الجمعية الوطنية البنامية الذي اتهمته واشنطن بقتل جنود أمريكيين أثناء احتجاج ضد زيارة

الرئيس بوش بعد سنتين من الغزو لكن المحاكم البنامية ألغت تلك التهم بينما لا يزال مالك العالم متمسكا بها.

لنأخذ مثالا توضيحيا أخرا عن عمق العقلية الامبريالية. كتبت مراسلة نيويورك تايمز ايليان سوسيولينو بأن (تصلب إيران ابخصوص التخصيب النووي] يبدو انه يحبط محاولات بقية العالم لبتر طموحات إيران النووية). بقية العالم بحذف أغلبية كبيرة من دوله: حركة عدم الانحياز التي صادقت بقوة على حق إيران بتخصيب اليورانيوم بما يتفق مع معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية لكنها ليست من العالم لأنها لا تقبل آليا بأوامر الولايات المتحدة.

يمكننا أن نتوانى لحظة لنسأل إن كان هناك حل لمواجهة الولايات المتحدة وإيران حول الأسلحة النووية. هذه إحدى الأفكار: (١) يجب أن يكون لإيران الحق في تطوير الطاقة النووية وليس الأسلحة حسب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. (٢) يجب أن توطد منطقة خالية من الأسلحة النووية في المنطقة تشمل إيران وإسرائيل والقوات الأمريكية المنتشرة هناك. (٣) يجب على الولايات المتحدة أن تقبل بالمعاهدة انتشار الأسلحة النووية. (٤) يجب أن تنهي الولايات المتحدة تهديداتها ضد إيران وتتحول إلى الطرق الدبلوماسية.

الاقتراحات ليست جديدة وهي ما يفضله غالبية الأميركيين والإيرانيين أيضا في استطلاعات الرأي التي أجراها ورلد ببلك اوبنيون الذي وجد بأن الأميركيين والإيرانيين متفقون على القضايا الأساسية. في منتدى في كلية جونز هوبكينز للدراسات الدولية المتقدمة حين أطلقت الاستطلاعات قبل سنة من ذلك. جوزف سيرينسيون النائب

السابق لرئيس الأمن القومي والسياسة الدولية في مركز أميريكان بروغريس قال إن الاستفتاءات أظهرت (الحس العام للشعبين الأمريكي والإيراني الذين اظهرا قدرتهما على الارتفاع فوق خطاب قادتهم لإيجاد حلول لأكثر الأسئلة أهمية (بمواجهة الأمتين, وتفضيل الحلول الدبلوماسية والنافعة على خلافاتهم. تقترح النتائج إن كانت الولايات المتحدة وإيران تقومان بدور المجتمعات الديمقراطية فيمكن حل هذه المواجهة المحتملة بشكل سلمي.

حتى آراء الأميركيين في هذه القضية لم تستحق الاهتمام أيضا؛ وهي ليست خيارات للمرشحين أو المعلقين. ومن الواضح بأن الإعلام لم ينقلها وربما اعتبرت خطيرة جدا بسبب ما تكشفه عن (عجز ديمقراطي) في الولايات المتحدة وعن روح التطرف لدى الطبقة السياسية. ولو ذكر الرأي العام كخيار فإنه يسخف بأنه (مستحيل سياسيا) أو ربما يقدم كسبب آخر لماذا(يجب أن ترتبك الجماهير وتفقد ثقتها بنفسها) كما نصح ليبمان بشدة.

يوجد الكثير عن أفضليات الأميركيين حول مسالة إيران. النقطة(١) كما لوحظ سابقا, حدث وان انسجم مع موقف الأغلبية الواسعة من العالم. بما يتعلق بالنقطة(٢) قبلتها الولايات المتحدة وحلفاءها رسميا على الأقل. قرار مجلس الأمن ٦٨٧ يلزمهم ب(هدف تأسيس منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل وكل الصواريخ لتوصيلها وهدف بتحريم عالمي للأسلحة الكيميائية) (المادة ١٤).

لدى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة التزاما كبيرا بهذا المبدأ, بما انه كان القرار الذي لجأتا إليه بجهودهما لتقديم غطاء شرعيا

واهيا لغزوهما للعراق. بالنسبة للنقطة(٣) ٨٠٪ من الأمريكيين يشعرون بأن أمريكا يجب أن تكون عند حسن التزاماتها اتجاه معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية لتباشر بجهود صادقة في استئصال الأسلحة النووية تماما, التزام شرعي حددته المحكمة العالمية ورفضته إدارة بوش صراحة. نتحول إلى النقطة(٤) يدعو الأميركيون الحكومة بأن تتقيد بالقانون الدولي الذي بمنظوره التهديد بالعنف جريمة وانتهاك لدستور الأمم المتحدة والذي صوت عليه كل المرشحين الحاليين.الدعوة إلى المفاوضات والدبلوماسية من جانب الأميركيين امتدت إلى كوبا وبدأت منذ عقود ولا تزال لكنها أهملت مرة أخرى من قبل الحزبين السياسيين كليهما.

لقد بان بشكل متكرر بأن الديمقراطية الفاعلة تهدأ من قسوة الأخطار. لنأخذ مثالا معاصرا آخرا وذو أهمية كبيرة, هناك الآن قلق مبرر حول رد الفعل الروسي ضد النزعة العدوانية العسكرية الأميركية. ويشمل ذلك توسيع كلينتون لحلف الناتو إلى الشرق انتهاكا للضمانات المقدسة التي أعطيت لغورباتشوف والتمدد السريع للقدرة العسكرية الهجومية تحت قيادة بوش والخطط لاستبدال تنصيب (الدفاع الصاروخي) في أوروبا الشرقية مؤخرا. لقد سخر من بوتين حين ادعى بأنها تشكل تهديدا لروسيا لكن المحللون الإستراتيجيون في الولايات المتحدة يعرفون بأنه على حق لقد صممت البرامج بطريقة يعتبرها المخططين الروس تهديدا للردع الروسي لذلك دعوا إلى امتلاك قدرة عسكرية هجومية أكثر تقدما وهلاكا لتحييدها (راجع جورج لويس وتيودور بوستول, الدفاع الصاروخي

الأوروبي: الأساس التكنولوجي للمخاوف الروسية) ارمز كونترول تودي تشرين اول ٢٠٠٧). ويخشى من سباق تسلح جديد.

كشفت استفتاءات حديثة لمحللين الاستراتيجين جون شتاينبيرنر ونانسي غالاغر (تباينا لافتا للنظر بين ما يفعله كل من قادة الولايات المتحدة والروس وما يرغب به شعبيهما) وأشارا مرة أخرى انه إن كانت تلك الدولتان ستتصرفان بشكل ديمقراطي يكون فيه للغرباء الجهلة الفضوليين صوتا فذلك يمكّن من إصلاح العلاقة التي تزداد هشاشة بين الولايات المتحدة وروسيا التي هي مسألة بقاء في هذه الحالة. وتحتاج كل هذه القضايا والكثير من أمثالها إلى اهتمام من الصحافة وتستحق عناوين دائمة بارزة وتحليل عميق.

بعد أن نربي إيران قد نتحول إلى العضو الثالث في محور الشر، كوريا الشمالية. الرواية الرسمية الحالية هي بعد أن أجبرت كوريا الشمالية على قبول اتفاق لنزع منشآت أسلحتها النووية تحاول مرة أخرى أن تتملص من التزاماتها بطريقتها المراوغة المعتادة ـ (أخبار جيدة) لمتشددين من الصقور من أمثال جون بولتون الذي ظل متمسكا دائما بأنهم لا يفهمون سوى القبضة الحديدية وسيستغلون المفاوضات ليخدعونا فقط. وكتبت هيلين كوبر في مقالتها في نيويورك تايمز بتاريخ ١٩ كانون الثاني: (الولايات المتحدة ترى كوريا الشمالية تؤجل المعاهدة النووية ونكتشف في الفقرة الأخيرة من المقال أن الولايات المتحدة لم تنجز تعهداتها إذ تلقت كوريا الشمالية ١٥٪ فقط من الوقود الذي وعدتها به الولايات المتحدة والآخرين وأن الولايات المتحدة لم تقم بخطوات لتحسين علاقاتها الدبلوماسية كما وعدت.

بعد عدة أسابيع (٦شباط) في صحيفة مكلاتشي أفاد كيفين هول أن رئيس المفاوضين الأميركيين مع كوريا الشمالية كريستوفر هيل أكد في جلسات استماع مجلس الشيوخ بأن (كوريا الشمالية تباطأت في نزع مفاعلها النووي لأنها لم تتلق كمية الوقود النفطي الذي وعدت به.)

الأمثلة والبراهين المتماسكة هي ما نتعلم من الأدب المختص والتعليقات الجانبية هنا وهناك. قد تكون في كوريا أسوأ حكومة في العالم لكنها سلكت سياسة نفعية مشروطة في مفاوضاتها مع الولايات المتحدة. عندما تأخذ الولايات المتحدة موقفا عدائيا ومهددا يتراجعون وحين تتقدم الولايات المتحدة إلى الأمام يتقدمون هم أيضا. حين استلم بوش المنصب كانت كوريا والولايات المتحدة ملزمتان بإطار اتفاقية عام ١٩٩٤. لم تفيان بالتزاماتهما لكنهما كانتا متقيدتان بالاتفاقية بشكل أساسي. توقفت كوريا الشمالية عن اختبارات الصواريخ بعيدة المدى ولم يكن لديها سوى قنبلة أو اثنتين من البلوتونيوم ومن المؤكد أن لا تصنع المزيد. بعد سنوات بوش السبعة من المواجهة لدى كوريا الآن من ثمان إلى عشرة قنابل وصورايخ بعيدة المدى وقامت بتطوير البلوتونيوم. وأفاد المختص بكوريا الشمالية بروس كومينغز (خططت إدارة كلينتون أن تشتري بشكل غير مباشر الصواريخ متوسطة المدى الكورية وكانت جاهزة للتوقيع في عام ٢٠٠٠ لكن بوش تركها تفشل واليوم يحتفظ الكوريون الشماليون بكل قدرتهم الصاروخية المرعبة.)

إن أسباب انجازات بوش مفهومة. خطاب محور الشر صفعة قوية

للديمقراطيين الإيرانيين والإصلاحيين كما أكدوا، وأنذرت كوريا الشمالية بأن الولايات المتحدة تعود إلى موقفها المهدد. أصدرت واشنطن تقارير المخابرات عن برنامج سري لكوريا الشمالية اثبت بأنها مريبة ولا أساس لها حين بدأت المفاوضات الأخيرة عام ٢٠٠٧، وخمن المعلقون بأنه ربما خشي من أن يدخل مفتشي الأسلحة كوريا الشمالية وتتكرر قصة العراق. ردت كوريا الشمالية بزيادة صواريخها وتطوير أسلحتها.

في أيلول عام ٢٠٠٥، وافقت واشنطن تحت الضغط الدولي على العودة إلى المفاوضات مع إطار القوى الستة. أنجزوا نجاحا هاما. وافقت كوريا الشمالية على أن تتخلى عن (كل أسلحتها النووية وبرامج الأسلحة الموجودة) وسمحت بالتفتيش الدولي مقابل مساعدة دولية وضمان عدم اعتداء من الولايات المتحدة مع اتفاق بأن الطرفين (سيحترمان سيادة كل منهما وتعيشان معا بسلام وتقومان بخطوات لتطبيع العلاقات) لم يجف حبر الاتفاقية حتى جددت إدارة بوش التهديد بالقوة وتجميد الأموال الكورية في المصارف الأجنبية أيضا وحلت الاتحاد الذي كان سيزود كوريا الشمالية بمفاعل الماء الخفيف. يزعم كومينغز أن (العقوبات صممت خصيصا لتدمير ضمانات أيلول ولبتر رأس أي تسوية بين واشنطن وبيونغ يانغ.

بعد أن أغرقت واشنطن اتفاقيات أيلول ٢٠٠٥ الواعدة عادت كوريا الشمالية إلى تطوير الأسلحة والصواريخ وأجرت اختبارا لسلاح نووي. مرة أخرى وتحت الضغط الدولي ومع سياستها الخارجية المهلهلة

عادت واشنطن إلى المفاوضات التي أدت إلى اتفاق يجر أقدامه الآن للوفاء بالتزاماته. استنتج كومينغز في كتابة له في لاموند ديبلوماتيك في تشرين الأول الماضي أن (بوش ترأس على أغبى سياسة كورية حيوانية في التاريخ. تلك السنوات الأخيرة العلاقات بين واشنطن وسيئول ساءت بشكل عنيف. بالسلطة والإهمال داس بوش على معايير علاقة الولايات المتحدة التاريخية مع سيئول وخلق وضعا متأزما مع بيونغ يانغ.)

تصاعدت التهم ضد كوريا الشمالية في أيلول ٢٠٠٧, حين قصفت إسرائيل موقعا غامضا في شمال سورية(عملا حربيا) على الأقل اعترف به مراسل أمريكي (سيمور هيرش). خرجت التهم بأن إسرائيل هاجمت تجهيزات نووية طورت بمساعدة كوريا الشمالية ويشبه هذا الهجوم قصف إسرائيل لمفاعل اوزيراك في العراق عام ١٩٨١ ـ الذي, بناء على دليل متوفر, اقنع صدام حسين في البدء ببرنامج أسلحته النووية. تهم أيلول ٢٠٠٧ مريبة. استنتاج هيرش الحذر بعد تقصي مفصل هو أن أعمال إسرائيل العسكرية ربما كانت تستهدف إيران: إن الولايات المتحدة وإسرائيل وضعتاك في مرمى قنابلهما. وهناك سابقة هامة يجب أن تذكر ففي عام ١٩٩٣كانت إسرائيل وكوريا الشمالية على وشك الاتفاق: ستعترف إسرائيل بكوريا الشمالية مقابل ذلك تنهي كوريا الشمالية أي تورط لها متعلق بالأسلحة في الشرق الأوسط. المغزى لإسرائيل أمني. أمر كلينتون بإنهاء الصفقة ولم يكن أمام إسرائيل سوى الطاعة. منذ قرارها الفاجع عام ١٩٧١والسنوات التي تلته وإسرائيل ترفض السلام والأمن وتفضل التوسع وبذلك أجبرت

إسرائيل على الاعتماد على الولايات المتحدة من اجل الحماية وبالتالي الانصياع إلى أوامر واشنطن.

إن كان في التهم ذرة من الحقيقة ضد كوريا الشمالية وسورية فلأنها تهدد امن إسرائيل والمنطقة والتي كان من الممكن تجنبها بالوسائل السلمية لو كان للأمن أولية عالية.

دعنا نعود إلى محور الشر الأول العراق. أوجزت الآمال واشنطن في بيان المبادئ بين الولايات المتحدة والحكومة العراقية التي تدعمها الولايات المتحدة في كانون الأول الماضي. يسمح البيان للقوات الأمريكية بالبقاء مدة غير محدودة (لردع العدوان الخارجي) وللأمن الداخلي. طبعا المقصود هو العدوان الوحيد المرئي من الولايات المتحدة لكن هذا ليس عدوانا بالتعريف ولن يفكر سوى الساذج بأن الولايات المتحدة ستعزز قوة الحكومة إن تحركت نحو الاستقلال أو ذهبت بعيدا بتقوية علاقاتها مع إيران مثلا. كما ألزم البيان العراق بتسهيل وتشجيع تدفق الاستثمارات الأجنبية إلى العراق وخصوصا الاستثمارات الأميركية.

أكد التعبير الصفيق للإرادة الامبريالية بشكل غير عادي حين اصدر بوش بهدوء تصريحا موقعا يعلن فيه أنه سيرفض فقرات مهمة من تشريع الكونغرس التي وقع عليها وتشمل الفقرة التي تمنع إنفاق أموال دافعي الضرائب (لتأسيس أي تجهيزات عسكرية أو قواعد بغرض توفير التمركز الدائم لقوات الولايات المتحدة المسلحة في العراق أو لتمارس الولايات المتحدة سيطرتها على موارد النفط العراقي.) قبل ذلك بقليل أفادت نيويورك تايمز بأن واشنطن (تصر بأن

حكومة بغداد أعطت الولايات المتحدة سلطة واسعة لإدارة العمليات القتالية) مطلبا (يواجه احتمال معارضة العراق لحساسيته الكبيرة وأثره عليه كدولة مستقلة) لا عقلانية دول العالم الثالث مرة أخرى. باختصار يجب على العراق أن يسمح للتجهيزات العسكرية الأمريكية الدائمة (سميت (طويلة الآجل) في لغة اورويل المفضلة ويمنح الولايات المتحدة الحق بأن تدير العمليات القتالية بحرية ويؤكد سيطرة الولايات المتحدة على موارد النفط العراقية ويعطي امتيازات للمستثمرين الأمريكيين. ومما يثير الاهتمام أن تلك التقارير لم تثر نقاشا حول أسباب غزو الولايات المتحدة للعراق التي لم تكن غامضة أبدا لكن أي محاولة للحديث عنها كانت تستبعد بالتشويه والسخرية. والآن الأسباب ممنوحة بشكل صريح ولم تثر أي تراجع أو حتى مجرد التأمل.

لا يعتقد العراقيون وحدهم بأن المصالحة الوطنية ممكنة. استفتاء كندي وجد أن الأفغان متفائلون بالمستقبل ويفضلون وجود الكنديين أو قوات أجنبية أخرى ـ الخبر الجيد الذي كتب في العناوين. الأحرف المطبوعة الصغيرة تقترح بعض المؤهلات. يعتقد ٢٠٪ أن طالبان سيسيطر فور رحيل القوات الأجنبية. ثلاث أرباعهم يؤيدون مفاوضات بين حكومة كارزاي التي تدعمها أمريكا وطالبان وأكثر من النصف يفضلون حكومة ائتلاف. الأغلبية العظمى لذلك لا توافق على الموقف الأمريكي الكندي وتعتقد أن السلام ممكن عند التحول إلى الوسائل السلمية.

رغم أن السؤال لم يطرح بعد إلا أنه يمكن الحدس بأن الوجود

الأجنبي مرغوب لتقديم المساعدة وإعادة البناء. تؤيد هذا الحدس التقارير التي قدمت عن تقدم إعادة البناء في أفغانستان بعد ست سنوات من غزو الولايات المتحدة لها. ٦٪ من السكان لديهم كهرباء الآن كما تفيد وكالة اشوتيد بريس واغلبها في كابول التي هي ثرية بشكل مصطنع للوجود الأجنبي الضخم فيها. هناك(تتوفر للأغنياء والأقوياء الاتصالات بشكل جيد ولديهم كهرباء لكنها قليلة مقارنة بثمانينات القرن العشرين تحت الاحتلال الروسي حين كان (في المدن وفرة من الطاقة) وكانت النساء في كابول حرات نسبيا في عهد حكومة نجيب الله التي تدعمها روسيا أكثر مما هن عليه الآن رغم القلق من هجمات مدللي ريغان مثل قلب الدين حكمتيار الذي كان رمي الأسيد بوجوه النساء الشابات اللواتي يعتقد بأن لباسهن غير ملائم متعته الأساسية.

ناقشت هذه القضايا في وقتها راسيل باسو المستشار السابق لبرنامج الأمم المتحدة لدى الحكومة الأفغانية لتطوير النساء (١٩٨٦ - ١٩٨٨) وأفادت تقاريرها بأن (خطوات هائلة) للنساء قد تحققت تحت الاحتلال الروسي: (فقد انخفضت الأمية من ٩٨٪ إلى ٧٥٪ وأعطيت للنساء حقوقا مساوية للرجال في القانون المدني وفي الدستور.... لا تزال العلاقات الأبوية سائدة في أماكن العمل وفي العائلة وتحتل النساء أعمال الجنس الأدنى. لكن الخطوات الكبيرة التي خطتها النساء في مجال التعليم والتوظيف مؤثرا جدا... رأيت في كابول تقدما عظيما في تعليم المرأة والتوظيف. كانت النساء موجودات في الصناعة والمعامل والمكاتب الحكومية والمهن ووسائط الإعلام. بسبب الأعداد الكبيرة

التي قتلت أو جرحت تحملت المرأة مسؤولية العائلة والبلاد. قابلت امرأة التي تخصصت في الطب الحربي الذي يتعامل مع الرضوض وجراحة إعادة البناء لجرحى الحرب وهذا يمثل سلطة لها وقابلت امرأة أخرى كانت مهندسة طرق. الطرق تمثل الحرية ـ هروب من هيكل البطرياركية القمعية)

في العام ١٩٨٨. باسو(استطاعت إن ترى علامات الإنذار المبكرة) حين غادر الجنود الروس واستولت على السلطة الجماعات الإسلامية المتطرفة التي كانت تفضلها إدارة ريغان وأزاحت جانبا جماعات المجاهدين المعتدلين. (الأسلحة السعودية والأمريكية والذخيرة أعطت للأصوليين الأفضلية على المعتدلين) بتزويدهم بمعدات عسكرية استخدمت(حسب منظمة العفو الدولية لاستهداف المدنيين الذين اغلبهم من النساء والأطفال. ثم تلا ذلك رعب أكثر حين أطاح مدللو السعودية والولايات المتحدة بحكومة نجيب الله. كانت معاناة الناس في حدودها القصوى لدرجة أن بطالبان نال ترحيبهم عندما طرد مقاتلي الحرية الريغانية. نصر آخر للقومية المتطرفة الرجعية الريغانية التي يقدسها اليوم هؤلاء الذين كرسوا لتشويه مصطلح (المحافظين) الشريف.

باسو مدافعة مميزة عن حقوق المرأة ولها سيرة طويلة مع الأمم المتحدة كتبت أثناءها مسودة خطة (العمل من اجل النساء) و مسودة برنامج لنساء العقد١٩٧٥ ـ ١٩٨٥ تم تبنيه في مؤتمر مكسيكو سيتي ١٩٧٥ وفي مؤتمر كوبنهاغن(١٩٨٠) لكن كلماتها غير مرحب بها في الولايات المتحدة. لقد سلم تقريرها عام ١٩٨٨ إلى واشنطن بوست

ونيويورك تايمز ومجلة مس لكنه رفض ورفضت أيضا توصيتها من اجل خطوات عملية يستطيع الغرب وخصوصا الولايات المتحدة اتخاذها لحماية حقوق النساء.

إن التحقيقات التي أجرتها نيكول لانين الجندية السابقة في الجيش الروسي في أفغانستان مهمة جدا ومتعلقة بالموضوع وأبرزت المقارنات المذهلة بين تدوين الأحداث الروسي خلال الاحتلال وخلفهم الناتو اليوم.

توحي هذه الاعتبارات وغيرها بأن الأفغان يرحبون فعلا بالوجود الأجنبي المكرس للمساعدة وإعادة البناء وذلك ما نستطيع قراءته بين سطور الاستطلاعات .

هنالك أسئلة كثيرة طبعا حول الاستطلاعات التي تجرى تحت الاحتلال العسكري الأجنبي خصوصا في أماكن مثل جنوب أفغانستان لكن نتائج الدراسات العراقية والأفغانية تتطابق مع دراسات سابقة ولا يجب أن تهمل.

تقدم الاستطلاعات الحديثة في باكستان (خبرا سارا) لواشنطن. ٥ ٪ فقط تسمح للولايات المتحدة أو لقوات أجنبية أخرى بدخول باكستان (لمطاردة أو القبض على متمردي طالبان الذي عبروا الحدود من أفغانستان)بينما يفضل نصفهم تقريبا أن تقوم القوات الباكستانية بذلك و٨٠٪ مهم يعتبرون الوجود العسكري الأمريكي في أسيا وأفغانستان تهديدا لباكستان وتعتقد الأغلبية العظمى بأن الولايات المتحدة تحاول أن تؤذي العالم الإسلامي.)

النبأ الجيد أن هذه النتائج تعتبر متقدمة عن نتائج تشرين أول

٢٠٠١. عندما وجد استطلاع نيوزويك أن ٨٣ ٪ من الباكستانيين الذي مسحوا يقفون إلى جانب طالبان مقابل ٣ ٪ عبروا عن تأييدهم للولايات المتحدة بينما وصف أكثر من ٨٠ ٪ منهم أسامة بن لادن كثائر و٦٪ فقط كإرهابي.

قد تبدو الأحداث في كل مكان أخبارا جيدة لواشنطن في أوائل ٢٠٠٨ ففي كانون الثاني حدث فعل بارز من العصيان المدني الشجاع حين تمرد عشرات آلاف المعذبين الذين زجهم بهم التحالف الإسرائيلي الأمريكي والتأييد الأوروبي الجبان في سجن غزة عقابا على جريمة الاقتراع للجهة الخطأ في الانتخابات الحرة التي جرت عام ٢٠٠٦. كان من الواضح من أخبار الصفحات الأولى التي نقلت رد الفعل الوحشي للولايات المتحدة على انتخابات حرة صادقة بموازاة أخبار أخرى تمجد إدارة بوش على إخلاصها النبيل (لتعزيز الديمقراطية) أو توبخها برقة أحيانا للذهاب بعيدا في مثاليتها لعدم إدراكها بأن الشعب في الشرق الوسط متخلف كثيرا عن فهم قيمة الديمقراطية ـ مبدأ آخر يرجع أصله إلى مثالية ويلسون.

يتكرر نقل هذا التوضيح الساطع لكره النخبة واحتقارها للديمقراطية بشكل روتيني ودون إدراك ما يعنيه كما هو واضح. لنأخذ صورة أخرى عشوائيا. فقد أفاد كام سيمبسون في تقريره لول ستريت جيرنال بتاريخ ٨ شباط أنه رغم العقاب القاسي الذي نالته غزة من الولايات المتحدة وإسرائيل (وإغراق فتح الضفة الغربية التي تقود الحكومة بالدعم الدبلوماسي والاقتصادي لإقناع الفلسطينيين في كلا المنطقتين بأن يتبنوا فتح ويتخلوا عن حماس.(فقد حصل

العكس: ازدادت جماهيرية حماس في الضفة الغربية.) كما شرح سيمبسون دون قصد (فازت حماس بانتخابات عام ٢٠٠٦، مما دفع بالحكومة الإسرائيلية وإدارة بوش إلى قيادة حملة دولية لمقاطعة السلطة الفلسطينية) مع إجراءات اشد صرامة. الهدف غير مخفي وهو معاقبة الأوغاد الذين فشلوا في إدراك المبدأ الجوهري للديمقراطية: افعلوا ما نقوله وإلا)

تزايد العقاب الإسرائيلي المدعوم من الولايات المتحدة منذ أوائل عام ٢٠٠٦ وتصاعد بحدة بعد اسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في حزيران. وشجب العمل بشدة في الغرب. اعتبر الرد الإسرائيلي الآثم منطقيا ولو كان مفرطا. الأفكار لم يسيئها بأنها كانت مجرد نفاق جلي. في اليوم الذي سبق اسر العريف شاليط من خطوط قتال الجيش الذي هاجم غزة، دخلت القوات الإسرائيلية غزة وخطفت اثنين من المدنيين وهما الأخوين معمر، وأخذتهما إلى إسرائيل(انتهاكا لاتفاقيات جنيف) حيث اخفيا في قطاع السجون الإسرائيلية التي تحوي اكثر من ١٠٠٠ المحبوسين دون تهم لفترات طويلة. رغم أن الخطف جريمة اخطر بكثير من اسر شاليط إلا انه لم ينل سوى قليل من التعليق وليس النقد اللافت للنظر. لم تتورط القوات الإسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة بهذه الأعمال فقط بل بأعمال أكثر وحشية منذ عقود. وفي كل حادثة كدولة تابعة ترث إسرائيل حقوق الإجرام من سيدتها.

لقد نقلت أخبار المحاولات الإسرائيلية الأميركية لتنظيم انقلاب عسكري وتنصيب طغمة موالية بشكل صريح واعتبر شرعي تماما إن

لم يكن جدير بالثناء لكن حماس سيطرت على الانقلاب الذي حدث في غزة. بلغ الغضب الإسرائيلي آفاقا جديدة بينما استمرت العمليات الإسرائيلية المتواصلة المدعومة من الولايات المتحدة في الضفة الغربية في الاستيلاء على الأراضي والثروات محطمة الشظايا المتبقية للفلسطينيين بالمستوطنات ومشاريع البنية التحتية الضخمة وحصار الكل بعد الاستيلاء على وادي الأردن وتوسيع المستوطنات والمشاريع في القدس انتهاكا لأوامر مجلس الأمن التي ترجع إلى أربعين عاما لتضمن بأنه لن يبقى أكثر من وجود رمزي للفلسطينيين في المركز التاريخي للحياة الثقافية والتجارية والاجتماعية الفلسطينية.

تم التصدي لردود الفعل غير العنيفة التي قام بها الفلسطينيون وجماعات التضامن وسحقت بقسوة مع استثناءات نادرة وبدون أي ملاحظة تقريبا. حتى عندما أطلقت القوات الإسرائيلية النار والغاز على الحائز على جائزة نوبل مايريد كوريغان ماغواير في الاعتصام الذي شارك فيه احتجاجا ضد جدار الفصل ـ الذي يفضل تسميته الآن بجدار الضم ـ لم تكتب كلمة واحدة في الصحافة البريطانية عن ذلك خارج ايرلندا.

إن المستعمرات وبرامج التطوير الإسرائيلية في الضفة الغربية والقدس الشرقية المحتلة، غير شرعية بشكل سافر وانتهاك لقرارات مجلس الأمن الكثيرة ولحكم محكمة العدل الدولية الرسمي على جدار الفصل الذي وافقت عليه محكمة بيرغنثال الأمريكية في بيان منفصل أيضا.

تشجب العمليات الإجرامية التي يقوم بها الفلسطينيون مثل إطلاق

صواريخ القسام من غزة بغضب شديد في الغرب أما الأعمال الإسرائيلية الأكثر عنفا وتدميرا تثير أحيانا همهمة مؤدبة إن تجاوزت المستويات المقبولة من عنف الدولة. تصور الأعمال الإسرائيلية التي تتحمل الولايات المتحدة مسؤوليتها مباشرة طبعا بشكل ثابت بأنها انتقام وربما يكون زائد. طريقة أخرى للنظر إلى دورة العنف هو أن صواريخ القسام هي انتقام من الجرائم الإسرائيلية التي لا تنتهي في الضفة الغربية التي لا يفصلها عن قطاع غزة سوى الإجراءات الإسرائيلية والأميركية لكن ادعاءات العنصريين القوميين المتطرفين تستثني هذا التفسير.

إن القانون الإنساني الدولي المتعلق بهذه المسائل واضح جدا. تؤكد المادة٣٣ من معاهدة جنيف الرابعة لعام ١٩٥٠ على أنه (لا يعاقب شخص تحت الحماية على جريمة لم يرتكبها بنفسه. العقوبات الجماعية والعقوبات المشابهة محرمة ضد الأشخاص الذين تحت الحماية وملكيتهم محرمة أيضا.) أهالي غزة أشخاص محميين بوضوح تحت الاحتلال الإسرائيلي العسكري وتعلن اتفاقية هوغ لعام ١٩٧٠ أيضا أنه (ليس هناك عقوبة عامة مالية أو غيرها يمكن أن تقع على السكان بسبب أعمال أفراد لا يمكن اعتبارهم مسؤولين بسببها بشكل جماعي, المادة ٥٠). كما أن أكثر الأطراف المتعاقدة الرئيسية في اتفاقية جنيف ملزمين (باحترام وضمان احترام الاتفاقية الحالية في كل الظروف) وتشمل طبعا إسرائيل والولايات المتحدة التي أجبرت أن تمنع أو تعاقب الاختراقات الخطيرة للمعاهدة من قبل قادتهم وعميلتهم. حين تذكر وسائل الإعلام, كما تفعل ذلك بانتظام, بأن

إسرائيل تأمل بأن[تقليل المؤونة من الوقود والكهرباء لقطاع غزة] سيخلق ضغطا شعبيا لإجبار قادة حماس والميليشيات الأخرى على وقف إطلاق الصواريخ) كما كتب ستيفن اينلانغر في نيويورك تايمز في ٣١ كانون أول فهم يخبرونا بهدوء بأن إسرائيل ارتكبت انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني الدولي كما فعلت ذلك الولايات المتحدة أيضا لعدم ضمان احترام القانون من قبل عميلتها. حين تمنح المحكمة الإسرائيلية العليا الشرعية لتلك الإجراءات كما تفعل فهي تضيف صفحة أخرى إلى سجلها القبيح من الخضوع لسلطة الدولة. الصحفي الإسرائيلي البارز موشيه نجيب عرف ما كان يفعله عندما عنون مراجعته النقدية اليائسة لسجل المحاكم (كنا مثل سودوم (موطن الرذيلة والفساد ـ المترجم)

لا يمكن فرض القانون الدولي على الدول القوية إلا من قبل شعوبها وهو واجب صعب دائما خصوصا عندما يعلن الرأي المعبر عنه والمحاكم أن الجريمة شرعية.

في كانون الثاني سمحت حماس الفارة من السجن للغزاويين للمرة الأولى بالذهاب إلى البلدات المصرية الحدودية للتسوق واعتبر ذلك ببساطة عملا إجراميا لأنه يقوض قليلا الحصار الخانق الأميركي الإسرائيلي لهؤلاء الناس(غير البشر). لكن أصحاب النفوذ أدركوا بسرعة أن هذه الأحداث قد تتحول إلى خبر سار أيضا. نائب وزير الدفاع الإسرائيلي ماتان فينالي (قال صراحة ما يقوله بعض المسؤولين الإسرائيليين السابقة دون ذكر أسماءهم) كما أفاد ستيفن ارلانغر في نيويورك تايمز: قد يسمح الهروب من السجن لإسرائيل بأن تخلص

نفسها من مسؤولية غزة بعد أن حولتها إلى دمار وبؤس في أربعين عام من الاحتلال وأبقتها للتدريب والقصف فقط تحت الاحتلال العسكري التام وحدودها مغلقة بواسطة القوات الإسرائيلية برا وبحرا وجوا عدا فتحة مع مصر (التي من غير المحتمل أن تقبل مصر بفتحها).

سيكمل ذلك المشهد المرعب أعمال إسرائيل الإجرامية المتواصلة في الضفة الغربية، المصممة بحذر على طول الخطوط المرسومة مسبقا لضمان نفي أي إمكانية لحياة مستقبلية للفلسطينيين هناك. بنفس الوقت يمكن ذلك إسرائيل من الالتفات إلى حل مشكلتها السكانية ـ وجود غير اليهود في دولة يهودية. لقد تعرض الوطني المتطرف عضو الكنيست افيغدور ليبرمان للشجب القاسي في إسرائيل كعنصري عندما قدم فكرة إجبار المواطنين العرب في إسرائيل إلى (دولة فلسطينية) تافهة. ثم اندمج اقتراحه ببطء بالتيار السائد. أفاد ناشيونال نيوز الإسرائيلي في نيسان بأن عضو الكنيست اوتنيل شنيلر من الحزب الحاكم كاديما، (الذي يعتبر احد المقربين من رئيس الوزراء ايهود اولمرت) اقترح خطة تبدو (مشابهة لتلك التي أعلن عنها افيغدور ليبرمان) رغم أن شنيلر يقول بأن خطته ستكون (أكثر تدرجا) والعرب المتضررين (سيبقون مواطنين إسرائيليين حتى لو كانت أرضهم ستتبع [السلطة الفلسطينية و] لن يسمح لهم بالاستيطان مرة ثانية في مناطق أخرى من إسرائيل.) طبعا لم يستشر الناس غير البشر في ذلك.

في كانون الأول ، تبنت وزيرة الخارجية تزيبي ليفني وهي الأمل

الأخير لكثير من الحمائم الإسرائيليين نفس الموقف. دولة فلسطينية نهائية (في الأراضي) ويرّحل الذين (يعيشون في مخيمات مختلفة أو في إسرائيل.) مع العرب الإسرائيليين إلى مكانهم الطبيعي عندها تنجز إسرائيل هدفها المرجو منذ أمد بعيد بتحرير نفسها من الجرثومة العربية. وهذا موقف مألوف جدا في تاريخ الولايات المتحدة. مثلا ما جاء في رجاء توماس جيفرسون الذي لن ينجز أبدا. بأن صعود إمبراطورية الحرية سيكون خاليا من (اللطخة أو الخليط) الأحمر أو الأسود.(الهنود الحمر والزنوج ـ المترجم)

هذه ليست مسألة صغيرة بالنسبة لإسرائيل. رغم الجهود البطولية للمدافعين عن (دولة ديمقراطية يهودية) فليس من السهل إخفاء حقيقة أنها لم تعد مقبولة لرأي الليبراليين أكثر من (دولة ديمقراطية مسيحية) أو (دولة ديمقراطية بيضاء) طالما لم تتم إزالة اللطخة والخليط. يمكن إجازة هذه الأفكار لو كانت الهوية الدينية/الاثنية رمزية أولا كاختيار يوم رسمي من البقية. لكن في حالة إسرائيل الأمر ابعد من ذلك بكثير. إن أقصى ابتعاد متطرف عن أدنى المبادئ الديمقراطية هو نظام معقد من القوانين والترتيبات البيروقراطية المصممة التي تخول السيطرة على أكثر من ٩٠٪ من الأرض للصندوق الوطني اليهودي وهو منظمة التزمت باستخدام الأموال الخيرية بطرق (مباشرة أو غير مباشرة نافعة لأشخاص من الدين أو العرق أو الأصل اليهودي) لهذا وثيقتها تشرح: (تعرف الحكومة الإسرائيلية ومنظمة الصهيونية العالمية المؤسسة الشعبية بأنها الأداة الحصرية لتوسيع أراضي إسرائيل.) ينحصر استخدامها باليهود فقط إلى الأبد (مع

استثناءات هامشية) وتمنع على العمال غير اليهود (رغم أن المبدأ يتم تجاهله كثيرا باستيراد العمل الرخيص). هذا الانتهاك المتطرف للحقوق المدنية الأولية، يموله كل المواطنون الأميركيون، شكرا لحالة الإعفاء من الضرائب وأخيرا صلت إلى المحكمة الإسرائيلية العليا عام ٢٠٠٠، في قضية رفعها زوج عربي وزوجته منعا من دخول بلدة كاتزير. حكمت المحكمة لصالحهم بقرار هزيل لكنه لم يطبق وبعد سبع سنوات، زوج وزوجة من العرب الشباب منعا من دخول بلدة راكيفيت، في ارض الدولة، على أساس (عدم الانسجام الاجتماعي) حسب ما جاء عن سكوت بيترسون في قمالع في واشنطن بوست، ٢٠ كانون الاول٢٠٠٧ . تقرير نادر جدا. وهذا غير مألوف في الولايات المتحدة أيضا وأخيرا مر قرن حتى اعترف رسميا بالتعديل ١٤ في كل المحاكم ولا يزال العمل به بعيد جدا.

هناك خياران الآن للفلسطينيين. الأول أن تتخلى الولايات المتحدة وإسرائيل عن رفضهما الأحادي للسنوات الثلاثين الماضية وتقبلان بتسوية الدولتين وفقا للقانون الدولي والذي يطابق رغبات الأغلبية الكبيرة من الأميركيين. هذا ليس مستحيلا لكن الدولتان الرافضتان تبذلان كل جهودهما لتركه هكذا. وقد تم الاقتراب من هذه التسوية في مفاوضات طابا المصرية عام ٢٠٠١ وكان من الممكن تحقيقها كما أفاد المشاركون لو لم يلغي رئيس الوزراء الإسرائيلي باراك المفوضات قبل الأوان. كان إطار هذه المفاوضات مقترحات كلينتون في كانون الأول ٢٠٠٠، التي أصدرها عارفا بأن مقترحات كامب ديفيد التي قدمت في تلك السنة غير مقبولة. وزعم على نحو

مشترك بأن عرفات رفض تلك المقترحات. لكن بما أن كلينتون أوضح وبين بأن كلا الطرفين قبلا بها مع بعض التحفظات التي رأوا تسويتها في طابا بعد أسابيع قليلة ومن الواضح أنهم نجحوا تقريبا وكانت هناك مفاوضات غير رسمية منذ ذلك التي صدر عنها مقترحات مماثلة أيضا. لكن الإمكانيات تتضاءل بسبب استمرار المستوطنات الأمريكية الإسرائيلية ومشاريع البنية التحتية التي لم تلغى. والآن الإجماع العالمي شبه الشامل الذي تدعمه جامعة الدول العربية وإيران وحماس وكل من له علاقة بالأمر ما عدا الولايات المتحدة وإسرائيل.

الإمكانية الثانية هي التي تطبقها الولايات المتحدة وإسرائيل ضمن الخطوط التي وصفت للتو. سيرسل الفلسطينيون إلى سجنهم في غزة والى كانتونات الضفة الغربية وربما ينضم إليهم المواطنين العرب الإسرائيليين إن طبقت خطة ليبرمان - شنيلر - ليفني. بالنسبة للأراضي المحتلة ستحقق نوايا موشي دايان إلى زملائه في وزارة حزب العمل في السنوات الأولى للاحتلال: يجب أن تقول إسرائيل للاجئين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة بأنه (لا يوجد لدينا حل, ستستمرون في العيش كالكلاب وأي شخص يرغب في الرحيل يمكنه ذلك وسنرى إلى أين ستؤدي هذه العملية). لقد صاغ المفهوم العام زعيم حزب العمل حاييم هيرتزوغ والرئيس الإسرائيلي عام ١٩٧٢: (أنا لا ارفض أن يكون للفلسطينيين مكان أو موقف أو رأي في كل قضية....لكن أنا لست مستعدا لأن اعتبرهم شركاء في أي مجال في ارض كرّست لامتنا منذ آلاف السنين. لا يمكن أن يكون هناك أي

شريك ليهود هذه الأرض)

الإمكانية الثالثة دولة ثنائية القومية. كان ذلك اقتراحا معقولا في السنوات الأولى من الاحتلال، نظام فيدرالي يؤدي أخيرا إلى التكامل تقريبا كما تسمح به الظروف. كان هناك بعض التأييد لأفكار مماثلة داخل المخابرات العسكرية الإسرائيلية، لكن حزب العمل الحاكم أوقف منح أي حقوق سياسية للفلسطينيين. المقترحات بذلك الفحوى (من قبلي بشكل خاص) لم تلقى سوى الهستيريا. وضاعت الفرصة في منتصف سبعينات القرن العشرين حين وصلت الحقوق القومية الفلسطينية إلى الأجندة الدولية وتشكل مفهوم الدولتين المجمع عليه. أول فيتو أمريكي ضد قرار الدولتين في مجلس الأمن الذي تقدمت به غالبية الدول العربية كان في عام ١٩٧٦. واستمر موقف واشنطن الرافض حتى الوقت الحاضر باستثناء الشهر الأخير لكلينتون في المنصب. يبقى شكل من دولة موحدة من خلال اتفاق بين الأطراف أمنية بعيدة، كمرحلة متأخرة من العملية التي تبدأ بتسوية الدولتين. لا يوجد شكل آخر من التأييد عن هكذا حصيلة إن أدركنا بأن التأييد يشمل عملية تؤدي من هنا إلى هناك وليست مجرد اقتراحاتمجانية حين الطلب.

وما يثير بعض الاهتمام أن الدولة الموحدة ثنائية القومية التي حظيت بالتأييد وكان لها بعض الفرص قد اعتبرت لعنة أما الآن وبعد أن أصبحت غير عملية أبدا يرحب بها باحترام ونالت تأييد الصحف الرئيسية ربما لأنها تقوض تسوية الدولتين. يجادل مؤيدو تسوية الدولة ثنائية القومية (الواحدة) على انه في المسار الراهن ستصبح إسرائيل

دولة منبوذة مثل جنوب أفريقيا العنصرية مع السكان الفلسطينيين المحرومين من الحقوق مما يؤسس صراعا من اجل الحقوق المدنية الذي سيؤدي إلى دولة واحدة ديمقراطية كما لا يوجد أي سبب للاعتقاد بأن الولايات المتحدة وإسرائيل أو أي دولة غربية ستسمح بحدوث أي شيء من ذلك بل ستستمر كما تفعل اليوم في المناطق المحتلة دون تحمل أي مسؤولية اتجاه الفلسطينيين الذين تركوا للعفن في السجون المتنوعة والكانتونات التي قد تظهر كالنقط في المشهد بعيدا عن أعين الإسرائيليين المسافرين على الطرق العريضة الضخمة المعزولة إلى بلداتهم المدعومة وضواحيها في الضفة الغربية ويتحكمون بمصادر المياه في المنطقة ويستفيدون من علاقاتهم مع الولايات المتحدة وبعض الشركات العالمية الأخرى التي يبدو عليها السرور بوضوح لترى قوة عسكرية مخلصة ذات اقتصاد عالي التقنية متقدم وروابط قوية مع واشنطن على حدود منطقة الشرق الأوسط الهامة

بالتحول إلى مكان آخر نجد بأن استطلاعات الرأي الرئيسية ليست أخبار جيدة للعقيدة التقليدية الغربية وأطروحات قليلة جدا تلك التي تنال التأييد برغبة كبيرة وإجماع مثل العقيدة التي ترى أن هوغو شافيز طاغية عمل على القضاء على الحرية والديمقراطية في فنزويلا وما بعدها. تحمل الاستطلاعات السنوية عن الرأي العام في أميركا اللاتينية التي تجريها وكالة الاستفتاء التشيلية المحترمة لاتينوبارومترو أنباء سيئة. احدث الاستطلاعات في تشرين الثاني ٢٠٠٧ أعطت نفس النتائج المزعجة السابقة. تحتل فنزويلا المرتبة الثانية بعد الارغواي في الرضا من الديمقراطية واحتلت المرتبة الأولى في تقييم الوضع

الاقتصادي الحالي والمستقبلي وفي المساواة والعدالة ومستويات التعليم. صحيح أنها احتلت المرتبة ١١ في تفضيل اقتصاد السوق لكن حتى مع هذا العيب احتلي الترتيب الأعلى العام في كل أميركا اللاتينية في مسائل الديمقراطية والعدل والتفاؤل وتبعد كثيرا عن الدول التي تفضلها أميركا مثل كولومبيا والبيرو والمكسيك وتشيلي.

كتب المحلل المختص بأمريكا اللاتينية مارك تيرنر انه (وجد تعتيما تاما تقريبا عند الناطقين بالانكليزية عن نتائج اللقطات المهمة من وجهات النظر والآراء في أمريكا اللاتينية.) وكان ذلك صحيح في الماضي أيضا. ووجد تيرنر الاستثناء المعتاد: كانت هناك تقارير للنتائج أن شافيز بلا شعبية مثل بوش في أمريكا اللاتينية. شيء سيكون مدهشا لهؤلاء الذين رأوا بعضا من التغطية المعادية التي يتعرض لها شافيز في الصحافة الفنزويلية أيضا. غرابة في هذه الديكتاتورية المخيفة. مكاتب التحرير كانت مدركة بشكل جيد لهذه الاستطلاعات لكن من الواضح أنها فهمت ما الذي يمكن تمريره من خلال الفلاتر العقائدية. لقي إعلان الرئيس شافيز في كانون الأول ٢٠٠٧ اهتماما لا يذكر بمنحه العفو عن قادة الانقلاب العسكري الذي دعمته الولايات المتحدة وخطفوا الرئيس وحلوا البرلمان والمحكمة العليا وكل المؤسسات الديمقراطية الأخرى لكنهم اسقطوا فورا بثورة شعبية. لنقل بصراحة بأن الغرب لن يسمح بنموذج شافيز في حالة مماثلة. ربما كل هذا يقدم رؤية ابعد إلى (صراع الحضارات) وهي مسألة يجب أن تكون بارزة في أذهاننا كما اعتقد.

انتصارات الديمقراطية

نعوم تشومسكي

مقتبسة عن اللغة والمسؤولية بانثيون ١٩٧٧

سؤال: المفارقة أن كتاباتك السياسية وتحليلاتك للإيديولوجية الامبريالية الأمريكية تبدو معروفة أكثر في فرنسا والولايات المتحدة من النحو الذي أبدعته: النحو التوليدي. ذلك يفرض السؤال التالي: هل ترى رابطا بين النشاطات العلمية ـ دراسة اللغة ـ والنشطات السياسية؟ في أساليب التحليل مثلاً.

تشومسكي: إن كان هناك رابط فهو على المستوى المجرد. ليس لدي أي مدخل إلى أي أسلوب غير عادي في التحليل, والمعرفة الخاصة باللغة التي تناولتها ليس لها أي تأثير على القضايا الاجتماعية والسياسية. كل ما كتبته عن هذه المواضيع يمكن أن يكتبه أي شخص آخر. لا توجد رابطة مباشرة بين النشاطات السياسية من كتابات وغيرها وبين العمل المتعلق ببنية اللغة, رغم أنهما في بعض المقاييس يشتقان من فرضيات وآراء مشتركة محددة تتعلق بالمظاهر الأساسية للسلوك الإنساني. التحليل النقدي في المجال الإيديولوجي يبدو لي قضية مباشرة مقارنة بمقاربة تقتضي درجة من التجريد النظري. بالنسبة للتحليل الإيديولوجي الذي يشغلني كثيرا, عموما يكفي قليل من التفتح الذهني والذكاء العادي والشك السليم.

مثلا، خذ دور الانتلجنسيا في مجتمع كمجتمعاتنا. تتولى هذه الطبقة الاجتماعية التي تشمل المؤرخين والدارسين الآخرين والمعلقين السياسيين وغيرهم تحليل وتقديم صورة ما للواقع الاجتماعي. بفضل تحليلاتهم وتفسيراتهم يقومون بدور الوسيط بين الوقائع الاجتماعية وجماهير السكان: يخلقون التبرير الإيديولوجي للممارسة الاجتماعية. انظر إلى عمل أخصائي في المسائل المعاصرة وقارن تفسيرهم للأحداث، بين ما يقولونه وبين عالم الوقائع ستجد دائما اختلافا كبيرا منظما، مع الأخذ بعين الاعتبار الموقع الطبقي للانتلجنسيا.

تحاليل كهذه من الأهمية كما اعتقد لكن الواجب ليس صعب جدا، والمشاكل التي تنشأ لا تبدو لي بأنها تفرض الكثير من التحدي الفكري. بقليل من المثابرة والتطبيق، أي شخص راغب يحرر نفسه من جهاز الإيديولوجية المشتركة والدعاية سيرى فورا أساليب التشويه التي طورتها قطاعات أساسية من الانتلجنسيا. كل واحد قادر على ذلك. إذا نفذت هذه التحليلات بشكل هزيل هذا بسبب شائع تماما وهو أن التحليل السياسي والاجتماعي قد أنتج ليدافع عن مصالح خاصة أكثر من أن يروي الأحداث الفعلية.

بسبب هذه النزعة يجب أن يحرص التحليل بأن يعطي انطباعا مزيفا لكل الأحداث، وحدهم المثقفون المزودون بالتدريب الخاص قادرون على هكذا عمل تحليلي. في الواقع هذا بالضبط ما تود الانتلجنسيا بأن نعتقد فيه دائما: تتظاهر بأنها مشغولة بمشروع خفي يتعذر على الناس العاديين. لكن هذا مجرد هراء. إن العلوم الاجتماعية عموما وأولها تحليل القضايا المعاصرة بمتناول أي شخص يهتم بهذه

المسائل. التعقيد المزعوم والعمق وغموض هذه الأسئلة هو جزء من الوهم الذي روجه نظام السيطرة الإيديولوجية الهادف إلى جعل القضايا تبدو بمنأى عن عموم الناس وإقناعهم بعجزهم عن تنظيم قضاياهم الخاصة أو فهم العالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه دون إرشاد الوسطاء. لذلك السبب فقط يجب أن يحذر المرء بأن لا يربط تحليل القضايا الاجتماعية مع المواضيع العلمية التي تتطلب تدريبا خاصا وتقنيات وإطار فكري خاص من المراجع قبل أن يستطيع البحث بجدية.

في تحليل القضايا الاجتماعية والسياسية يكفي أن تواجه الحقائق وان تكون راغبا بإتباع خط منطقي في الجدل. ليس مطلوبا سوى الحس العام الديكارتي الموزع بالتساوي... بذلك فقط يمكنك أن تفهم الرغبة بأن تنظر إلى الحقائق بعقل منفتح وأن تضع الفرضيات البسيطة على المحك وان تتابع الجدل إلى نتيجته النهائية. دون ذلك لا يتطلب التحليل أي معرفة خاصة خفية لاستكشاف هذه الأعماق الغير موجودة.

سؤال: في الواقع أنا أفكر بالعمل الذي يهدف للكشف عن وجود (قواعد) للإيديولوجية عصية على وعي الذين انشغلوا بالتاريخ مثلا, الدراسة التي كرسها جان بيار فاييه لنشوء النازية. يبين هذا النوع من العمل أن نقد الإيديولوجية يمكن أن يبلغ عمقا فكريا.

تشومسكي: ا نالا أقول انه من المستحيل أن تخلق نظرية ممتعة فكريا تتعامل مع الايدولوجيا وأساسها الاجتماعي. ذلك ممكن, لكن ليست ضرورية لنفهم ما الذي يقنع المثقفين لإخفاء الحقيقة

خدمة لسلطة خارجية أو أن يروا كيف يتم ذلك في حالات خاصة ذات أهمية فورية. للتأكد يستطيع المرء أن يعالج كل هذا كموضوع مثير للبحث. لكن يجب أن نفصل شيئين:

١ ـ هل يمكن تقديم تحليل نظري هام لهذا؟ الجواب نعم، من حيث المبدأ. وهذا النوع من العمل قد يبلغ مستوى يتطلب فيه تدريبا خاصا وشكل من حيث المبدأ

٢ ـ في مثل هذه الحالة هل العلم ضروري لإزالة موشور التشويه الذي فرضته الانتلجنسيا على الوقع الاجتماعي ؟ الجواب لا. يكفي تطبيق مذهب الشك العادي.

دعنا نأخذ مثالا ماديا: حين يحدث حدث في العالم تبحث وسائل الإعلام الجماهيرية ـ التلفزيون والجرائد ... عن احد يفسره. في الولايات المتحدة، على الأقل، يلجئون إلى المختصين في العلوم الاجتماعية، استنادا على فكرة تبدو معقولة سطحيا وفي بعض الحالات منطقية أيضا ضمن حدود، بأن هؤلاء الخبراء لديهم كفاءة خاصة لشرح ما يحدث. وبالتماثل، من المهم جدا للخبراء أن يجعلوا كل واحد يعتقد بوجود الإطار الفكري المرجعي الذي لا يملكه احد سواهم لهذا لهم وحدهم الحق في التعليق على هذه المسائل أو من هم بموقع فعل ذلك. هذه طريقة واحدة تقوم بها الانتلجنسيا بدور مفيد ومؤثر داخل جهاز التحكم الاجتماعي. انك لا تسأل الرجل المار بالشارع كيف ستبني جسرا، أتفعل ذلك؟ بل تلجأ إلى خبير محترف. حسنا جدا وبنفس الطريقة أنت لا يجب أن تسأل الرجل الذي في الشارع: هل يجب أن نتدخل في انغولا؟ هنا يحتاج المرء إلى

الاختصاصيين ـ المنتقين بعناية والتأكد من ذلك.

لكي يبدو كل ذلك أكثر تحديدا ووضوحا دعني اعلق بطريقة شخصية جدا: في عملي التخصصي لمست تشكيلة منوعة من الحقول المختلفة. عملت بحثا في اللغويات الرياضية مثلا دون أن يكون عندي أوراق رسمية مهنية في الرياضيات؛ فقد تعلمت بنفسي هذا الموضوع ولم أتعلم جيدا. لكنني كنت ادعى دائما إلى الجامعات لأتحدث عن اللغويات الرياضية في حلقات البحث الرياضية. لم يسألني احد قط إن كنت احمل أوراقا رسمية وشهادات مناسبة تجيز لي الحديث عن هذه المواضيع التي لا يستطيع المختصون بالرياضيات إهمالها. ما يريدون أن يعرفوه هو يجب علي قوله. لم يعترض احد قط على حقي في الكلام أن كنت احمل شهادة الدكتوراه في الرياضيات أو إن كنت قد أخذت منهجا متقدما في هذا الموضوع. ذلك لم يخطر ببالهم أبدا. يريدون أن يعرفوا إن مصيبا أم مخطئا وإن كان الموضوع ممتعا أم لا أو إن كانت هناك طرق أفضل ممكنة ـ إن النقاش يتعامل مع الموضوع وليس مع حقي في النقاش.

لكن من جانب أخر، النقاش أو الجدل المتعلق بالقضايا الاجتماعية أو بالسياسة الخارجية الأمريكية كفيتنام أو الشرق الأوسط مثلا، فإن القضية تثار باستمرار دائما بغل كبير. لقد تحدوني مرارا بحجة أوراقي الرسمية أو سألوني ما هو التدريب الخاص الذي يؤهلك للتكلم عن قضايا كهذه. الافتراض أن الناس الذين هم مثلي غرباء عن رأي المحترفين وغير مؤهلين للتكلم بها.

قارن الرياضيات بالعلوم السياسية ـ مذهلة تماما. في الرياضيات

وفي الفيزياء يهتم الناس بما تقول وليس بشهادتك. لكن لكي تتحدث عن الواقع الاجتماعي يجب أن يكون لديك الثبوتيات المناسبة خصوصا إن ابتعدت عن إطار التفكير المقبول. عموما يبدو القول صحيحا أنه كلما كانت المادة الفكرية أغنى قل الاهتمام بالثبوتيات وكثر بالمحتوى. وقد يجادل المرء بأن التعامل مع القضايا الأساسية للمبادئ الإيديولوجية قد يكون خطيرا لأن هذه المبادئ لا تتعلق باكتشاف وشرح الوقائع كما هي فقط بل تهدف إلى عرض هذه الوقائع وتفسيرها بطريقة تتطابق مع متطلبات إيديولوجية محددة وتصبح خطرة على مصالح المؤسسات إن لم تكن كذلك.

لنكمل الصورة يجب أن أدون اختلافا بارزا من تجربتي الشخصية على الأقل بين الولايات المتحدة وبين ديمقراطيات صناعية أخرى في هذا الخصوص. لهذا وجدت على مدى هذه السنين أنني طلب مني كثيرا بأن أعلق على الشؤون الدولية أو الشؤون الاجتماعية بالصحافة والراديو والتلفزيون في كندا وأوروبا الغربية واليابان واسترالية أما في الولايات المتحدة فلم يطلب مني ذلك إلا نادرا.

استثني هنا الصفحات الخاصة التي يسمح فيها لخط من الرأي المخالف بل حتى يشجع لكنه يغلف ويعرف ب(تعبير كامل عن صنف من الآراء). أنني أشير إلى التعليق والتحليل الذي يدخل في التيار السائد لمناقشة وتفسير القضايا المعاصرة, اختلاف حاسم.

التناقض كان مثيرا خلال فترة حرب فيتنام ويبقى هكذا الآن. لو كان هذا مجرد تجربة شخصية واحدة فلن يكون لها أي أهمية لكنني متأكد بأنها ليست كذلك. الولايات المتحدة غير عادية بين

الديمقراطيات الصناعية في صرامة جهاز التحكم الإيديولوجي ـ (التلقين) يمكن أن نقول ـ الممارس عبر وسائط الإعلام الجماهيرية. احد هذه الأدوات تستخدم لانجاز هذا التضييق من منظور الاعتماد على الثبوتيات المهنية. نجحت الجامعات والقواعد الأكاديمية في الماضي في وقاية الآراء والتفسيرات الموافقة, لذلك سيضمن الاعتماد على الخبرة المختصة بأن الآراء والتحاليل التي تبعد عن الأرثوذوكسية ستكون نادرة عموما.

لهذا, حين أتردد لربط عملي في اللغويات مع تحليل القضايا الإيديولوجية, كما يقترح كثير من الناس فذلك لسببين. في المقام الأول أن هذا الرابط في الحقيقة غير واضح. فضلا على ذلك, لا أريد أن أساهم بالوهم بأن هذه المسائل تحتاج إلى إدراك تقني صعب المنال دون تدريب خاص. لكن لا أريد أن أنكر ما قلت: يمكن مقاربة طبيعة الإيديولوجية ودور التحكم الإيديولوجي والدور الاجتماعي للانتلجنسيا الخ, بطريقة متكلفة ومعقدة. لكن الواجب الذي يواجه المواطن العادي المتعلق بادراك الواقع الاجتماعي وإزاحة الأقنعة التي تخفيه لا يقارن بمشكلة جان بيير فاييه في دراسته للغة الديكتاتوريات.

سؤال: في تحليلاتك للإيديولوجية أشرت إلى حقيقة غريبة: أحيانا صحف معينة تمارس سياسة توازن تتألف من تقديم تقارير متناقضة أو تفسيرات جنبا إلى جنب. رغم انك قلت بأنه لا يؤخذ إلا بالرواية الرسمية التي تخص الإيديولوجية المسيطرة حتى لو كانت بدون إثبات, بينما تطرح رواية المعارضة جانبا رغم الدليل المقدم ومصداقية المصدر.

تشومسكي: نعم، جزئيا بسبب حالة الامتياز الممنوحة للرواية التي تتكيف بشكل أفضل مع حاجات السلطة والامتيازات. لكن من المهم أن لا نتغاضى عن عدم التوازن الهائل لكيفية تقديم الواقع الاجتماعي للعامة.

حسب علمي، في وسائل الإعلام الجماهيرية الأميركية لا تستطيع أن تجد صحفيا اجتماعيا واحدا أو معلق سياسي نقابي واحد اشتراكيا. من وجهة نظر إيديولوجية وسائل الإعلام تقريبا مئة بالمائة (رأسمالية الدولة). بمعنى أن الصورة هنا مطابقة للاتحاد السوفييتي حيث كل الذين يكتبون في البرافدا يمثلون الموقف الذين يسمونه (اشتراكية) ـ في الحقيقة، تشكيلة من اشتراكية الدولة المستبدة جدا. هنا في الولايات المتحدة هنالك درجة مدهشة من التماثل الإيديولوجي في بلاد بمثل هذا التعقيد. ليس هناك ولا صوت اشتراكي في وسائل الإعلام ولا حتى جبان، ربما هناك بعض الاستثناءات الهامشية لكن لا استطيع استذكار أيا منها بارتجال. بشكل أساسي هناك سببان لهذا. الأول، التجانس الإيديولوجي البارز للانتلجنسيا الأميركية عموما التي نادرا ما تبتعد عن احد الأشكال المتنوعة لإيديولوجية رأسمالية الدولة (ليبرالي أو محافظ) وتلك حقيقة تستدعي التفسير بحد ذاتها. السبب الثاني أن وسائل الإعلام مؤسسات رأسمالية. لاشك أن الأمر مثل هيئة المدراء في جنرال موتورز التي حتى لو وجد فيها اشتراكي فماذا سيفعل هناك؟ ليس لأنهم لم يقدروا أن يعثروا على شخص مؤهل. في المجتمع الرأسمالي وسائل الإعلام مؤسسات رأسمالية. وحقيقة أن هذه المؤسسات تعكس إيديولوجية

المصالح الاقتصادية المسيطرة ليست مفاجئة.

تلك حقيقة فجة وأولية. ما تحدثت به من نقاط ينطبق على ظواهر أدق. لكن يجب أن لا تجعلنا ننسى العوامل المسيطرة رغم تشويقها.

من الملاحظ انه رغم سجل أكاذيب الحكومة الواسع والمعروف أثناء فترة الحرب الفيتنامية، بقيت الصحافة مطيعة ومتماسكة بشكل لافت للنظر وراضية تماما بقبول ادعاءات الحكومة وإطارها الفكري وتفسيراتها لما كان يحدث. طبعا في مسائل تقنية ضيقة - هل الحرب ناجحة؟ مثلا - كانت الصحافة راغبة في الانتقاد وكان هناك مراسلون صادقون دائما في ميدان المعارك الذين وصفوا ما شاهدوه. لكنني أشير إلى النموذج العام للتفسير والتحليل والى الفرضيات الأكثر عمومية عما هو صحيح ومناسب. إضافة أن الصحافة أحيانا تخفي ببساطة وسهولة الوقائع الموثقة - قصف لاوس حالة لافتة للنظر.

لكن توضح تبعية وخنوع وسائل الإعلام بطرق اقل وضوح أيضا. خذ مفاوضات معاهدة السلام، التي كشفتها إذاعة هانوي في تشرين أول عام ١٩٧٢، قبل الانتخابات الرئاسية في كانون الأول مباشرة. حين ظهر كيسنجر على التلفزيون ليقول أن (السلام في متناول اليد)،عرضت الصحافة مطيعة روايته لما كان يحدث، رغم أن التحليل السريع لتعليقاته يظهر بأنه كان يرفض المبادئ الأساسية للمفاوضات في كل نقطة حاسمة، لذلك كان تصعيد الحرب الأمريكية أمرا محتوما - كما حدث في الواقع مع قصف عيد الميلاد. أنا لا أقول هذا فقط بالاستفادة من فهم متأخر بعد انكشاف الحوادث وإنما بذلت مع آخرين طاقة كبيرة في محاولة للوصل إلى الصحافة القومية لنواجه

الوقائع الواضحة في ذلك الوقت وكتبت أيضا مقال عنها قبل قصف عيد الميلاد تنبأت فيه خصوصا (بقصف متزايد ومرعب لفيتنام الشمالية.)[1]

استبدلت القصة الصحيحة في كانون الثاني عام ١٩٧٣ حين أعلن نهائيا عن معاهدة السلام. أوضح كيسنجر والبيت الأبيض مرة أخرى رفض الولايات المتحدة لكل المبادئ الأساسية الموقعة في المعاهدة لهذا كان استمرار الحرب محتوما. قبلت الصحافة مطيعة الرواية الرسمية وسمحت ببعض التزييف المذهل للموقف الواضح. لقد ناقشت كل هذا في مكان آخر.[2]

أو لنذكر حالة أخرى، في مقالة كتبتها في رامبارت[3] انتقدت فيها التفسيرات السابقة لحرب فيتنام التي قدمتها الصحافة حين انتهت الحرب عام ١٩٧٥ ـ الصحافة الليبرالية، الصحافة الأخرى غير مهتمة بهذا السياق.

عمليا بدون استثناء، قبلت الصحافة المبادئ الأساسية لدعاية الحكومة دون مسائلة. هنا نتكلم عن قسم الصحافة الذي اعتبر نفسه معارضا للحرب.المدهش أكثر.

ويقال المثل عن النقاد المتحمسين الحقيقيين للحرب، فإنهم لم يشعروا بها حتى. هذا ينطبق خصوصا على هؤلاء الذين يعتبرون أحيانا (النخبة الفكرية). هناك كتاب غريب في الحقيقة بعنوان النخبة الفكرية الأميركية كتبه سي كادوشين، يعرض فيه نتائج مسح موسع لأراء مجموعة عرفت باسم (النخبة الفكرية)، جرى عام ١٩٧٠.

يحتوي الكتاب على كمية عظيمة من المعلومات حول آراء المجموعة بالحرب في الوقت الذي كانت فيه المعارضة في ذروتها. الغالبية الساحقة اعتبرت نفسها مناوئة للحرب لكن لما يسمى بأسباب براغماتية بشكل عام: أصبحوا مقتنعين في لحظة ما بأن الولايات المتحدة لا تستطيع تكسب بكلفة مقبولة. أتخيل إن كانت دراسة (للنخبة الفكرية الألمانية) عام ١٩٤٤ سوف تخرج بنفس النتائج. تشير الدراسة وبشكل ديمقراطي تام إلى درجة ملحوظة من الامتثال والخضوع للإيديولوجية المسيطرة وسط الناس الذين يعتبرون أنفسهم نقادا واسعي الاطلاع لسياسة الحكومة.

نتيجة هذه التبعية الممتثلة لمن هم في السلطة، كما سماها هانس مورغينثاو أن المحاضرات والمناظرات السياسية في الولايات المتحدة كانت اقل تنوعا من بعض البلدان الفاشية، اسبانيا فرانكو مثلا، حيث كان هناك نقاش مثير يغطي مجالا إيديولوجيا واسعا. رغم عقوبات الانحراف عن المذهب الرسمي التي كانت أقسى بكثير مقارنة بما هي عليه هنا لم يتقيد الرأي والفكر بتلك الحدود الضيقة تلك الحقيقة التي أثارت دهشة المثقفين الأسبان الذين كانوا يزورون الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة من فترة فرانكو. والأمر مماثل في البرتغال الفاشية حيث كانت هناك مجموعات ماركسية في الجامعات، لنذكر مثالا واحدا فقط. مدى ومغزى التنوع الإيديولوجي أصبح واضحا بسقوط الديكتاتورية في المستعمرات البرتغالية ـ طريق مزدوج، في تلك الحالة، وبالمقابل تأثر المثقفون البرتغاليون بحركات التحرر كما اعتقد.

الأمـر مختلـف تمامـا في الولايـات المتحـدة. مقارنـة بالبلـدان الرأسمالية الديمقراطية الأخرى تعتبر الولايات المتحدة اصلب وأكثر عقائدية في تفكيرها السياسي والتحليل ليس وسط الانتلجنسيا فقط رغم أن الواقع في هذا القطاع لافتا للنظر أكثر. الولايات المتحدة استثنائية أيضا بعدم وجود ضغط مهم لمشاركة عمالية في الإدارة، ناهيك عن التحكم الحقيقي بالعمال. هذه القضايا ليست نشيطة في الولايات المتحدة كما هي عليه في أوروبا الغربية. وغياب أي صوت اشتراكي مهم أو نقاش أيضا صفة مدهشة في الولايات المتحدة مقارنة بالمجتمعات الأخرى التي فيها بنية اشتراكية ومستوى من التطور الاقتصادي.

نلاحظ هنا بعض التغيير البسيط في نهاية الستينات؛ لكن في عام ١٩٦٥ كنت تجد صعوبة كبيرة للعثور على أستاذ ماركسي أو اشتراكي في قسم الاقتصاد في الجامعات الرئيسية مثلا. سيطرت إيديولوجية رأسمالية الدولة على العلوم الاجتماعية وكل قاعدة إيديولوجية بشكل تام تقريبا. لقد سيطر هذا الامتثال الذي سمي (بنهاية الايدولوجيا) ولا يزال على المجالات المهنية بالإضافة إلى وسائل الإعلام الجماهيرية وصحافة الرأي. هذه الدرجة من الامتثال الإيديولوجي لافتة للنظر في دولة ليس فيها شرطة سرية وعلى الأقل ليست كثيرة وليس فيها معسكرات اعتقال. هنا ظل مدى التنوع الإيديولوجي (النوع الذي يتضمن جدلا حادا حول القضايا الاجتماعية) في حدود ضيقة جدا سنوات كثيرة وانحرف إلى اليمين أكثر من أي ديمقراطية صناعية أخرى. هذا مهم. حدة الذهن التي ألمحت إليها يجب

أن تؤخذ في هذا الإطار.

وقعت بعض التغييرات في الجامعات في نهاية الستينات, بسبب حركة الطلاب التي طالبت وأنجزت بعض التوسيع في مدى التفكير المجاز. كانت ردود الأفعال مشوقة. أما الآن فقد قل ضغط حركة الطلاب, هنالك جهد كبير لإعادة بناء الأرثوذوكسية التي انقطعت قليلا. لقد تم تصوير الطلاب اليساريين باستمرار في النقاشات والأدب الذي عالج تلك الفترة ـ التي دعيت ب(زمن المشاكل) أو شيئا من هذا القبيل الطلاب على أنهم خطر يهدد حرية البحث والتعليم؛ وقيل بأن حركة الطلاب وضعت حرية الجامعات في خطر كبير بسعيها إلى فرض سيطرة إيديولوجية استبدادية عليها. هذا ما وصف به مفكرو رأسمالية الدولة الواقع حين أضحت سيطرتهم الإيديولوجية شبه التامة محل شك بسيط وسعوا ثانية إلى إغلاق الصدوع البسيطة في جهاز سيطرتهم على الفكر ولعكس العملية التي من خلالها ظهر بعض التنوع البسيط داخل المؤسسات الإيديولوجية: التهديد الاستبدادي للفاشية اليسارية! وصدقوا هذا فعلا, إلى درجة كأنهم خضعوا لعمليات غسل أدمغة وسيطرت عليهم التزاماتهم الإيديولوجية. يتوقع المرء ذلك من الشرطة لكن عندما يأتي من المثقفين فإنه يثير دهشة شديدة.

من الصحيح بالتأكيد وجود بعض الحالات في الجامعات الأميركية التي خرجت فيها أعمال الطلاب عن الحدود المناسبة والمشروعة. بعض أسوأ تلك الحوادث كما نعرف الآن هي التي حرض عليها مثيرو الشغب الحكوميين[٤] القليلين بدون شك وتجاوزت

الحركة الطلابية نفسها. إنها هي الحوادث التي يركز عليها كثير من المعلقين حين يشجبون الحركة الطلابية.

لكن التأثير الرئيسي للحركة الطلابية كان مختلفا تماما كما اعتقد. فقد رفعت تحديا بوجه تبعية الجامعات للدولة ولقوى خارجية أخرى ـ رغم أن هذا التحدي لم يثبت فعاليته الشديدة وبقي هذا الخضوع متماسكا إلى حد كبير ـ ونجحت بأن تحدث أحيانا وبنجاح محدود ثغرة في المجالات الإيديولوجية، وبهذا جلبت بعض التنوع في الفكر والدراسة والبحث. برأيي، كان تحدي التحكم الإيديولوجي الذي رفعه طلاب العلوم الاجتماعية في المقام الأول(اغلبهم من الليبراليين) مما اثر رعبا كبيرا اقترب أحيانا من الهستريا التي تجلت في ردود أفعال (النخبة الفكرية). تبدو لي بأن الدراسات التحليلية والدراسات التي تتناول الماضي الظاهرة اليوم مبالغة جدا وغير دقيقة في راويتها للأحداث التي وقعت ومغزاها. يسعى كثير من المثقفين إلى إعادة بناء الأرثوذكسية والسيطرة على الفكر والاستعلام التي أسسوهما بنجاح كبير وتهديد الحرية يعني دائما فيها تهديد للمفوضين المسيطرين.

سؤال: لقد عبئت الحركة الطلابية ضد الحرب في فيتنام أولا لكن الم تتورط في قضايا أخرى بعد ذلك فورا؟

تشومسكي: كانت القضية المباشرة حرب فيتنام لكن كانت هناك أيضا حركة الحقوق المدنية في السنوات السابقة ـ يجب أن تتذكر بأن الناشطين و طلائع حركة الحقوق المدنية في الجنوب كانوا من الطلاب على الأغلب مثل (لجنة تنسيق الطلاب السلميين)

وهي جماعة مؤثرة ومهمة جدا بقيادتها السوداء شبه الكاملة التي أيدها كثير من الطلبة البيض. لقد قامت بالإضافة إلى أن بعض القضايا السابقة بفتح الحرم الجامعي بوجه طيف أوسع من الفكر والنشاطات السياسية المتنوعة كما في جدل الخطاب الحر في بيركلي.

لم يبدو لي الأمر آنذاك بأن الناشطين الطلابيين يحاولون تسيس الجامعات. في الفترة التي لم تكن فيها سيطرة هيئة المذهبيين على الجامعات موضع بحث بعد. سيست الجامعات بشكل كبير وقامت بإسهامات منتظمة وهامة للقوى الخارجية وخصوصا الحكومة وبرامجها وسياسياتها واستمر ذلك خلال فترة الحركة الطلابية كما هو اليوم. وسيكون القول أكثر دقة لو قلنا بأن الحركة الطلابية حاولت منذ البداية أن تفتح الجامعات وتحررها من السيطرة الخارجية. اعتبر الذين افسدوا الجامعات وحولوها بدرجة ما إلى أدوات لتنفيذ سياسة الحكومة والإيديولوجية الرسمية هذه المحاولة غير مشروعة وشكل من أشكال (التسيس). يتضح ذلك في مخابر الجامعات التي كرست لإنتاج الأسلحة أو ببرامج العلوم الاجتماعية التي على علاقة أساسية بمحاربة التمرد ووكالات المخابرات الحكومية والدعاية والسيطرة الاجتماعية وفي مجال الدراسة الأكاديمية ولو بوضح اقل لكنه مؤكد.

لتوضيح ذلك. خذ مثال الحرب الباردة. وما نعت بالتفسير المنقح للفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.(المنقحون) كما تعرف. هم المعلقون الأميركيون الذين عارضوا الرواية الأرثوذكسية. كانت

الأرثوذكسية هي المسيطرة تماما آنذاك ورأت بأن سبب الحرب الباردة العدوانية الروسية والصينية فقط وأن الولايات المتحدة لعبت دورا سلبيا فيها ولم يكن سوى رد فعل عليها. لقد تبنى هذا الموقف المعلقين الليبراليين أيضا. خذ رجلا مثل جون كينيث غالبرايث الذي كان من أكثر العقول انفتاحا وتساؤلا وشكا كما انه أحد الذين حاولوا أن يكسروا الإطار الأرثوذوكسي لكثير من القضايا. حسنا في كتابه الدولة الصناعية الجديدة الذي نشر عام ١٩٦٧ ـ أكد على أهمية الرأي النقدي والمنفتح للانتلجنسيا وتشجيع فرص هذه الاقتراحات يقول (إن السبب التاريخي الذي لا جدال فيه) للحرب الباردة كان النزعة العدوانية الروسية والصينية: (الطموحات الثورية والقومية للسوفييت وللصينيين مؤخرا والحماس الإلزامي لتأكيدها)[٥] وظل الليبراليون يرددون هذا القول حتى عام ١٩٦٧.

طور جيمس وربيرغ و دي اف فليمنغ ووليام ابلمان وغار البيروفيتز وآخرون البديل (التنقيحي) في روايات متنوعة متضاربة . لقد جادلوا بأن الحرب الباردة نتجت عن تداخل خطط وشكوك القوى الكبرى. لم يلاق هذا الموقف التصديق الكافي فقط بل دعمه سجل الوثائق التاريخية أيضا. لكن قلة من الناس تهتم بالدراسات (التنقيحية) التي كانت دائما موضع احتقار أو مجرد ثرثرة بين التحاليل الجادة.

أصبح من المستحيل بنهاية الستينات الحيلولة دون الأهمية الخطيرة للموقف (التنقيحي) بسبب ضغوط الحركة الطلابية. كما أن عدد كبير من الطلاب اقتنى هذه الكتب وأرادوا مناقشتها وما نتج كان مشوقا تماما.

في المقام الأول، بمجرد اخذ البديل التنقيحي بالاعتبار تبدد الموقف الأرثوذكسي وتلاشى ببساطة وانكشف بأنه بلا هدف فور فتح النقاش عمليا وبذلك تم نبذه. الأرثوذوكسي.

من المؤكد بأن المؤرخين الأرثوذوكسيين لم يعترفوا بأنهم كانوا على خطأ وبدلا من ذلك وأثناء تبني بعض الآراء التنقيحية نسبوا للتنقيحيين موقفا غبيا رأى بأن (الحكومة السوفيتية مجرد هدف سيء الطالع لسياستنا الشريرة). كان هذا ترجمة هيربت فيس لموقف غار البيروفيتز الذي كانت وجهة نظره الفعلية كالتالي(لا يمكن فهم الحرب الباردة ببساطة على أنها رد فعل أميركي على التحدي السوفييتي بدلا من كونها تداخل خبيث من الشكوك المتبادلة يجب أن يتقاسم الكل مسؤوليتها.) كان الرأي الذي نسب للمنقحين غبيا ولم يأخذ بحسابه التداخل بين القوى الكبرى. راجع المؤرخون الأرثوذوكسيون بعض من عناصر التحليل التنقيحي ونسبوا إليها عقيدة بلهاء كانت مختلفة أساسا عما تم اقتراحه فعليا وكانت في الواقع صورة مطابقة تماما للموقف الأرثوذكسي الأصلي. تحفيز هذا النوع من الجدل واضح تماما طبعا.

بدءا من هذا الأساس المنقح قليلا، سعى كثير من المؤرخين الأرثوذوكسيين إلى إعادة بناء صورة النزعة الأميركية لفعل الخير والتسامح. لكن لا أريد أن ادخل في هذا التطور هنا. بالنسبة إلى اثر التحليل التنقيحي، يقدم غالبرايث مثالا مشوقا آخرا: لقد اقتبست للتو هذا الكتاب الذي صدر في العام ١٩٦٧. في طبعة منقحة، ١٩٧١ استبدل (ال التعريف) (بنكرة) في المقطع المقتبس: (الطموحات

الثورية والقومية للسوفييت وللصينيين مؤخرا والحماس الإلزامي لتأكيدها كانت سببا لا جدال فيه [للحرب الباردة] (التأكيد لي).
هذا السياق لا يزال مضللا ومنحازا لأنه لم يتحدث عن الأسباب الأخرى؛ سيكون مشوقا أيضا أن نرى تماما بأي شكل كانت فيه مبادرات الصين (سببا لا شك فيه) للحرب الباردة. لكن الموقف على الأقل ممكن الدفاع عنه، على عكس الموقف الأرثوذكسي، الذي قدمه في الطبعة السابقة قبل أربع سنوات ـ وكان سابقا للتأثير العام لحركة الطلاب في الجامعات.

غالبرايث مثال مشوق فقط لأنه واحد من أكثر العقول انفتاحا وتساؤلا وشكا بين الانتلجنسيا الليبرالية. تعليقاته عن الحرب الباردة واسبابها أيضا مشوقة لأنها عرضت كملاحظة جانبية عرضية: لم يحاول في هذا السياق أن يعطي تحليلا تاريخيا أصيلا، بل مجرد نقل لتمرير الإيديولوجية المقبولة بين الليبراليين الذي كانوا شكاكين إلى حد ما وناقدين. نحن لا نتكلم عن ارثر شليزنغر والمذهبيين الآخرين الذي يقدمون أحيانا نخبة من حقائق تاريخية منتقاة بطريقة مشابهة لمؤرخي الأحزاب من العقائد الأخرى.

يستطيع المرء إدراك سبب رعب الكثير من المثقفين الليبراليين في نهاية الستينات، لماذا وصفوا هذه الفترة بأنها إحدى فترات الديكتاتورية اليسارية: لأنهم اجبروا مرة على النظر إلى حقائق العالم في الوجه. تهديد خطير وخطر حقيقي على الناس الذين وظيفتهم هي السيطرة الإيديولوجية. هناك دراسة مشوقة حديثة أصدرتها اللجنة الثلاثية ـ أزمة الديمقراطية لمايكل كروزير وصامويل هنتينغتن

وجوجي واتانوكي ـ التي ناقشت فيها مجموعة عالمية من الدارسين ما يرونه تهديدا معاصرا للديمقراطية. احد هذه التهديدات يفرضه (مثقفو القيمة الموجهة) الذين يتحدون دائما المؤسسات المسؤولة عن (تلقين الشباب) ـ عبارة مناسبة كما يشيرون بشكل صحيح. كما ساهمت حركة الطلاب بدور مهم في مظهر (أزمة الديمقراطية) أيضا.

تجاوز النقاش في أواخر الستينات المسألة الفيتنامية أو تفسير التاريخ المعاصر واهتم بالمؤسسات نفسها. وتم تحدي الاقتصاد الأرثوذكسي باختصار من قبل الطلاب الذين أرادوا تولي نقد عمل الاقتصاد الرأسمالي فشككوا بالمؤسسات ورغبوا بدراسة ماركس والاقتصاد السياسي.

قد استطيع التوضيح مرة أخرى بحكاية شخصية نادرة: في ربيع ١٩٦٩ مجموعة صغيرة من الطلاب في كلية الاقتصاد هنا في كامبريدج أرادت أن تشرع في نقاش عن طبيعة علم الاقتصاد كحقل للدراسة. لكي يفتتحوا هذا النقاش، حاولوا أن ينظموا مناظرة بين متحدثين بارزين بول صامويل سن الاقتصادي الكنزي البارز في ام أي تي (حائز على نوبل الآن) وبين اقتصادي ماركسي.لكنهم لم يجدوا للدور الأخير أي واحد في منطقة بوسطن، لم يرد احد أن يشكك بالوضع النيوكلاسيكي من وجهة نظر الاقتصاد السياسي الماركسي. أخيرا طلب مني التصدي لهذا الواجب رغم عدم معرفتي التخصصية في علم الاقتصاد ولست ملتزما بالماركسية. لست مختصا ولا شبه مختص، في عام ١٩٦٩! وكامبريدج مكانا يعج بهذه الأشياء. ذلك قد يعطيك فكرة عن المناخ الفكري السائد. من الصعب تخيل

أي شيء مثل هذا في أوروبا الغربية واليابان.

لقد بدلت حركة الطلاب هذه الأشياء بدرجة صغيرة: لقد تم وصف ذلك على انه رعب في الجامعة..... واستعرض ال اس اس في أروقة الجامعة... لم تتجو انتلجنسيا الأكاديمية من هذه الهجمات المرعبة التي قام بها طلاب متطرفون... طبعا، بسبب شجاعتهم العظيمة فقط. أوهام لا تصدق! رغم وجود حوادث، أحيانا أثارها استفزازيو المخابرات الفدرالية كما نعرف الآن التي حرضت على ذلك التفسير المذعور. يا له من شيء مدمر إن انفتحت الجامعة قليلا! لكن وسائل الإعلام لم تتأثر إطلاقا أما الآن فقد أعيد توطيد الأرثوذوكسية بسبب غياب الضغط. مثلا، مؤرخ دبلوماسي كبير مثل غاديش سميث يستطيع أن يصف الآن وليامز وكولكو ب(مؤلفي كراريس) في مراجعة نيويورك تايمز لأفضل كتاب.

سؤال: إلى ماذا تتسب سقوط هذا الضغط؟

تشومسكي: إلى أشياء كثيرة. عندما تطور اليسار إلى حركة الطلابية في الولايات المتحدة لم تستطع أن تقرن نفسها مع أي حركة اجتماعية أوسع متجذرة في أي قطاع اجتماعي هام والسبب الأخر الضيق الإيديولوجي للفترة السابقة. الطلاب من مجموعة اجتماعية هامشية وعابرة ولم يشكل الطلاب اليساريون سوى أقلية صغيرة تواجهها ظروف صعبة على الأغلب. لم يوجد تقاليد ثقافية حية لليسار ولا حركة اجتماعية لها قاعدة في الطبقة العاملة. لم يكن هناك تقاليد حية أو حركة شعبية ينالون منها الدعم. في هذه الظروف من المدهش أن الحركة الطلابية استمرت كل تلك الفترة.

سؤال: والجيل الجديد

تشومسكي: لقد واجهته أشكال جديدة من التجربة. يجد طلاب اليوم انه من الأسهل التأقلم مع الطلبات المفروضة عليهم من الخارج، رغم أن المرء يجب أن لا يبالغ؛ من تجربتي على الأقل، الجامعات ليست كما كانت في الخمسينات وأوائل الستينات. الركود الاقتصادي والكساد فعلا الكثير في مواقف الطلاب. في ظل ظروف الستينات كان باستطاعة الطلاب الافتراض بأنهم سيجدون وسائط عيش. لا يهم ما يفعلوه كان في المجتمع فجوات كافية وهناك إحساس بالرحابة والتفاؤل لذلك كان الأمل بإيجاد مكان بطريقة ما ممكنا. أما الآن فلم تعد الحال هكذا.حتى (المنضبطين) والمجهزين مهنيا قد يصبحوا سائقي سيارات أجرة متعلمين جيدا. لقد تأثر النشاط الطلابي بكل هذا.

كما لعبت عوامل أخرى دورها.يوجد دليل بأن جامعات محددة وربما كثيرا منها سعت صراحة إلى إبعاد الطلاب اليساريين. حتى في الجامعات الليبرالية فرضت معايير سياسية لإقصاء الطلاب الذين قد يتسببوا بمشاكل. ليس كلهم بالكامل طبعا وإلا سيضطرون إلى طرد كل الطلاب الجيدين. وواجه الطلاب اليساريون صعوبات خطيرة في العمل في الجامعات أو فيما بعد في الفوز بمناصب على الأقل في المبادئ الإيديولوجية والعلوم السياسية وعلم الاقتصاد والدراسات الأسيوية مثلا.

سؤال: في وقت نشر كتابك بالفرنسية العنف المضاد للثورات دار حديث كثير في فرنسا بأن الأصل الانكليزي قد خضع للرقابة (أي

منع التوزيع) من قبل المجمع التي تنتمي إليه دار النشر التي أغلقت وطرد موظفوها فأصبح رئيس التحرير سائق تاكسي وهو ينظم الآن نقابة لسائقي السيارات. لقد شكك التلفزيون الفرنسي بهذه القصة.

تشومسكي: الرقابة من قبل المجمع وقعت كما وصفت لكنه كان عملا غبيا من جانبهم. الرقابة بذلك المستوى ليست ضرورية، بسبب عدد القراء المحتملين من جانب ومن جانب آخر الثقل الذي مارسه النظام الإيديولوجي الضخم. كنت أفكر دائما لو وجد هناك نظام فاشي فسيختار النظام الأمريكي. رقابة الدولة غير ضرورية أو فعالة جدا مقارنة بالسيطرة الإيديولوجية التي تمارسها الأنظمة الأكثر تعقيدا وأكثر لا مركزية.

سؤال: ضمن هذا الإطار، كيف تفسر قضية ووترغيت؟ التي عرضت دائما في فرنسا بأنها انتصار للديمقراطية.

تشومسكي: اعتبار ووترغيت انتصار للديمقراطية خطأ برأي. السؤال الحقيقي الذي طرح لم يكن: هل استخدم نيكسون طرقا فاسدة ضد مناوئيه السياسيين؟ بل: من هم الضحايا؟ الجواب واضح. لم يدن نيكسون لأنه استخدم طرقا تستحق الشجب في صراعاته السياسية وإنما لأنه ارتكب خطأ في اختيار مناوئيه الذين طبق عليهم هذه الوسائل. لقد هاجم الناس بالسلطة.

أشرطة التسجيل؟ مثل هذه الممارسات موجودة منذ وقت طويل. لديه (قائمة أعداء) لكن لم يحدث شيء لمن كانوا على القائمة. أنا شخصيا كنت عليها ولم يحدث شيء لي. كلا، هو اخطأ في اختيار أعداءه: كان على قائمته رئيس أي بي ام ومستشارين حكوميين

سابقين وناقدين مميزين في الصحافة ومؤيدين عالي المستوى من الحزب الديمقراطي. هاجم واشنطن بوست وهي مؤسسة رأسمالية رئيسية. لقد دافع هؤلاء الناس الأقوياء عن أنفسهم فورا كما هو متوقع. وترغيت؟ رجال في السلطة ضد رجال في السلطة .

جرائم مماثلة وأخرى اخطر منها، يمكن أن يتهم بها أشخاص آخرين بالإضافة إلى نيكسون. لم يتم الاعتراض على الجرائم الموجهة بشكل نموذجي ضد الأقليات أو ضد حركات التغيير الاجتماعي إلا القليل منها وأبعدت الرقابة الإيديولوجية هذه القضايا عن عيون الناس أثناء فترة ووترغيت رغم أن التوثيق اللافت للنظر المهتم بهذا القمع ظهر في هذا الوقت بالذات. ولم تلفت الصحافة والمعلقون السياسيون إلى بعض الحالات الحقيقية والعميقة من إساءة استعمال سلطة الدولة التي لا تزال خطورتها دون إدراك أو اكتشاف.

مثلا، نشرت لجنة الكنيسة معلومات لم يتضح مغزاها بعد فعلا التي ركزت دعايتها كثيرا على قضية مارتن لوثر كينغ في زمن كشفها لكن المهم أن الصحف لم تتعامل معها إلى اليوم(كانون الثاني ١٩٧٦). المثال التالي: في شيكاغو كانت هناك عصابة تدعى بلاكستون رينجرز التي كانت تعمل في أحياء الأقليات (اليهودية) كانت تلك العصابة على علاقة ببلاك بانثرز التي حاولت تسيسها، كما يبدو. طالما ظلت بلاكستون رينجرز عصابة شوارع أقليات أي عصابة إجرامية، كما صورتها الاف بي آي على الأقل فإنها ليست مهمة كثيرا وهذه طريقة للسيطرة على الجيتو أيضا لكن لو نظمت في مجموعة سياسية متطرفة تصبح عندئذ خطيرة.

إن الوظيفة الأساسية للاف بي آي ليست إيقاف الجريمة بقد ما هي عمل شرطة سياسية ويدل على ذلك ميزانية الاف بي آي وطريقة تقسيمها. بعض المعلومات حول هذا الموضوع كشفتها مجموعة تطلق على نفسها اسم (لجنة المواطنين للتحقيق في الاف بي آي) التي نجحت في سرقة مجموعة من الوثائق المكتبية من المكتب الإعلامي للاف بي آي في بنسلفانيا وحاولت نشرها في الصحافة. تحليل هذه المعلومات كان التالي تقريبا : ٣٠٪ كانت مخصصة للإجراءات الروتينية, ٤٠ ٪ للمسح السياسي الذي شمل مجموعتان من الجناح اليميني وعشر مجموعات مهتمة بالمهاجرين وأكثر من مائتي مجموعة ليبرالية أو يسارية, ١٤٪ أي دبليو او ال والهاربين من الجندية؛ ١٪للجريمة المنظمة ـ اغلبها قمار ـ والبقية للاغتصاب وسرقة البنوك والجريمة الخ.

بمواجهة هذا التحالف بين رينجرز وبلاك بانثرز, قررت الاف بي آي أن تتصرف بما يتماشى مع خط البرنامج القومي بتفكيك اليسار الذي كانت مشغولة به ـ برنامج الاستخبارات المضادة القومي المعروف كوينتلبرو. سعت إلى إثارة فتنة بين المجموعتين بواسطة التزوير, أرسلت رسالة مجهولة الاسم إلى زعيم رينجرز بواسطة شخص عرف بنفسه على أنه (أخ اسود). حذرت الرسالة من مؤامرة للبانثر لاغتيال زعيم رينجرز. كان الغرض الواضح أن يحرضوا رينجرز للرد بعنف على مؤامرة الاغتيال الخيالية . ومن المعلوم أن وثائق الاف بي آي وصفت رينجرز كجماعة (النشاط العنيف وإطلاق النار والقتل وما شابه كانت طبيعته الثانية).

لكنها لم تنجح، ربما لأنه في ذلك الوقت كانت العلاقات بين رينجرز وبانثرز قوية جدا. تعهدت الاف بي آي بمهمة تدمير بانثر بنفسها. كيف؟

رغم عدم وجود تقصي منظم، يمكننا أن نبني من جديد ما يبدو بأنه قصة معقولة: بعد أشهر قليلة في كانون الأول عام ١٩٦٩، أدارت شرطة شيكاغو غارة قبل الفجر على سكن بانثر وأطلقت مئة طلقة تقريبا. في البداية زعمت الشرطة بأنها ردت على نار عصابة بانثرز لكن ثبت بسرعة من قبل الصحافة المحلية أن هذا كان زيفا. وقتل هامبتون وهو أحد أكثر الزعماء الموهوبين والواعدين في البانثرز في سريره ويوجد دليل بأنه قد خدر كما ادعى الشاهد بأنه قتل بدم بارد (قصدا) وقتل مارك كلارك أيضا. هذه الحادثة يمكن وصفها كاغتيال سياسي بطريقة الجيستابو. في ذلك الوقت اعتقد بأن شرطة شيكاغو كانت وراء الغارة. كان ذلك سيكون كافيا إلا أن الحقائق تكشفت بعد ذلك وأوحت بشيء أكثر فسادا. نعرف اليوم أن حارس هامبتون الشخصي ويليام اونيل الذي كان رئيس أمن البانثر كان مخبرا للاف بي أي. قبل الغارة بأيام حولت الاف بي آي إلى شرطة شيكاغو مخطط ارضي لمسكن البانثر قدمها اونيل، مع تعليم موقع الأسرة مع تقرير ملتبس لأونيل بان الأسلحة الغير شرعية كانت مخبأة في الشقة: ذريعة الغارة. ربما مخطط الطابق الأرضي يفسر الحقيقة، كما لاحظ المراسلون، إن نيران الشرطة كانت موجهة إلى الزوايا الداخلية في الشقة بدلا من المداخل. بالتأكيد هذا يقوض الادعاء الأصلي بأن الشرطة كانت تطلق النار ردا على إطلاق بنادق

بانثرز, مشوشة ببيئة غير مألوفة. أفادت صحافة شيكاغو أن عميل الاف بـي آي الـذي سـلمه اونيـل التقريـر كـان رئـيس شـيكاغو كوينتيلبرو الموجهة ضد مجموعات السود. إن كان هذا صحيح أم لا, فهناك دليل مباشر عن تواطؤ الاف بي أي في الجريمة.

وضع هذه المعلومات معا مع محاولة الاف بي آي الموثقة لتحريض العنف وحرب العصابات قبل شهور قليلة, يبين بشكل منطقي بأن الاف بي آي تولت تنفيذ الجريمة التي لم تستطع أن تجعل المجموعة (الميالة للعنف) القيام بها والتي وجهت لها رسالة ملفقة لتوريط البانثرز في عملية محاولة اغتيال زعيمها.

تفوق هذا الحادثة لوحدها التي لم تتقصى عنها لجنة الكنيسة بجدية تامة وترجح على كل حادثة ووترغيت بأهميتها بفارق أساسي كبير. لكن بقليل من الاستثناءات لم يكن لدى الصحافة القومية والتلفزيون ما تقوله عن الموضوع الذي غطي بشكل جيد محليا في شيكاغو. لم يتعرض المعلقون السياسيون للمسألة أبدا. مقارنة تغطية مثل هذا النوع من الأعمال الوحشية بقائمة أعداء كندي أو التحايل على الضريبة لافت للنظر تماما. مثلا, خلال كل فترة ووترغيت لم تجد نيوريببلك ـ اللسان الناطق بلسان الليبرالية الأميركية عمليا آنذاك ـ مناسبة لتنقل أو تعلق على هذه المسائل رغم أن الوقائع الأساسية والوثائق أصبحت معروفة جيدا.

رفعت عائلة فريد هامبتون قضية مدنية ضد شرطة شيكاغو, لكن تم إبعاد تورط الاف بي أي في المحاكم رغم المعلومات الكثيرة

المتوفرة المتعلقة بالموضوع بشهادة خطية تحت القسم. إن كان الناس الذين تضرروا من (رعب ووترغيت) ف مهتمين فعلا بالحقوق المدنية والإنسانية يجب عليهم أن يلاحقوا المعلومات التي أطلقتها لجنة الكنيسة المتعلقة بقضية بلاكستون رينجرز ويدرسوا المعلومات المتعلقة بما سمي بتورط الاف بي في مقتل فريد هامبتون بيد شرطة شيكاغو. يجب أن يشرع في تحقيق جدي للكشف عن أي صلات محتملة وفضح دور الاف بي آي في عهد نيكسون وسابقيه. لأن موضوع البحث هنا عملية اغتيال تورطت فيها الشرطة السياسية وجريمة تجاوزت كثيرا كل ما نسب إلى نيكسون في تحقيقات ووترغيت. يجب أن اذكر أن استجواب ووترغيت لامس قضية ذات أهمية غير عادية لكن بأسس ضيقة وهي قصف كمبوديا – إن الجريمة اتهم بها نيكسون هي السرية المزعومة للقصف وليس الواقعة نفسها.

هناك قضايا أخرى من هذا النوع. مثلا، لقد موّلت الاف بي آي في سان دييغو مجموعة مسلحة متطرفة من الجناح اليميني، مجموعة مينت مين السابقة التي تحولت إلى شيء سمي بمنظمة الجيش السري المتخصصة في مختلف أنواع الأعمال الإرهابية. سمعت بها أول مرة من طالب سابق كان نفسه هدفا لمحاولة اغتيال قامت بها المنظمة. في الواقع لقد كان هو الطالب الذي نظم المناظرة عن علم الاقتصاد التي تحدثت عنها قبل قليل حين كان لا يزال طالبا في ام آي تي ويعلم الآن في جامعة سان دييغو ستيت ومتورط في نشاطات سياسية ـ غير عنيفة كلها.

رئيس منظمة الجيش السري ـ احد مثيري الشغب الذين يتقاضون المال من الاف بي آي — مر بسيارة من جانب بيته وأطلق رفيقه النار داخل البيت وأصاب امرأة شابة بجروح خطيرة. المرأة المستهدفة لم تكن في البيت في ذلك الوقت. السلاح سرقه مثير الشغب العميل للاف بي آي. وبناءا على ما جاء عن الفرع المحلي أي سي ال يو، سلمت البندقية لمكتب الاف بي آي في سان دييغو لإخفائها، وظلت الاف بي آي تكذب على شرطة سان دييغو ستة شهور بشأن الحادث ولم تنشر الحادثة وتصبح معروفة للعموم حتى وقت متأخر.

هذه المجموعة الإرهابية الممولة والتي توجهها الاف بي آي فككتها شرطة سان دييغو بعد أن حاولت أن تحرق مسرحا بواسطة قنبلة بحضور الشرطة. عميل الاف بي آي موضع السؤال الذي أخفى السلاح نقل إلى خارج ولاية كاليفورنيا لكي لا يحاكم. ومثير الشغب التابع للاف بي آي نجا من الحكم رغم محاكمة عدد من أعضاء المنظمة الإرهابية السرية. تورطت الاف بي آي في محاولات لتحريض حرب عصابات بين الجماعات السود في سان دييغو كما في شيكاغو بنفس الوقت. كشفت وثائق سرية بأن الاف بي آي تعهدت بالتحريض على إطلاق النار والضرب وإثارة الاضطراب في الجيتو وهي حقيقة لم تثر في الصحافة أو جرائد الرأي سوى تعليق بسيط.

هذا الشاب نفسه تعرض لمضايقات بطرق أخرى. وثبت بأن الاف بي آي استمرت في إخضاعه إلى أنواع مختلفة من التخويف والتهديد بواسطة مثيري الشغب. إضافة إلى ذلك وحسب ما جاء عن محامييه أن الاف بي آي قدمت معلومات للجامعة التي كان يعلم فيها كانت

الأساس لتهم سوء التصرف التي جمعت ضده. واجه ثلاث استجوابات متتالية في الجامعة وكان يعفى في كل مرة من التهم المرفوعة ضده. عند ذلك الحد أعلن رئيس جامعة كاليفورنيا ستيت غلين دومكي بأنه لن يقبل نتائج التحقيق التي قامت بها لجان الاستماع المستقلة وطرد ببساطة من منصبه. لاحظ أن مثل هذه الحوادث الكثيرة لا تعتبر استبدادا في الجامعات.

سلمت الوقائع الأساسية للجنة الكنيسة في حزيران ١٩٧٥ وقدمها أيضا للصحافة. بحدود ما اعرف, لم تجر اللجنة أي تحقيق في المسألة. ولم تقل الصحافة عمليا أي شيء عن هذه الحوادث وقليل جدا بعدها. كانت هناك تقارير مشابهة تتعلق ببرامج حكومية قمعية أخرى. مثلا, نقل بأن المخابرات العسكرية تورطت في أعمال غير قانونية في شيكاغو. في سياتل بذلت جهود كبيرة لتمزيق وتشويه سمعة جماعات الجناح اليساري المحلي. أمرت الاف بي آي احد عملاءها لتحريض مجموعة من المتطرفين الشباب لكي ينسفوا جسرا؛ ورتبت بحيث أن الشخص الذي سيزرع القنبلة سينسف معها أيضا. رفض العميل تنفيذ هذه التعليمات. وبدلا من ذلك تحدث إلى الصحافة واقتيد أخيرا إلى المحكمة للإدلاء بشهادته. بهذه الطريقة تصبح المسائل معروفة. في سياتل كان عملاء الاف بي آي يحرضون على إحراق المباني والإرهاب والتفجير وفي حالة واحدة أوقع بشاب اسود في محاولة سرقة بدؤوها هم وقتل أثناء العملية. نقل هذا الخبر فرانك دونر في صحيفة نيشن وهي واحدة من الصحف الأميركية القليلة التي تحاول تقديم تغطية جادة لمثل هذه القضايا.

هناك الكثير من هذا. لكن كل هذه الحوادث المعزولة تأخذ معناها الكامل لو وضعتها في سياق سياسات الاف بي آي منذ نشؤها بعد الحرب العالمية الأولى ـ الفزع الأحمر الذي لن اعلق عليه هنا. بدأت عمليات كوينتيلبرو في الخمسينات ببرنامج لتمزيق وتدمير الحزب الشيوعي. رغم أن ذلك لم يعلن رسميا فان الكل يعرف بأن شيئا من هذا القبيل كان يحدث ولم يلق ذلك سوى اعتراضات قليلة واعتبر شرعي تماما.

في عام ١٩٦٠، امتد برنامج التمزيق إلى حركة بيرتو ريكان المستقلة. في تشرين الأول ١٩٦١وتحت إدارة النائب العام روبرت كندي بدأت الاف بي آي برنامج تمزيق ضد حزب العمال الاشتراكي (اكبر منظمة تروتسكية)؛ ثم امتد البرنامج إلى حركة الحقوق المدنية لاحقا والكوكلكس كلان وجماعات السود القومية وحركة السلام عموما وفي عام ١٩٦٨غطت كل اليسار الجديد.

كانت الأسباب المنطقية التي أعطيت لهذه البرامج اللاشرعية فاضحة جدا. برنامج تمزيق حزب العمال الاشتراكي الذي جاء من المكتب المركزي للاف بي آي مباشرة قدم أسبابه بهذه المصطلحات الأساسية:

نحن نطلق هذا البرنامج للأسباب التالية:

١. حزب العمال الاشتراكي يوجه مرشحين إلى الانتخابات المحلية بشكل مكشوف في البلاد.
٢. انه يؤيد التكامل والتوحيد في الجنوب
٣. انه يؤيد كاسترو

إلى مـاذا يشـير هـذا فعليـا؟ انـه يعـني أن مبـادرة حـزب العمـال الاشـتراكـي بتوجيـه مرشـحين في الانتخابـات نشـاط سياسـي قـانوني وتأييدهم للحقوق المدنية وجهودهم لتبديل السياسة الخارجية للولايات المتحدة يبرران تدميرهم بأيدي الشرطة السياسية القومية.

هذا هو المبرر لهذه البرامج الحكومية القمعية: لقد وجهوها ضد نشاطات الحقوق المدنية وضد العمل السياسي الشرعي الذي يعاكس إجماع الرأي السائد. مقارنة مع أعمال كوينتيلبرو المرتبطة بالحكومة تبدو ووترغيت حفلة شاي. إنها توضح اهتمام الصحافة النسبي بها. هذه المقارنة تكشف بوضوح وبشكل مثير أن ووترغيت كانت اختيار غير مناسب للمستهدفين وليست فعلا غير مناسبا. وأدت إلى سقوط نيكسون. إن الاهتمام المزعوم بالحقوق المدنية والديمقراطية كان خدعة ولم تكن (انتصارا للديمقراطية).

سؤال: يبدو أنـه تم توزيـع طلـب يحتـوي علـى مقـاطع مـن دسـتور الولايات المتحدة ولائحة حقوق الإنسان في الشوارع مـرة لكـن النـاس رفضوا توقيعه اعتقادا منهم بأنه دعاية يسارية.

تشومسكي: نقلت هـذه الحـوادث في الخمسينات كمـا أتـذكر. ارهب الناس على مدى سنوات كثيرة. يود الليبراليون الاعتقـاد بـأن كل هـذا بسبب قلة مـن الرجـال السيئين: جـو مكـارثي وريتشـارد نيكسون. هذا خداع مطلق. يمكن تتبع اثر قمع مـا بعـد الحـرب إلى الإجراءات الأمنيـة الـتي بـدأهـا ترومـان عـام ١٩٤٧ وجهـود الليـبراليين الديمقراطيين لتشويه سمعة هنري والاس ومؤيديه في ذلك الوقت. لقد كان السيناتور الليبرالي هوبرت همفري هو الذي اقترح معسكرات

الاعتقال في حالة (الطوارئ القومية) وصوت أخيرا ضد قانون مكارثي لكنه قال في ذلك الوقت بأنه وجده قاسيا لدرجة كافية في بعض النواحي : كان معارضا للفقرة التي تقول بأن السجناء في معسكرات الاعتقال يجب أن تحميهم حقوق الأمر القضائي: لم تكن تلك الطريقة التي يعامل بها المتآمرين الشيوعيين! قانون ضبط الشيوعيين الذي قدمه قادة الليبراليين بعد سنوات قليلة لم يكن دستوريا بشكل واضح لذلك لم يحاول احد فرضه حسب معرفتي. هذا القانون كان موجها على وجه الخصوص ضد النقابات العمالية. كثير من المثقفين الليبراليين مع هؤلاء الشيوخ أيدوا ضمنيا الأهداف الأساسية (للمكارثية) رغم أنهم اعترضوا على أساليبها - خصوصا عندما أصبحوا هم مستهدفين أيضا. نفذوا ما وصل إلى (تطهير) جزئي في الجامعات وفي طرق كثيرة طوروا الإطار الإيديولوجي لتخليص المجتمع الأمريكي من هذا (السرطان) من المنشقين الخطيرين. هذه من بين أسباب التماثلية البارزة وضيّق الحياة الثقافية في الولايات المتحدة وانعزال الحركة الطلابية التي ناقشناها مسبقا.

إن عارض هؤلاء الليبراليون مكارثي فلأنه ذهب بعيدا جدا في الطريق الخاطئ. لقد هاجم الانتلجنيسيا الليبرالية نفسها وشخصيات بارزة في التيار السياسي السائد مثل جورج مارشال, بدلا من حصر نفسه على (العدو الشيوعي). مثل نيكسون الذي ارتكب خطأ في اختيار أعداءه حين بدأ بمهاجمة الكنيسة والجيش. وعلى نحو مشترك إن انتقده المثقفون الليبراليون فلأساليبه غير الصحيحة لتخليص البلاد من الشيوعيين الحقيقيين. هناك بعض الاستثناءات البارزة لكنها قليلة

بصورة تبعث على الحزن.

وبالمثل عارض القاضي جاكسون وهو واحد الليبراليين البارزين في المحكمة العليا مبدأ (الخطر الواضح والقائم) الذي اعتمادا عليه يمكن تقويض حرية التعبير في حالات تضر بأمن الدولة حين طبق على النشاطات الشيوعية لأنه لم يكن قاسيا بما يكفي. إن انتظرت حتى يصبح الخطر واضحا وموجودا كما قال سيفوت الأوان. يجب أن توقف الشيوعيين قبل أفعالهم الوشيكة الحدوث وبهذا فقد أيد رأيا استبداديا حقيقيا: يجب أن لا نسمح لهذا النوع من النقاش بأن يبدأ.

لكن هؤلاء الليبراليون صعقوا عندما حول مكارثي أسلحته ضدهم. لم يعد يتقيد بقواعد اللعبة –اللعبة التي ابتدعوها.

سؤال: بالمثل لقد لاحظت بأن الفضيحة التي شملت السي آي إيه لم تهتم بالنشاطات الرئيسية للوكالة لكنها نجحت في الحقيقة في المجال المخصص للاف بي آي من حيث المبدأ

تشومسكي: جزئيا نعم. انظر إلى الغضب الذي تصاعد على محاولات الاغتيالات السياسية التي نظمتها السي آي إيه. لقد صدم الناس لأن السي آي إيه حاولت أن تغتال زعماء أجانب. بالتأكيد هذا سيء جدا. لكن هذه هي المحاولات المجهضة فقط؛ على الأقل في اغلب الأحوال ـ أما في بعضها الآخر فهي غير واضحة أبدا. تأمل للمقارنة برنامج فونيكس الذي تورطت السي آي إيه فيه وأبادت أربعين ألف من المدنيين خلال سنتين بناء على ما ورد من حكومة سايغون.. لماذا لا يهم هذا؟ لماذا كل هؤلاء الناس اقل أهمية من كاسترو أو شنايدر أو لومومبا؟

إن الضابط المسؤول عن هذا وليام كولبي الذي ترأس السي آي إيه هو كاتب عمود محترم ومحاضر في حرم الجامعات الآن. كما حدث نفس الشيء في لاوس لكن بطريقة أسوأ. كم عدد الفلاحين الذين قتلوا نتيجة برامج السي آي إيه ؟ ومن تحدث عن هذا؟ لا احد ولا عناوين.

وهي القصة نفسها دائما. الجرائم التي تكشف مهمة لكنها تافهة مقارنة بالبرامج الإجرامية الخطيرة للدولة التي يتم تجاهلها أو تعتبر شرعية تماما.

سؤال: كيف تجد كل هذه المعلومات؟ إن كانت الصحف لا تنقلها؟

تشومسكي: هذه المعلومات متاحة لكن للمتعصبين فقط: لكي تزيل التراب عنها (تكتشفها) يجب أن تكرس الكثير من حياتك للبحث. بذلك المعنى، المعلومات متاحة. لكن هذه الإمكانية قلما تكون مهمة في الممارسة وغير لازمة سياسيا تقريبا. والأمر مماثل على المستوى الشخصي، وضع شخص مثلي طبعا أفضل بشكل لا يقارن في الولايات المتحدة من المجتمعات الاستبدادية. في الاتحاد السوفييتي أي شخص يحاول أن يفعل ما فعلته أنا هنا سيكون في السجن. من المشوق والنموذجي أن كتاباتي السياسية الناقدة لسياسات الولايات المتحدة لم تترجم أبدا في ما يدعى بالبلدان الشيوعية مثلما ترجمت على نطاق واسع في أجزاء كثيرة أخرى من العالم. لكن يجب أن يحذر المرء من تقييم الأهمية السياسية لقمع الحرية النسبية ـ على الأقل لذوي الامتيازات ـ في الولايات المتحدة. ماذا تعني بالضبط وبشكل صحيح؟

مثلا، السنة الماضية دعيت لألقي محاضرة في هارفارد أمام جماعة من الصحفيين تدعى نيمان فيلوز الذين يأتون كل سنة من كل أرجاء الولايات المتحدة والدول الأجنبية من اجل تعليم أعلى. طلبوا مني أن أناقش ووترغيت، فتكلمت عن الأشياء التي ألمحت إليها قبل قليل، لأنني تساءلت عن المدى الذي يعرفه هؤلاء الصحفيون المثقفون والمطلعون عن هذه القضايا مقارنة بالعوام. حسنا لم يكن لدى أي منهم فكرة عن برامج الاف بي أي القمعية ما عدا صحفي واحد من شيكاغو كان قد عرف بقضية هامبتون كلها لأن الصحافة في شيكاغو ناقشتها بالتفصيل. فلو كان هناك واحد من سان دييغو لعرف عن منظمة الجيش السري وهكذا..... .

ذلك احد المفاتيح الرئيسة لكل الأمر. كل شخص موجه للاعتقاد بأن ما يعرفه يمثل استثناء محليا لكن النموذج الكلي يبقى خفيا. تعطي المعلومات غالبا للصحافة المحلية لكن مغزاها العام النموذج على المستوى القومي يبقى غامضا. كان ذلك هو الحال في زمن ووترغيت رغم أن المعلومات ظهرت في وقتها بأساسياتها وبتوثيق واسع. ومنذ ذلك الوقت لم يكن النقاش تحليليا أو شاملا إلا فيما ندر ولم يأخذ بعين الاعتبار ما حدث بطريقة مرضية. ما تشعر به هنا نوع فعال جدا من السيطرة الإيديولوجية لأن المرء يستطيع أن يبقى تحت الانطباع بأن الرقابة غير موجودة وبمعنى تقني ضيق ذلك صحيح. أنت لن تسجن إن اكتشفت الحقائق ولا إن نشرتها لو استطعت لكن النتائج تبقى متماثلة كما لو كانت رقابة حقيقية. الحقيقة الاجتماعية عادة تخفيها الانتلجنسيا. كانت الأمور مختلفة تماما طبعا

أثناء فترة وجود الحركة الشعبية الطلابية الهائلة المعادية للحرب. تتوفر داخل الحركات الشعبية إمكانيات كثيرة للتعبير عن الآراء التي تبتعد عن الحدود الضيقة للإيديولوجية الرسمية, التي تتطابق معها الانتلجنسيا عموما.

سؤال: ما هي ردود أفعال الأميركيين على تصريحات سولجينتساين؟

تشومسكي: مشوقة جدا ـ على الأقل في الصحافة الليبرالية, التي تهمني أساسا. بعضها انتقد غلوه. لقد تجاوز ما يمكنهم تحمله كثيرا. لقد دعا الولايات المتحدة للقيام بتدخل مباشر في الاتحاد السوفييتي مثلا ـ شيء كهذا يمكن أن يؤدي إلى الحرب والى الضرر بالمنشقين الروس أنفسهم على حد اقل كما شجب أيضا الضعف الأمريكي في تخليه عن الصراع لإخضاع المقاومة الفيتنامية وعرض علنا الإصلاح الديمقراطي في اسبانيا وأيد صحيفة دعت إلى الرقابة في الولايات المتحدة وغير ذلك. لكن رغم ذلك لم تتوقف الصحافة من التعجب من العملقة الأخلاقية المطلقة التي يملكها هذا الرجل التي لا نستطيع أن نتخيل حجمها في حياتنا الصغيرة.

في الحقيقة,(المستوى الأخلاقي) لسولجينتساين مشابه تماما لكثير من الشيوعيين الأميركيين الذين قاتلوا ببسالة في سبيل الحريات المدنية هنا في بلادك بينما وبنفس الوقت كانوا يدافعون أو يرفضون انتقاد حملات التطهير ومعسكرات الاعتقال في الاتحاد السوفييتي. زاخروف ليس غريبا في آراءه عن سولجنتساين بالتأكيد لكنه يقول أيضا أن عدم مواصلة الغرب الحرب في فيتنام كانت

نكسة كبيرة للنصر الأمريكي. واشتكى بأن الولايات المتحدة لم تتصرف بتصميم كافي وتأخرت كثيرا في إرسال قوات استطلاعية كبيرة. انه تكرير لتلفيق جهاز الدعاية الأمريكية كما ردد الشيوعيون الأمريكيون الدعاية الروسية كالببغاوات. العدوان الأمريكي على فيتنام الجنوبية الموثق ليس جزءا من التاريخ مثلا. يجب أن يعجب المرء بشجاعة زاخاروف العظيمة وعمله الرائع في الدفاع عن الحقوق الإنسانية في الاتحاد السوفييتي لكن أن نشير على هؤلاء الناس كعمالقة في الأخلاق لافت للنظر كثيرا.

لماذا فعلوا هذا؟ لأنه من الأهمية القصوى للتيار السائد من المثقفين الأمريكيين أن يجعلوا الناس يعتقدون بأن الولايات المتحدة لا تواجه أية مشاكل أخلاقية وهذه المشاكل لا تظهر إلا في الاتحاد السوفييتي والعمالقة الأخلاقيين هناك للتصدي لها.

قارن سولجنيتسين بالألوف الكثيرة من الهاربين من الحرب الفيتنامية ومقاوميها؛ كثير منهم تصرفوا بمستوى أخلاقي ارفع بشكل لا يقارن بموقف سولجنستين الذي يدافع بتصميم عن حقوقه وحقوق أمثاله من الناس ـ وهذا عمل باهر. في حين دافع مقاومو حرب فيتنام والهاربون من الجندية الكثيرون عن حقوق الآخرين أي عن ضحايا العدوان الأمريكي ورعبه. كانت أعمالهم بمستوى أخلاقي أسمى بكثير. إضافة إلى أن أعمالهم لم تكن مجرد رد فعل على اضطهادهم وإنما هم الذين التزموا وتعهدوا بهذه الأفعال بإرادتهم الحرة التي أدت إلى سجنهم أو نفيهم حين كانوا يستطيعون العيش براحة وسهولة. ومع ذلك نقرأ في الصحف الليبرالية الأمريكية أننا لا

نستطيع تخيل العظمة الأخلاقية لسولجنستين في مجتمعنا وبالتأكيد لن نجد أحدا مثله. ادعاء ممتع جدا مع كثير من المضامين. إن الادعاء الآن بأن سبب المقاومة الأمريكية هو خوف الشباب من سوقهم للخدمة العسكرية اعتقاد لا بلائم إلا المثقفين الذين حصروا أنفسهم بمعارضة براغماتية للحرب وهو ليس سوى كذبة هائلة لأن اغلب من كانوا بالمقاومة منذ بداياتها لم يكن هناك شيء أسهل عليهم من الفرار من التجنيد المنحاز طبقيا كما فعل الكثيرين. في الواقع كان كثير من الناشطين مؤجلين من الخدمة العسكرية وكثير من الهاربين اختاروا أيضا طريقا صعبا ومؤلما لأسباب مبدئية. لكن بالنسبة للذين أيدوا الحرب مبدئيا والذين رفعوا همسات الاحتجاج فقط حين أصبحت التكاليف عظيمة جدا يستحيل عليهم الاعتراف بوجود مقاومة باسلة ومبدئية اغلبها من جانب الشباب الذين تحملوا بأنفسهم الأعمال الوحشية مسبقا. لم يرغب التيار السائد في الليبرالية الأميركية بسماع أي شيء عن كل ذلك. وستثير كثير من الأسئلة المربكة: ماذا كانوا يفعلون عندما كان المقاومون يواجهون السجن والنفي؟ وهكذا. لهذا أتى لهم هبة من الرب سمحت لهم بتحريف الأسئلة الأخلاقية.(تصديرها) وإخفاء دورهم كناس ظلوا صامتين لسنوات كثيرة أو لم يعارضوا إلا أخيرا على أسس بغيضة أخلاقيا وضيقة تتعلق بخسارة ومكسب الحكومة الأمريكية.

لقد احدث مونيهان حين كان سفيرا في الأمم المتحدة نفس الأثر عندما هاجم العالم الثالث التي أثارت إعجابا عظيما هنا؛ مثلا. عندما شجب عيدي أمين الأوغندي (كقاتل عنصري) المسألة ليست إن كان

عيدي أمين كذلك أم لا. لا شك بأن التسمية صحيحة. المسألة هي ما الذي يعنيه هذا الاتهام لمونيهان وللذين استحسنوا أمانته وشجاعته بفعل ذلك؟ من هو مونيهان؟ لقد خدم في أربع إدارات, كندي وجونسون ونيكسون وفورد ـ إدارات كانت مذنبة بجرائم قتل عنصرية بمستوى لم يحلم بها عيدي أمين. تخيل لو أن موظف صغير من الرايخ الثالث اتهم أحدا بكونه قاتلا عنصريا. هذه الطريقة من ترحيل القضايا الأخلاقية إلى الآخرين هي إحدى الطرق لإعادة بناء أسس الشرعية الأخلاقية لممارسة السلطة الأمريكية التي اهتزت خلال حرب فيتنام. لقد تم استغلال سولجنستين للنهاية وبطريقة طبيعة ومتوقعة رغم أن المرء لا يستطيع طبعا أن يتوصل إلى استنتاجات بخصوص تهم القمع والعنف التي وجهها ضد النظام السوفييتي بالقمع والعنف.

فكر بشخص مثل انجيلا ديفيس: دافعت عن حقوق الأمريكيين السود بشجاعة كبيرة وقناعة وبنفس الوقت رفضت أن تدافع عن المنشقين التشيك أو تنتقد الغزو الروسي لتشيكوسلوفاكيا. هل تعتبر (عملاقة أخلاقية)؟ نادرا. رغم ذلك هي تتفوق على سولجنستين في المستوى الأخلاقي باعتقادي. على الأقل لم توبخ الاتحاد السوفييتي لعدم إدارته للإعمال الوحشية بحماس كبير.

سؤال: بعد أن قلت وما قيل عن التدخل الأمريكي في تشيلي في كتاب يوربيي[٦], توجد هناك على ما يبدو سياسة حقيقية من التطعيم. تفجير فضيحة رئيسية حول حدث ثانوي مثل ووترغيت أو قضية أي تي تي عام ١٩٧٣ ـ لكي يخفوا الفضائح الحقيقية بشكل أفضل

ويموهوها بشكل أكثر قبولا (حسب تعريف فايه): الاغتيالات السياسية كانقلاب أيلول. أنت أدخلت في عقل العوام فضيحة ثانوية؛ بعدها حين تحدث أشياء أكثر خطورة, يكون الموضوع قد حرم من معظم قيمته الشعورية, ولم يظل مظهر الجدة في أهمية موضوعه — وهما المعياران الأساسيان للعناوين الكبيرة في الصحف.[7]

تشومسكي: نعم هذا يتماشى مع ما قلته عن الصحافة الليبرالية منذ نهاية الحرب. الحكومة في حاجة كبيرة الآن لاستعادة مصداقيتها لتجعل الناس ينسون التاريخ ولتعيد كتابته ثانية. لقد تعهدت الانتجلنتسيا لهذه المهمة بدرجة لافتة للنظر. ومن الضروري أيضا أن نوطد (الدروس) التي تعلمناها من الحرب لنضمن بأنها صورت على أضيق الأسس وبشروط تصنيفية محايدة اجتماعيا ك(الغباء) أو (الخطأ) أو(الجهل) أو ربما (الخسارة). لماذا؟ لأنه سيكون من الضروري تبرير مواجهات أخرى قريبا وتدخلات أمريكية أخرى في العالم, فيتنامات أخرى.

لكن هذه المرة يجب أن تكون هذه التدخلات ناجحة ولا تخرج عن السيطرة. تشيلي مثلا. يمكن للصحافة انتقاد التدخلات الناجحة أيضا ـ جمهورية الدومينيكان وتشيلي الخ. ـ طالما لا تتجاوز تلك الانتقادات (الحدود المتمدنة) أي طالما أنها لا تخدم في إثارة حركات شعبية قادرة على إعاقة هذه المشاريع, ولا ترفق بتحليل منطقي للدوافع الامبريالية للولايات المتحدة, الشيء المحرم تماما ولا يغتفر للايدولوجيا الليبرالية.

كيف تعامل قطاع الصحافة الليبرالية الذي أيد (الحمائم) مع

قضية فيتنام؟ بالتأكيد على(غباء) التدخل الأمريكي وذلك مصطلح محايد سياسيا. كانت الحرب خطأ مأسوي فادح تحولت فيه النوايا الحسنة إلى سياسات خبيثة بسبب جيل عاجز وجاهل من المسؤولين. وشجب همجية الحرب أيضا لكن حتى ذلك استخدم بصنف محايد... يفترض بأن الأهداف كانت مشروعة ـ كان من الممكن فعل نفس الشيء وقبوله..... لكن بطريقة أكثر إنسانية.

عارض (مسؤولو) الحمائم الحرب على أساس براغماتي. من الضروري الآن أن نعيد بناء نظام المعتقدات لتبدو فيها الولايات المتحدة متبرع الإنسانية والملتزم تاريخيا بالحرية وبحق تقرير المصير والحقوق الإنسانية. بناءا على هذا المبدأ يتشارك مسؤولو الحمائم والصقور بنفس الفرضيات المسبقة: كلاهما لم يشكا بحق الولايات المتحدة في التدخل في بلدان أخرى. نقد الدولة الراضية باللوم على أخطاءها ملائم جدا طالما لا يضع الحق الأساسي بالتدخل القوي موضع شك.

انظر إلى افتتاحيات نيويورك تايمز التي تقدم تحليل استرجاعي لحرب فيتنام بعد أن انتهت تجد أن المحررين يشعرون أنه من المبكر جدا الخروج باستنتاجات حول الحرب:

كليو, آلهة التاريخ فاترة وبطيئة ومراوغة بأساليبها... فقط بعد زمن متأخر جدا حتى يتمكن التاريخ من فرز خليط الخير والشر, الحكمة والحماقة, المثل والأوهام في قصة فيتنام الطويلة.... يعتقد بعض الأميركيين أن الحرب التي نشبت للحفاظ على استقلال فيتنام الجنوبية غير الشيوعية وعدم وقوعها في براثن الشيوعية كان من الممكن شنها بطريقة مختلفة. ويعتقد البعض الأخر من الأميركيين

بأن فيتنام الجنوبية غير الشيوعية القابلة للحياة كانت دائما خرافة.... وفشل عقد من النقاش والمناظرات العنيفة في حل هذا النزاع المستمر.

وكما ترى لم يذكروا حتى الإمكانية المنطقية لموقف ثالث: يعني أن الولايات المتحدة لا تملك الحق الشرعي والأخلاقي لتتدخل بالقوة في القضايا الداخلية الفيتنامية. ولنترك للتاريخ مهمة الحكم على الجدال بين الصقور والحمائم المحترمين لكن الموقف الثالث الذي يعارض الموقفين الآخرين استثني من النقاش. عالم كليو لم يتسع لهذه الأفكار السخيفة مثل الاعتقاد بأن الولايات المتحدة ليس لها الحق الفريد بأن تتدخل بالقوة في شؤون الآخرين الداخلية. نشرت التايمز رسائل كثيرة ردا على افتتاحياتها لكنها لم تعرض أي رسالة تشكك بالبدائل المقدمة. اعرف ومتأكد انه أرسلت رسالة واحدة كهذه لهم على الأقل ❖..... وربما الكثير غيرها.

لاحظ بما أن التايمز تضع طيف النقاش فقد استثنيت حركة السلام ببساطة ولم تؤخذ بعين الاعتبار. ليس ذلك خطأ فحسب وإنما غير مفهوم ولا يصدق. بما أن التايمز تضع القواعد الأساسية. فان المقدمات المنطقية لجهاز دعاية الدولة موجودة مسبقا في مناظرات كل المشاركين: الهدف الأمريكي للحفاظ على فيتنام الجنوبية (مستقلة) – وهو محض هراء يسهل توضيحه ـ والسؤال الوحيد الذي يثار هل هذا الهدف الجدير بمتناولنا أم لا. حتى الأجهزة الدعائية المتهورة لم تبلغ حد وضع عقيدة مسألة يرقى إليها الشك لذلك لا يرفض توجيه النقد لها فقط وإنما يتم تجاهله أيضا.

لدينا هنا صورة توضيحية عجيبة لعمل الدعاية في الديمقراطية.

تعلن الدولة الاستبدادية ببساطة المذهب الرسمي بوضوح وصراحة ويستطيع المرء التفكير بما يحب لكنه لا يستطيع التعبير عن معارضته في الداخل إلا إذا تحمل مسؤولية الخطر. في النظام الديمقراطي للدعاية لا يعاقب احد (نظريا) على معارضته للعقيدة الرسمية وفي الواقع يشجع الانشقاق. ما يحاول هذا النظام فعله هو أن يثبت حدود الفكر الممكن: المؤيدون للمبدأ الرسمي من طرف والنقاد - النشيطون والشجعان والذين يثيرون الإعجاب الكثير لاستقلالية أحكامهم في الطرف الآخر. الصقور والحمائم. لكن نكتشف أنهم يشتركون كلهم في فرضيات ضمنية محددة، وأن هذه الفرضيات مهمة وحاسمة فعلا. لا شك أن جهاز الدعاية يكون فعالا أكثر حين تكون مبادئه مدسوسة بدلا من أن تكون صريحة، حين يضع الحدود للفكر بدلا من فرضه لمبدأ واضح ومميز يردده الجميع كالببغاوات - وإلا فسيتحملون العواقب. كلما كان النقاش أكثر حيوية كلما انغرست المبادئ الأساسية الأكثر فعالية للنظام الدعائي المسلم به ضمنيا في كل الأطراف. لهذا الادعاء الواسع بأن الصحافة قوة منشقة - ربما حاسمة لصحة الديمقراطية حتى - بينما هي في الواقع تابعة للمبادئ الأساسية للنظام الإيديولوجي: في هذه الحالة، مبدأ حق التدخل هو حق وحيد للولايات المتحدة لتقوم بدور القاضي والجلاد العالميين. انه نظام تلقيني عجيب.

وهنا مثال آخر يندرج بنفس الخط. انظر إلى هذا الاقتباس من واشنطن بوست، الجريدة التي تعتبر دائما ناقدا ثابتا للحرب بين وسائل الإعلام القومية.

هذا من افتتاحية نشرت في ٣٠نيسان ١٩٧٥ بعنوان النجاة:

(إن كان السلوك الفعلي للسياسة في فيتنام خطأ كل هذه السنين ومضلل ومأسوي حتى ـ فلا يمكن نكران صحة بعض أهداف تلك السياسة وإمكانية الدفاع عنها وخصوصا التمني لفيتنام الجنوبية بأن تستطيع تقرير مصيرها بنفسها في الحكم والنظام الاجتماعي.الشعب الأمريكي مخول وملزم فعلا بأن يكشف كيف حدث وتحولت الدوافع الطيبة إلى سياسة سيئة لكننا لا نستطيع تحمل نبذ كل ذكرى ذلك الدافع السابق)

ما هي تلك الدوافع الطيبة؟ متى بالضبط حاولت الولايات المتحدة أن تساعد فيتنام الجنوبية كي تختار شكل الحكومة والنظام الاجتماعي الخاصين بها؟ حالما تطرح هذه الأسئلة تبان السخافة. من اللحظة التي انهارت فيها المحاولة الفرنسية المدعومة امريكيا لتحطيم الحركة الوطنية الرئيسية في فيتنام عارضت الولايات المتحدة بشكل مقصود ومتعمد تنظيم القوى السياسية داخل فيتنام الجنوبية ولجأت إلى زيادة العنف حين لم تتمكن من سحق هذه القوى السياسية. لكن يجب إخماد هذه الوقائع الموثقة. لا تستطيع الصحافة الليبرالية التشكيك بالمبدأ الأساسي لعقيدة الدولة الذي يرى بأن الولايات المتحدة محسن ومتبرع حتى لو تقنعت دائما ببراءتها ولذي يحاول جاهدا لسماح بحرية الاختيار حتى لو ارتكبت بعض الأخطاء من حين لآخر في غزارة برامج نواياها الحسنة العالمية. يجب أن نؤمن بأننا الأمريكيين دائما طيبين رغم تأكدنا بأننا عرضة للخطأ.

الدرس الأساسي من فيتنام ليس بالتأكيد أننا شعب سيء

جوهريا وإنما نحن قادرون على ارتكاب الأخطاء وبمستوى هائل.

لاحظ الخطاب: (نحن كشعب) لسنا سيئين جوهريا حتى لو كنا قادرين على الخطأ. لم تكن(نحن كشعب) قرر أن يدير الحرب في فيتنام ولم تكن شيئا له علاقة اكبر بالقادة السياسيين والمؤسسات الاجتماعية التي يخدمونها. فرض سؤال كهذا غير مشروع حسب تعاليم دين الدولة لأن ذلك يثير مسألة المصادر المؤسساتية للسلطة، وهذه الأسئلة لا يهتم بها سوى المتطرفين غير العاقلين الذين يجب أن يستثنوا من النقاش (نستطيع إثارة هذه الأسئلة التي تتعلق بمجتمعات أخرى وليس بالولايات المتحدة طبعا)

ليس بدافع التشاؤم أنا اعتقد بفعالية تقنيات تشريع تدخلات الولايات المتحدة كأساس للأفعال المستقبلية. لا يجب أن ننسى انه حين عانت حكومة الولايات المتحدة من نكستها في فيتنام نجحت كثيرا في اندونيسيا وفي تشيلي وفي البرازيل وأماكن رئيسية غيرها خلال تلك الفترة.

حيل الإيديولوجية الامبريالية واسعة جدا فهي تتسامح مع وتشجع فعليا مجموعة متنوعة من أشكال المعارضة كالتي أوضحتها للتو وتسمح بانتقاد هفوات المثقفين ومستشاري الحكومة وحتى اتهامهم بالرغبة المجردة في(السيطرة)، صنف محايد اجتماعيا ثانية، وغير مترابط مع البنى الاجتماعية والاقتصادية الصلبة. لكن لربط تلك الرغبة المجردة في السيطرة مع استخدام الولايات المتحدة للقوة لكي تحافظ على شكل محدد للنظام العالمي خصوصا الذي يضمن بأن بلدان العالم ستبقى مفتوحة بأقصى ما يمكن إلى استغلال الشركات الأمريكية -

النقاش بهذه الطريقة غير المقبولة قلة أدب زائدة.

بنفس الطريقة، يجب أن يتجاهل أعضاء العالم الأكاديمي المحترمين التوثيق الحقيقي المتعلق بالمبادئ المرشدة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية واهتمامها بخلق نظام عالمي اقتصادي يتطابق مع حاجات الاقتصاد الأمريكي وسادته. أنا أشير إلى الوثائق الموجودة في أوراق البنتاغون على سبيل المثال، التي تغطي أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات حين وضعت السياسات الرئيسية بوضوح، أو الوثائق عن التخطيط العالمي لفترة ما بعد الحرب التي صدرت في أوائل الأربعينات بواسطة مجموعات دراسات الحرب والسلم لمجلس العلاقات الخارجية، لنذكر مثالين مهمين فقط. عموما يقتصر ذكر مسألة تأثير الشركات على السياسة الخارجية أو العوامل الاقتصادية في تشكيل السياسة بهامش الدراسات المحترمة عن تشكيل السياسة، ويدرس هذا الواقع بين الحين والآخر ويوثق بسهولة حين دراسته.

ملاحظات:

١ ـ (في ليبراسيون كانون الثاني ١٩٧٣)

٢ ـ راجع رامبارتس (نيسان ١٩٧٣)؛ السياسة الاجتماعية (أيلول ١٩٧٣.

٣ ـ ظهر هذا في آخر عدد للجريدة التي لم تجد دعما ماليا فاختفت.رامبراتس آب ١٩٧٥.

٤ ـ راجع ديف ديلنغر، أقوى مما نعرف (نيويورك، دبلدي١٩٧٥) و نعوم تشومسكي، مقدمة ل ان بلاكستوك،كوينتيابرو، (نيويورك: فينتاج بوكس ١٩٧٦) لبعض الأمثلة.

٥ ـ الدولة الاقتصادية الجديدة (نيويورك: سيغنت بوكس ١٩٧٦)صفحة ٣٣٥.

٦ ـ مانويل اوريبي، الكتاب الأسود عن التدخل الأمريكي في تشيلي (باريس لا سويل ١٩٧٤)

٧ ـ جان بيير فابيه لا برغوال دي اوتيلو: الثورة داخل المتاهة (باريس: جي سي لاتيس،١٩٧٦) تحتوي على تحليل تقارير انقلاب كانون الأول في البرتغال.

❖ ملاحظة: وفر نعوم تشومسكي الرسالة التي أرسلها هو والبروفيسور ادوارد اس هيرمان لنيويورك تايمز. أود أن انتهز الفرصة لأنشر وأعمم هذه الرسالة في هذا الوقت المتأخر، لأهميتها الجوهرية ولأوضح الحدود المفروضة على النقاش الشعبي في صحفنا الرائدة.

٨ نيسان ١٩٧٥

إلى المحرر

نيويورك تايمز. ...بقية العنوان الجغرافي

سيدي العزيز:

افتتاحية التايمز في ٥ نيسان لاحظت أن (عقدا من الجدل العنيف فشل بحل هذا النزاع المتواصل) بين رأيين متنافسين: الأول أن (الحرب للحفاظ على فيتنام الجنوبية مستقلة وغير شيوعية كان من الممكن شنها بأسلوب مختلف) والثاني أن (فيتنام الجنوبية المستقلة القابلة للحياة وغير الشيوعية كان خرافة.) لقد كان هناك موقفا ثالثا أيضا: بغض النظر عن آمال نجاحه، ليس للولايات المتحدة السلطة ولا الجدارة لتتدخل في الشؤون الداخلية الفيتنامية. كان هذا هو موقف غالبية حركة السلام الحقيقية،

يعني الذين عارضوا الحرب لأنها كان خطأ وليس لمجرد أنه كان غير ناجح. من المؤسف أن هذا الموقف لم يرشح للنقاش كما ترى التايمز.

على الصفحة المقابلة, يلاحظ دونالد كيرك انه (منذ أن أصبح مصطلح (حمام الدم) موضة في الصراع الاندونيسي لم يطبقه احد على الحرب نفسها ـ فقط على النتائج الممكنة لإنهاء الحرب. هو مخطئ تماما. ظل كثير من الأميركيين الذين شاركوا في حركة السلام الحقيقية يصرون على النقطة الأولية سنوات كثيرة التي لم يلاحظها احد وهي مألوفة وشائعة في أدب الحرب كما اعتقد. لنذكر مثالا واحدا فقط, لقد كتبنا كتابا صغيرا حول الموضوع (العنف المضاد للثورات: حمامات الدم في الوقع والدعاية,١٩٧٣) لكن الشركة(ورنر برذرز) التي تملك دار النشر لم تسمح بتوزيعه بعد النشر. إضافة إلى أن تلك الملاحظة تكررت كثيرا في النقاش والأدب الذي كتب عن الحرب من قبل قطاع الرأي الذي فصلته افتتاحية التايمز واستثنته من النقاش.

نعوم تشومسكي	اداورد اس هيرمان
بروفيسور, ام أي تي	بروفيسور في جامعة بنسيلفانيا

عن مستقبل إسرائيل وفلسطين

ايان بابي ونعوم تشومسكي

في مقابلة مع فرانك بارات

كاونتر بنتش ٦ حزيران ٢٠٠٨

بارات: شكرا لقبولكم إجراء هذه المقابلة. بداية أود السؤال أن كنتما عاكفان الآن على عمل تودان أن تخبرانا عنه؟

ايلان بابي: أنا اتمم عددا من الكتب الآن. الأول هو تاريخ موجز للاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة والكتاب الآخر عن الأقلية الفلسطينية داخل إسرائيل واليهود العرب وأكمل مجلدا محررا يقارن بين وضع جنوب أفريقيا وفلسطين

نعوم تشومسكي: السلسلة المعتادة من المقالات والأحاديث الخ. لا وقت لدي الآن لمشروع رئيسي.

بارات: قال عضو مجلس في البرلمان البريطاني مؤخرا بأنه شعر بتغيير في السنوات الخمس الأخيرة فيما يتعلق بإسرائيل وان النواب البريطانيون يوقعون الآن وثائق إدانات لإسرائيل بأعداد اكبر من قبل كما أصبح من الأسهل الآن توجيه النقد إلى إسرائيل حتى التحدث في حرم الجامعات الأمريكية.

في الأسابيع القليلة الأخيرة أيضا قال جون دوغارد، المحقق المستقل والباحث في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لدى مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة : (الإرهاب الفلسطيني نتيجة حتمية للاحتلال

الإسرائيلي) وتبنى البرلمان الأوروبي قرارا يقول (بأن سياسة عزل قطاع غزة فشلت على الصعيدين السياسي والإنساني) كما أدانت الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي استخدام إسرائيل للقوة المفرطة غير المتكافئة في قطاع غزة. هل يمكننا أن نفسر ذلك كتحول عام في الموقف من إسرائيل؟

ايلان بابي: يشير المثالان إلى تحول هام في الرأي العام والمجتمع المدني. لكن تبقى المشكلة كما كانت عليه منذ ستين عاما: لم تترجم هذه الاندفاعات والقدرات ومن غير المحتمل أن تترجم في المستقبل القريب إلى سياسات حقيقة على الأرض. لهذا الوسيلة الوحيدة لتعزيز هذا الانتقال من التأييد من الأسفل إلى سياسات فعلية هي تطوير فكرة العقوبات والمقاطعة التي يمكن أن تكون موجه وقائدة للأفراد الكثيرين والمنظمات غبر الحكومية التي أبدت تضامنها مع القضية الفلسطينية منذ سنوات.

نعوم تشومسكي: كان هناك تحول واضح في السنوات الأخيرة: في حرم الجامعات الأمريكية ووسط المستمعين من العامة أيضا. لم يمر وقتا طويلا على الزمن الذي كانت فيه حماية الشرطة ميزة نموذجية عند الحديث عن السياسات الإسرائيلية الهامة حيث تفض الاجتماعات وتصنف المستمعين بأنهم عدوانيين. أما الآن فقد اختلف الأمر جدا مع الاستثناءات القليلة. يميل المدافعون عن العنف الإسرائيلي الآن إلى الدفاع واليأس بدلا من الغطرسة والاستبداد. لكن انتقاد الأعمال الإسرائيلية يظل قليلا لأن الحقائق الأساسية تقمع بطريقة منهجية. ذلك حاسم وصحيح بشكل خاص في دور الولايات المتحدة في استثناء الخيارات الدبلوماسية وتقويض الديمقراطية ودعم البرنامج الإسرائيلي

المنهج في تقليص إمكانية التسوية السلمية النهائية. لكن تصوير الولايات المتحدة (بالوسيط الشريف) يمنعها من مواصلة أهدافها الحميدة وهي صفة مميزة لها ليس في هذا المجال فقط.

بارات: تستخدم كلمة سياسة التمييز العنصري من قبل المنظمات غير الحكومية والجمعيات الخيرية أكثر فأكثر لوصف الأعمال الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ليس في غزة والأراضي المحتلة الفلسطينية بل في إسرائيل نفسها. هل الوضع في إسرائيل وفلسطين مشابه لما كان عليه الحال في جنوب أفريقيا العنصرية؟

ايلان بابي: توجد أشياء متشابهة وأخرى مختلفة أيضا. إن فصول التاريخ الاستعماري كثيرة و يمكن إيجاد بعض جوانب التمييز العنصري في السياسات الإسرائيلية اتجاه الأقلية الفلسطينية فيها وفي الأراضي المحتلة. إن بعض مظاهر الاحتلال أسوأ من واقع التمييز العنصري لجنوب أفريقيا وبعض المظاهر في حياة المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل لم تكن أسوأ من الوضع في جنوب أفريقيا أيام عز التمييز العنصري. النقطة الرئيسية للمقارنة حسب رأيي التشجيع السياسي. إن الحركة المضادة لسياسة التمييز العنصري والمؤتمر الوطني الإفريقي وشبكات التضامن التي تطورت على مدى السنين في الغرب يجب أن تقوم بحملة دعم للفلسطينيين أكثر تركيزا وفعالية. لهذا السبب هناك حاجة اكبر لتعلم تاريخ الصراع ضد التمييز العنصري من المراوحة الطويلة في مقارنة الصهيونية بالأنظمة العنصرية.

نعوم تشومسكي: لا توجد إجابة محددة لهذه الأسئلة. توجد أوجه شبه واختلاف. هناك تمييز كبير داخل إسرائيل نفسها لكنه بعيد

جدا عن سياسة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا. أما داخل الأراضي المحتلة فهي قصة مختلفة. في عام ١٩٩٧ وضحت الأفكار الرئيسية في خطاب ألقيته في جامعة بن غوريون في مؤتمر حول ذكرى حرب ١٩٦٧ وقرأت فيه فقرة من تاريخ جنوب أفريقيا النموذجي. لم تكن هناك حاجة للتعليق.عند التمعن نرى بأن الوضع في الأراضي المحتلة يختلف في أوجه كثيرة عن التفرقة العنصرية. لقد كان التمييز العنصري في جنوب أفريقيا في بعض وجوهه أكثر وحشية من الممارسات الإسرائيلية ومن وجوه أخرى كان العكس صحيحا. لنذكر مثالا واحدا لقد اعتمدت جنوب أفريقيا البيضاء على العمالة السوداء إذ لا يمكن طرد الأغلبية الواسعة من السكان. أما إسرائيل فاعتمدت مرة واحدة على العمالة الفلسطينية الرخيصة والسهلة لكنها استبدلتها منذ وقت طويل ببؤساء الأرض من أسيا وأوروبا الشرقية وأماكن أخرى. سوف تتنفس إسرائيل الصعداء لو اختفى الفلسطينيين. وليس سرا أن السياسات التي تشكلت بناء على وصايا موشيه دايان بعد حرب عام ١٩٦٧ مباشرة: سيستمر الفلسطينيون (في العيش مثل الكلاب وليغادر كل من يرغب في الرحيل). وقد صدرت توصيات أكثر للذين اعتبروا إنسانيين يساريين في الولايات المتحدة مثل مايكل وولزر من معهد الدراسات المتقدمة في برينستون ومحرر الجريدة الاشتراكية الديمقراطية (ديسنت) الذي نصح منذ ٣٥ سنة قائلا بما أن الفلسطينيين (هامشيين بالنسبة للأمة لذا يجب مساعدتهم على الرحيل.) كان يشير إلى المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل نفسها. و أصبح هذا الوضع مألوفا أكثر عند اليميني المتطرف افيغدور ليبرمان الذي التقى الآن مع التيار الإسرائيلي السائد. أضع جانبا المتعصبين

الحقيقيين مثل أستاذ القانون في هارفارد الان ديرشويتز الذي صرح أن إسرائيل لم تقتل مدنيين أبدا بل إرهابيين فقط لذلك يصبح تعريف (الإرهابي) هو من (تقتله إسرائيل). وإسرائيل يجب أن تهدف إلى تحقيق نسبة قتل ١٠٠٠ مقابل صفر. يعني (إبادة البهائم) تماما. والغريب أن المدافعين عن تلك الآراء يعاملون باحترام في الدوائر المستنيرة في الولايات المتحدة وفي الغرب لكن يمكن للمرء تخيل رد الفعل لو أن مثل هذه التعليقات كانت بحق اليهود. وبخصوص السؤال اكرر لا يمكن إيجاد جواب واضح إن كان مقياس التماثل مناسبا.

بارات: قالت إسرائيل مؤخرا بأنها ستقاطع مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في دوربان لأنها (من المستحيل أن تمنع المؤتمر من التحول إلى مهرجان معادي للهجمات الإسرائيلية) وألغت أيضا لقاء مع مسؤولي كوستاريكا حول قرار امة أميركا الوسطى في الاعتراف رسميا بالدولة الفلسطينية. هل رفض إسرائيل في قبول أي نقد لسياساتها يمكن أن يعطي نتائج معكوسة؟

ايليان بابي: يتمنى المرء لو تعطي نتائج عكسية يوما ما. لكن هذا يعتمد على توازنات القوى العالمية والإقليمية وليس على رد الفعل الإسرائيلي المتطرف. يمكن أن يتداخل الاثنان أي توازن القوى والتصلب الإسرائيلي في المستقبل. لو كان هناك تبدل في سياسة أميركا أو في دورها المسيطر على سياسة المنطقة لتشجع المجتمع الدولي في تبني موقفا أكثر نقدا لإسرائيل للرد على مواقفها المتعنتة وبذل الجهود للضغط على الدولة اليهودية لإنهاء الاحتلال وطرد الفلسطينيين.

نعوم تشومسكي: يمكن للمرء الموافقة أو عدم الموافقة على هذه

القرارات، لكنها لا تتضمن رفض قبول أي نوع من النقد لسياساتها. اشك بان هذه القرارات المحددة سوف تعطي نتائج عكسية أو حتى ستلقى اهتماما كبيرا.

بارات: كيف يمكن لإسرائيل أن تتوصل إلى تسوية مع منظمة تعلن أنها لن تعترف بها كما أن دستورها ينادي بتدمير الدولة اليهودية؟ إن كانت حماس تريد فعلا التسوية لماذا لا تعترف بإسرائيل؟

ايلان بابي: إن السلام يصنع بين الأعداء وليس بين الأحباء. يمكن أن تكون النتيجة النهائية لعملية السلام اعتراف سياسي إسلامي بمكان اليهود في فلسطين وفي الشرق الأوسط ككل، إن كانوا في دولة منفصلة أم متحدة. دخلت منظمة التحرير الفلسطينية المفاوضات مع إسرائيل دون أن تبدل في دستورها الذي لا يختلف موقفه كثيرا من إسرائيل. لهذا يجب أن يكون البحث عن نص حل وبناء سياسي شامل يمكّن كل المجموعات الوطنية والاثنية والدينية والإيديولوجية في التعايش مع بعضها البعض.

نعوم تشومسكي: حماس لا تستطيع الاعتراف بإسرائيل أكثر مما تستطيع كاديما الاعتراف بالفلسطينيين أو أكثر من الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الاعتراف بانغلاند. يستطيع المرء أن يسأل إن كانت حكومة بقيادة حماس يجب أن تعترف بإسرائيل أو حكومة كاديما أو الحزب الديمقراطي يجب أن يعترفا بالفلسطينيين، حتى الآن الكل يرفض هذا، لكن حماس على الأقل دعت إلى تسوية من دولتين بناءا على موقف الإجماع العالمي الطويل بينما كاديما والحزب الديمقراطي رفضا الذهاب إلى هذا المدى والتزما بموقف الرفض الذي حافظت عليه الولايات المتحدة وإسرائيل

طوال ٣٠ سنة في عزلة عالمية. بالنسبة للكلام، عندما أعلن رئيس الوزراء اولمرت في جلسة مشتركة للكونغرس الأمريكي انه يؤمن (في حق شعبنا الأبدي والتاريخي في كل هذه الأرض) ليثير التصفيق، من المسلم به انه كان لا يشير إلى فلسطين فقط من الأردن إلى البحر بل أيضا إلى الضفة الأخرى من نهر الأردن وكان يمثل المطلب التاريخي لحزب ليكود بوطنه السياسي، مطلبا لم يتم التخلي عنه رسميا أبدا في حدود معرفتي. بخصوص حماس اعتقد أنها يجب أن تتخلى عن هذه الشروط في دستورها وتنتقل من القبول بتسوية الدولتين إلى الاعتراف المتبادل، رغم أننا نذكر أن مواقفها أكثر تقاربا من مواقف الولايات المتحدة وإسرائيل.

بارات: خلال الأشهر القليلة الأخيرة، ركزت إسرائيل هجماتها على غزة وتتحدث عن غزو ارضي وشيك وهناك أيضا احتمال قوي بأنها تورطت في قتل قائد حزب الله مغنية وتدفع بعقوبات أقوى (عسكرية) بحق إيران. هل تعتقد أن شهية إسرائيل للحرب قد تؤدي أخيرا إلى دمارها الذاتي؟

ايلان بابي: نعم اعتقد أن العدوانية تتزايد وإسرائيل لا تثير عداوة العالم الفلسطيني بل أيضا العالمين العربي والإسلامي. إن توازن القوة العسكرية في الوقت الحاضر لصالح إسرائيل لكن ذلك قابل للتبدل في أي لحظة خصوصا إن سحبت الولايات المتحدة دعمها.

نعوم تشومسكي: لقد كتبت قبل عقود أن من يدعون أنفسهم ب(مؤيدي إسرائيل) هم في الحقيقة يؤيدون تفسخها الأخلاقي ودمارها النهائي المحتمل. كما اعتقدت أيضا منذ سنوات كثيرة بأن خيار إسرائيل الواضح في التوسع على حساب الأمن قد يؤدي إلى تلك العاقبة

منذ أن رفضت عرض السادات لمعاهدة السلام الشامل عام ١٩٧١.

بارات: ما الذي يجعل الولايات المتحدة تسحب دعمها غير المشروط لإسرائيل؟

ايلان بابي: خارجيا، انهيار في سياستها في الشرق الأوسط من خلال سقوط احد حلفائها بشكل أساسي. البديل هو انبثاق سياسة أوروبية مضادة لكن احتماله اقل.

داخليا: أزمة اقتصادية هامة ونجاح تحالف القوى العاملة الحالي داخل المجتمع المدني لفرض مثل هذا التغيير.

نعوم تشومسكي: الجواب هو يجب أن نأخذ في عين الاعتبار مصادر الدعم. يبدو أن القطاع المتشرك في الولايات المتحدة الذي يهيمن على رسم سياستها قانع تماما بالوضع الراهن وأحد مؤشرات ذلك هو زيادة تدفق الاستثمارات إلى إسرائيل من انتل وهيوليت ـ باكارد ومايكروسوفت وعناصر بارزة أخرى في اقتصاد التكنولوجية العالية. كما تبقى العلاقات العسكرية والاستخباراتية قوية جدا. منذ ١٩٦٧ صار عند المفكرين في الولايات المتحدة علاقة حب فعلية مع إسرائيل، لأسباب تعود أكثر إلى الولايات المتحدة منها إلى إسرائيل في رأيي و يؤثر ذلك بقوة على تصوير الأحداث والتاريخ في وسائط الإعلام والصحف. الفلسطينيون ضعفاء وممزقون وبلا أصدقاء ولا يقدمون شيئا إلى مركز القوة في الولايات المتحدة. تؤيد أغلبية واسعة من الأمريكيين الإجماع الدولي القائل بتسوية الدولتين وحتى الدعوة إلى تقديم مساعدة متساوية لإسرائيل والفلسطينيين. بهذا وبمظاهر أخرى كثيرة فإن كلا الحزبين السياسيين على يمين الشعب. يعتقد ٩٥٪ من سكان الولايات المتحدة بأن الحكومة يجب

أن تهتم بآراء السكان لكن طيف النخبة رفض هذا الموقف (أحيانا بصراحة تامة وأحيانا أخرى ضمنيا.) لهذا السبب فإن (تعزيز الديمقراطية) داخل الولايات المتحدة هو الخطوة الوحيدة نحو موقف عادل. إضافة إلى هذه الاحتمالية تبقى الأحداث التي تجبر قطاعات النخبة على إعادة حسابات مصالحها هي الشيء المهم.

بارات: أبرزت مجلة كاونتربنش نقاشا مثيرا حول حل الدولة الواحدة مقابل الدولتين الشهر الماضي. ابتدأ بمقالة مايكل نيومان التي تقول(أن حل الدولة الواحدة كان وهما) وتبعها مقالات لعساف كفوري بعنوان (دولة واحدة أم دولتان؟ ـ نقاش عقيم حول بدائل كاذبة) وجوناثان كوك بعنوان (دولة واحدة أم دولتان,لا هذه ولا تلك, المشكلة هي الصهيونية.) ما هو رأيك في هذا وهل تعتقد في ضوء الحقائق التي على الأرض كالمستوطنات والطرق الالتفافية... التي أنشأتها إسرائيل بأن حل الدولتين لا يزال ممكنا؟

ايلان بابي: جعلت الحقائق المفرزة على الأرض حل الدواتين مستحيلا منذ سنوات. وتشير الحقائق أن إسرائيل لم ولن تقبل بدولة فلسطينية بمعزل عن دولة اللادولة داخل بانتوستتين اثنين في الضفة الغربية وغزة في ظل السيطرة الإسرائيلية التامة. يوجد مسبقا دولة واحدة ويدور الصراع حول طبيعتها ونظام حكمها. إن كان النظام الجديد والأساس الدستوري ثنائي القومية أو ديمقراطي أو حتى كلاهما فهو اقل أهمية في تلك النقطة. إن أي مؤسسة سياسية تحل محل الدولة العنصرية غير الشرعية الحالية ستلاقي الترحيب و يجب على أي مؤسسة سياسية أن تمكّن اللاجئين من العودة وحتى أحدث المهاجرين على البقاء.

نعوم تشومسكي: يجب أن نفرق بين الاقتراح والدفاع. يمكننا أن نقترح بأن يعيش الكل في سلام. ويصبح دفاعا عندما نرسم طريقا حقيقيا للتوصل إليه. إن حل الدولة الواحدة ليس له معنى كبير برأيي لكن دولة ثنائية القومية ستكون معقولة. كان من الممكن تأييد تسوية كهذه منذ عام ١٩٦٧ حتى منصف السبعينات, وفي الواقع عملت على ذلك في كتابات كثيرة وأحاديث وفي كتاب لي أيضا وكان رد الفعل على ذلك هو الغضب. بعد أن دخلت الحقوق القومية الفلسطينية الأجندة العالمية في منتصف السبعينات, بقي تأييد الثنائية القومية ممكنا وأنا لازال أؤيد ذلك, لكن كعملية تمر عبر المراحل المتوسطة فقط, الأولى منها تسوية الدولتين وفق الإجماع العالمي. النتيجة التي أوشك الوصول إليها في مفاوضات طابا في كانون الثاني عام ٢٠٠١ قد تكون أفضل ما يمكن تصوره على المدى القريب, وحسب ما جاء عن المشاركين, كان ممكن الوصول إليها لو لم ينهي رئيس الوزراء الإسرائيلي باراك المفاوضات قبل اكتمالها. تلك كانت اللحظة الوحيدة في الثلاثين سنة الماضية عندما اهتمت قيادتا الدولتين الرافضتين في الانضمام إلى الإجماع العالمي, والمرة الوحيدة التي بدت فيها التسوية الدبلوماسية في مدى منظور. لقد تبدل الكثير منذ ٢٠٠١ لكن لا أرى أي سبب للاعتقاد أن ما كان ممكنا آنذاك قد أصبح مستحيلا الآن.

إن اقتراح حل الدولة الواحدة يقبله التيار السائد الحالي وله بعض الأهمية واعتقد انه مفيد, على عكس الفترة الني كان فيها التأييد متاحا حقا وتلك الأفكار ممنوعة ومحرمة. التي تنشر في الوقت الحالي في نيويورك تايمز ونيويورك ريفيو اف بوكس وغيرها.ولا

يمكننا سوى الاستنتاج بأنها تعتبر مقبولة لأنها غير عملية بتاتا وتبقى اقتراحا وليست تأييدا. عمليا وفرت تلك المقترحات الدعم للرفض الأمريكي الإسرائيلي وقلصت التأييد العملي الوحيد لحل الدولة ثنائية القومية على مراحل.

هناك خياران للفلسطينيين في الوقت الحاضر.الأول إهمال أمريكي إسرائيلي لموقفهم الرافض وتسوية صعبة على ضوء ما أوشك الوصول إليه في طابا. الخيار الثاني هو استمرار السياسات الحالية التي ستؤدي إلى دمج ما تريده إسرائيل بشكل أكيد: على الأقل القدس الكبرى والأراضي التي داخل جدار الفصل (والآن الجدار الضام) ووادي الأردن والمناطق الناتئة عبر معاليم ادوميم واريل وما بعدها التي تقسم ما تبقى من أراضي إلى ثلاثة أقسام والتي ستفتتها مشاريع البنية التحتية الضخمة ومئات من نقاط التفتيش والوسائل الأخرى إلى كانتونات غير قابلة للحياة تضمن بأن يظل الفلسطينيين يعيشون كالكلاب.

وهناك من يعتقد بأن الفلسطينيون يجب أن يتركوا إسرائيل تستولي على الضفة الغربية كلها وبعدها يناضلون من اجل الحقوق المدنية وضد سياسة التفرقة العنصرية. لكن هذا وهم. لا يوجد سبب يجعل الولايات المتحدة وإسرائيل تقبلان أسس هذا الاقتراح. فهما ببساطة سوف تتابعان عبر المسارات التي أنجزت ولن تقبلا بأي مسؤولية تجاه الفلسطينيين المشتتين خارج المناطق المراد دمجها بإسرائيل.

بارات: أثناء رحلتي الأخيرة إلى إسرائيل/ فلسطين أصبح من الواضح من خلال التحدث إلى الناس وقراءة الصحف ومشاهدة الأخبار

بأن ما يخيف إسرائيل كثيرا هو المقاطعة. هل تؤيدا هذا النوع من الأفعال وهل تعتقدان بأنها مثمرة؟

ايلان بابي: نعم واعتقد أن لديها الفرصة بإطلاق عمليات تغيير على الأرض.

نعوم تشومسكي: أحيانا يكون للمقاطعة معنى. مثلا كانت هذه الإجراءات فعالة ضد جنوب أفريقيا رغم أن إدارة ريغان تملصت من عقوبات الكونغرس وأعلنت أن المؤتمر الوطني الأفريقي الذي يتزعمه مانديلا (واحدا من أردأ الجماعات الإرهابية سمعة) في العالم في عام ١٩٨٨. كانت الإجراءات فعالة لأن الأساس قد وضع خلال سنين كثيرة من التثقيف والتنشيط. لقد لاقت تأييدا حقيقا داخل النظام السياسي في الولايات المتحدة وفي وسائط الإعلام وحتى في القطاع التجاري في الوقت الذي نفذّت فيه. لم ينجز إطلاقا أي شيء مماثل في تلك القضية. جلبت نداءات المقاطعة المستمرة نتيجة عكسية بفرض أقسى السياسات وأكثرها وحشية بحق الفلسطينيين. قد يكون للمقاطعات الانتقائية المصاغة بدقة بعض الأثر. مثلا مقاطعة المنتجين العسكريين الذين يقدمون الأسلحة لإسرائيل أو لشركة كاتربيلار التي تقدم المعدات لتهديم فلسطين. إن كل إجراءاتهم غير قانونية أبدا ويجب إن تكون المقاطعة مفهومة من قبل العموم لكي تكون فعالة.

المقاطعات الانتقائية قد تكون فعالة أيضا ضد الدول التي لها سجل في العنف والإرهاب أسوأ من السجل الإسرائيلي بكثير كالولايات المتحدة مثلا التي دون دعمها الحاسم ومشاركتها لا تستطيع إسرائيل القيام بتوسعها غير الشرعي وجرائمها الأخرى. لا

توجد دعوات لمقاطعة الولايات المتحدة ليس لأسباب مبدئية وإنما لأنها قوية جدا ـ حقائق قد تثير بعض الأسئلة الواضحة حول الشرعية الأخلاقية للإجراءات التي تستهدف عملاءها

بارات: بعد عودته من إسرائيل/فلسطين قبل بضع أسابيع، قال مدير ايكاهد في المملكة المتحدة انه بالرغم من انابوليس (لم يتحسن أي شيء على الأرض وشاهدت بالعين المجردة تهويد البلاد مما أشعرني بالغضب والوهن). بضوء هذا هل تستطيع المقاومة الفلسطينية(التي ظلت للآن غير عنيفة إلى حد بعيد) العودة إلى النضال المسلح وإشعال نار الانتفاضة الثالثة الأقسى؟

ايلان بابي: من الصعب فهم كلمة(هل تستطيع) ـ نظريا تستطيع وقد تفعل ذلك والسؤال هو هل ستختلف نتائجها عن الانتفاضتين السابقتين، الإحساس أن ذلك غير محتمل.

نعوم تشومسكي: كان رأي من الأول، أن القيادة الفلسطينية تقدم إسرائيل ومؤيديها في الولايات المتحدة منحة عظيمة ومبررا للجوء إلى العنف وموقف غير طبيعي من الثورة ـ بمعزل تام عن حقيقة الاعتبارات التكتيكية، يحمل اللجوء إلى العنف عبئ تبريري كبير. في هذا العصر مثلا، لاشيء يسر إسرائيل وصقور الولايات المتحدة أكثر من صواريخ القسام التي تمكنهم من الصراخ فرحين حول كم يجب أن تزداد نسبة الوفيات (كل الضحايا يعتبرون من الإرهابيين). واتفقت منذ البداية مع الأصدقاء الشخصيين الذين يتصلون بالقيادة الفلسطينية وأخص بالذكر ادوارد سعيد وإقبال احمد بوجود أمال كبيرة لنجاح النضال السلمي. واعتقد انه الأمل الوحيد للنجاح.

بارات: على ماذا يجب أن تركز المنظمات غير الحكومية

والمؤسسات الخيرية العاملة من اجل العدالة في الأشهر القليلة القادمة؟

ايلان بابي: هي تعرف ما هو الأفضل وأتردد في تقديم النصح لها. اعتقد أنها قدمت لنا الإرشاد بدعوتها إلى المقاطعة وإذا استمرت في مبادرات كهذه فستكون مفيدة جدا. لكن الأهم إن استطاعت الاستمرار في العمل من اجل المصالحة والوحدة في المعسكر الفلسطيني.

نعوم تشومسكي: إن الواجب اليومي والملح هو التركيز على الانتهاكات المستمرة الفظيعة لأبسط حقوق الإنسان والاستيطان غير الشرعي الذي تدعمه الولايات المتحدة ومشاريع التطوير التي صممت إلى تقليص التسوية الدبلوماسية. وواجب عام آخر هو المحاولة في وضع الأساس لنضال ناجح يهدف إلى تحقيق تسوية تأخذ في اعتبارها المطالب العادلة للأطراف المتخاصمة – العمل التثقيفي والتنظيمي الجاد والمكرس والدائم الذي يوفر الدعامات للدفع قدما باتجاه السلام والعدالة. لقد أشرت سابقا إلى ما أؤمن به ويتضمن ترويجا فعالا للديمقراطية داخل القوة العظمى الحاكمة.

إفلاس بصيرة بوش

نعوم تشومسكي

الخليج تايمز ١ حزيران ٢٠٠٨

قام الرئيس بوش برحلة إلى الشرق الأوسط في منتصف أيار ليشيد ارثه بقوة اكبر في جزء من العالم كان مركز اهتمام رئاسته الرئيسي. كان للرحلة وجهتان رئيسيتان تم اختياريهما للاحتفال بذكرى سنوية هامة: الأولى إسرائيل للاحتفال بالذكرى الستين لتأسيسها واعتراف الولايات المتحدة بها. الثانية المملكة العربية السعودية في الذكرى الخامسة والسبعين لاعتراف الولايات المتحدة بالمملكة المؤسسة حديثا.

كان للزيارتين معنى في ضوء تاريخ وطبيعة سياسة الولايات المتحدة الحليمة في الشرق الأوسط: السيطرة على النفط وتقوية الوكلاء الذين يساعدون في الحفاظ عليه. لكن شعوب المنطقة لم تغفل عن أي إهمال وتجاهل. رغم احتفال بوش بتأسيس إسرائيل فهو لم يميز الحدث المزدوج منذ ستين عاما: تدمير فلسطين والنقب حين يشير الفلسطينيون إلى الأحداث التي طردتهم من أراضيهم. خلال أيامه الثلاثة في القدس كان الرئيس مشارك متحمس في أحداث وافرة وتأكد من ذهابه إلى ماسادا الموقع شبه المقدس عند القومية اليهودية. لكنه لم يزر مقر السلطة الفلسطينية في رام الله أو مدينة غزة أو احد مخيمات اللاجئين أو مدينة قلقيلية التي يخنقها جدار الفصل الذي

أصبح الآن جدار ضم في ظل الاستيطان الإسرائيلي غير الشرعي وبرامج التطوير التي صادق عليها بوش رسميا وهو أول رئيس يفعل ذلك.

ولم يرد بباله أبدا محاولة الاتصال بقادة حماس والنواب المختارين بانتخابات حرة فريدة في العالم العربي الذي يرزح كثير من أهله في السجون الإسرائيلية بدون أي حجة قضائية. لا تتحمل ذرائع موقفه أي تحليل لحظي ولا الوقع بأن حماس كررت دعوتها إلى تسوية الدولتين بما يتوافق مع الإجماع العالمي الذي رفضته الولايات المتحدة وإسرائيل منذ أكثر من ثلاثين سنة.

سمح بوش لمدلل الولايات المتحدة الرئيس الفلسطيني محمود عباس المشاركة في اجتماعات مصر مع كثير من القادة الإقليميين. كانت زيارة بوش الأخيرة للسعودية في كانون الثاني محاولة فاشلة لجر المملكة إلى حلف معادي لإيران يحاول صياغته. لم تكن تلك مهمة بسيطة رغم قلق حكام السنة من الهلال الشيعي وتنامي النفوذ الإيراني الذي تكرر وصفه بالعدواني يفضل الحكام السعوديون التوافق مع إيران على مواجهتها ولا يمكنهم تجاهل الرأي الشعبي رغم تهميشه. في استطلاع للرأي حديث في السعودية كانت مرتبة بوش تزيد عن مرتبة أسامة بن لادن كثيرا كأشخاص غير محبوبين أبدا وأكثر بمرتين من الرئيس الإيراني احمدي نجاد وحسن نصر الله زعيم حزب الله وحليف إيران في لبنان.

يعود تاريخ علاقات الولايات المتحدة والسعودية إلى اعتراف الأولى بالمملكة عام ١٩٣٣ .ليس هذا التاريخ عرضيا فهو السنة التي حصلت فيها ستادارد اف كاليفورنيا على امتياز بترولي وبدء الجيولوجيون

الأمريكيون في استكشاف ما ثبت بأنه اكبر احتياطي عالمي للنفط. انتقلت الولايات المتحدة بسرعة لتضمن سيطرتها بخطوات هامة في عملية استولت فيها على السيطرة العالمية من بريطانيا التي تقلص مركزها إلى مستوى(الشريك الصغير) كما انتحبت وزارة الخارجية البريطانية بأنها غير قادرة على مواجهة (الإمبريالية الاقتصادية للمصالح التجارية الأمريكية التي تعمل بفعالية تحت غطاء (عالمية الخير والعمومة) و(تحاول إجبارنا على الخروج).

بدأ حلف الولايات المتحدة وإسرائيل بالتشكل عام ١٩٦٧ عندما قامت إسرائيل بخدمة هامة للولايات المتحدة بتدمير المركز الرئيسي للقومية العربية العلمانية - عبد الناصر في مصر وبنفس الوقت حماية الحكام السعوديين من الخطر القومي. لقد أدرك المخططون الأمريكيون قبل عقد أن (النتيجة المنطقية) لمعارضة الولايات المتحدة للقومية العربية الراديكالية ستكون بمساعدة إسرائيل كقوة غربية وحيدة باقية في الشرق الأوسط.)

ازداد استثمار الشركات الأمريكية في صناعة التكنولوجية العالية في إسرائيل بشكل حاد وشملت انتل وهيولت باكارد ومايكروسوفت وورن بوفيت وغيرها, وانضم إليها مستثمرين من اليابان والهند وفي حالة الأخيرة احد وجوهه التحالف الاستراتيجي النووي الأمريكي الإسرائيلي الهندي.

هناك عوامل أخرى تكمن وراء علاقة الولايات المتحدة وإسرائيل. ففي القدس استحضر بوش (روابط الكتاب) الذي يشترك فيه المسيحيون من أمثاله واليهود كما ذكرت الصحافة الاسترالية لكن من الواضح أن المسلمين والمسيحيين العرب لا يتقاسمون تلك

الروابط معهم كهؤلاء في بيثلهيم التي عزلت عن القدس المحتلة التي تبعدعنها بضع كيلومترات بمشاريع الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعية. أدانت الصحيفة السعودية (وقاحة بوش بتسميته فلسطين بموطن شعب الله المختار) تعبير المتطرفين الدينيين الإسرائيليين. وأضافت الصحيفة (علامة خاصة من إفلاس بوش الأخلاقي حين ذكر بشكل عابر الدولة الفلسطينية في رؤيته للمنطقة منذ ستين سنة).

من الصعب تمييز لماذا يجب أن يؤكد ارث بوش المختار العلاقات مع إسرائيل والسعودية مع لفتة جانبية نحو مصر وازدراء الفلسطينيين ومصيبتهم البائسة إلا من بضع عبارات شعائرية.

من الواضح أن اختيارات الرئيس لا علاقة لها بالعدالة وحقوق الإنسان أو في تصور (تعزيز الديمقراطية)التي سيطرت على روحه. لكن الخيارات تتوافق مع مبدأ عام منسجم جدا : تمنح لك الحقوق حسب الخدمة التي تقدمها للقوة.

الفلسطينيون فقراء وضعفاء ومشتتين وبلا أصدقاء. من البديهي إذا أن لا تكون لهم حقوق. السعودية على نقيضهم لديها ثروات من الطاقة لا مثيل لها ومصر أهم دولة عربية وإسرائيل دولة غربية غنية ومصدر التأثير الإقليمي بأسلحتها الجوية والمدرعة التي هي اكبر من حلف الناتو ومتقدمة تكنولوجيا أكثر منه (ماعدا راعيتها) مع مئات من الأسلحة النووية واقتصاد متقدم جدا ومجيش ومرتبط بقوة مع الولايات المتحدة. لذلك يمكن التنبؤ بمحيط الإرث المقصود تماما.

المحتويات



أشياء لن تسمع بها أبداً...

لقاءات ومقالات

لقد قمت بترجمة هذه المقالات لأهميتها الكبيرة برأي وضرورة أن يقرأها الناس لأنها تتعلق بقضايا الأمة الحساسة كأمنها وثرواتها ومستقبلها وقضيتها المركزية فلسطين واحتلال العراق والارهاب الذي أصبح دلالة على المسلمين والعرب وهناك مواضيع دولية تؤثر على العالم العربي أيضا مثل السياسة الأمريكية الخارجية والأزمة المالية ونظام العالم الجديد والديمقراطية وعلاقة الحضارات مع بعضها البعض. كما هناك مواضيع لا تقل أهمية مثل محاولة العالم خلق تكتلات للتصدي لهيمنة الولايات المتحدة في أوروبا واسيا وأمريكا الجنوبية وهذا يوحي بضرورة تشكيل كتلة كبيرة مؤثرة في الشرق الأوسط مؤلفة من الدول العربية وتركيا وإيران يكون لها وزنها العالمي الاقتصادي والسياسي والجغرافي.



